كتابي



حلمي مراد

"حنان الأم".. في عيد الأم!
لوحة خالدة للرسام "رومني"



« مسز جراهام »

من أجمل لوحات الفنان « تومـاس جينسبورو »

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعـــار الكتـاب

مصباح الفكر عند الإغريق

الكتاب الحادى والســتون (السنة السادسة) : ابريل ١٩٥٧
الاشتراكات ومجموعة الأعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجنــدول ــ ١٤ شــارع ٢٦ يوليو ــ بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

محتويات العدد



قرأت وشهدت لك
في الكتب .. والمسارح .. والحياة !
للمحرر

حرب وسلام ٠٠ بينى وبين نفسى !

• هل أقص عليك أيها القارىء فى مستهل هذا الباب قصة تسرى عنك ؟ انها قصة واقعيـــة ، قد تكون بالنسبة لك باعثة على الابتسام ، ولـكن صدقنى انها كانت بالنسبة لى باعثة على كل شىء عدا الابتسام !

انها قصة هذا الباب ٠٠ وقصتى معه !

فلقـد لبثت طيلة الشهر أقتطع من وقتى ســاعات أقرأ لك فيها كتابا شائقا ، أو أشاهد عملا فنيا جديرا بالمشاهدة ، كى أحدثك عنه وأشركك معى فى الاستمتاع به ٠٠ وبلغ بى الطمع فى ان أتخمك بأكبر قدر من هذه المطالعات والمشــاهدات انى أرهقت نفسى فى هذا السبيل ارهاقا شديدا ـ وان يكن عذبا ! ـ حتى جاء أوان اراقة هذه الخواطر لك على الورق ، فأخرجت مفكرتى التى دونت فيها قائمة بالموضوعات التى سأتناولها ٠٠ وشرعت أكتب ٠٠ وكلمـــا رفعت عينى الى رقم الورقة التى أكتبهـــا ، أشفقت من الاطالة ، فعــاهدت نفسى ان أوجز فى الموضــوع الذى يليه ، فقد كانت الموضــوعات كثيرة ، والحيز محدودا !

٠٠ وكتبت فى موضــوع ، واثنين ، وثلاثة ٠٠ لخصت لك فصلا من كتاب عن غراميات الموسيقى « فاجنر » ، وآخر عن احدى محاكمات التاريخ الكبرى ٠٠ وثالثا عن قصــة يوسف الصديق وامرأة العزيز ٠٠ وكتبت عن المحاولة المصرية المشجعة فى فن « الفولكلور » الشعبى ـ « يا ليل يا عين » ـ وحدثتك عن موكب الفن والجمال فى استعراضات بيوت الأزياء بالقــاهرة ـ « سابرينا » ، و « بيير كلوفاس » ، و « جراند دموازيل » ـ

وعن رشاقة العارضات الفاتنات « ريتا » ، و « ايدا » ، و « انتيجون » .. وعن سوق الخير والاحسان لجمعيتى « غداء الفقير » و « الشابات المسيحية » .. وعن الغداء الخيرى الدولى ، الذى ساهمت فيه كل سفارة أجنبية بتقديم طعام بلدها التقليدى .. ثم ترجمت لك فقرات من أطرف كتاب فرنسى يسخر من الانجليز ، وعنوانه : « الانجليز ، هل هم شعب انسانى ؟ »

كتبت لك عن ذلك كله ، وكنت أحسبنى سأفرغ من كتابة الباب فى جلستين أو ثلاث ، خلال يومين أو ثلاثة .. فاذا به يستغرق منى جلسات ، تخللت نحو سبعة أيام ، كنت فيها أفر من مشاغلى الاخرى ـ من مشكلات المجلة ، والورق ، والطباعة ، والبيت ! ـ فأحمل كتبى وأوراقى وأنطلق بسيارتى ـ مكتبى المتنقل ! ـ الى مكان قصى أخلو فيه الى نفسى واليك .. فكتبت صفحات من الباب فى مقهى صغير بطريق الاهرام .. وصفحات فى غرفة موصدة ساكنة بنادى القاهرة المركزى ، بالطابق العاشر .. وصفحات فى مقهى شبه مهجور قرب مطار هليوبوليس .. وصفحات وأنا راقد فى فراشى متعبا عقب سهرة من العمل المتواصل ..

وخلال هذه الجلسات ، كانت تحين ساعة الطعام ، فأرجئه حتى أنتهى من الموضوع الذى أكون مستغرقا فيه .. أو تحل ساعة النوم ، فأتجاهل سلطانه .. أو يتناهى الى سمعى من نافذة قريبة نغم جميل من بيانو أو راديو ، يغرينى بالانصات اليه ، فأرد نفسى عن هذه « الغواية » ، وأنهر شيطانى الأمار بالأحلام !.. أو كانت تلوح منى نظرة من حيث أجلس الى الافق المنبسط أمامى ساعة الغروب ، فتنازعنى نفسى الى قسط من الراحة والتأمل أستمتع فيه بجمال الطبيعة الساجى ، لكن نظرة الى ساعتى ـ قاتلها الله ـ تردنى الى الورق ، كسير الفؤاد !

الى هنـا وليس فى الأمر جديد ، فهكذا حيـاتى ٠٠ ولكن المؤلم حقا هو ما تلا ذلك ، فى الفصل الثانى من « المأساة » ! ٠٠ فقد فرغت من كتابة الباب كله أو كدت ، ولم يبق غير مكان لنحـو صفحتين تركتهما للحديث عن فيـلم « الحرب والسـلام » ، الذى حجزت لرؤيتـه ـ فى برنامجى ـ اليوم الأخير ، وكنت واثقا من انه يستحق التعليق عليه ٠٠ وشاهدته ٠٠

وبدلا من ان أكتب عنـه صفحتين ، وجـدتنى أعود من دار السينما الى بيتى ، لأنفض غبـار النسيان عن النسخة التى أحتفظ بها ـ منذ نحو ١٥ سنة ـ من قصة تولستوى الخالدة التى اقتبس عنها الفيلم ـ والتى لا يعتبر الفيلم بالقياس اليها الا بمثابة قطرة من بحر ، وجزء من مائة ! ـ فتناولت النسخة من على الرف ، وأخذت أقلب صفحاتها ، الألف والخمسمائة ! ٠٠ ووجـدتنى نهبا لصراع قاس ، وحيرة مرة ٠٠ ودار بينى وبين نفسى هذا الحوار :

ـ لم لا تقدم لقرائك تلخيصا لهذه القصة الجبارة كما كتبها « تولستوى » ، لا كما اقتبست للسينما ؟

ـ تلخيصا ؟ وهل يمكن تلخيص قصة من ألف وخمسمائة صفحة ، فى عشرين ؟

ـ سمه « عرضا » ، أو « تحليلا » ، أو ما شئت ان تسميه، ولكن لا تحرم قارئك من « أخذ فكرة » عن القصـة الأصلية كما كتبها مؤلفها العظيم

ـ لكن ذلك سوف يستغرق أكثر صفحات الباب ، ان لم يستغرقها كلها !؟

ـ ولم لا ؟ ٠٠ ليس فى الأمر خروج عن نطاق هذا الباب . ألست بذلك تجمع بين المطالعة والمشاهدة فى موضوع واحد ؟

ـ والموضوعات الأخرى التى كتبتها بالفعل ، والاسـبوع الذى أنفقته فى كتابتها ٠٠ أيذهب ذلك كله سدى ؟

– ان تلك الموضوعات كلها لا تقاس الى « الحرب والسلام » ! .. فلتذهب مع الريح .. وعوضى ، عن مجهودى المضاعف ، على الله .. والقارىء !

– لكن تلك المواد قد أوشكت ان تعد للطبع ، واستبدال هذا « المشروع » الجديد بها قد يؤخر صدور « كتابى » أياما ، فيضطرب توزيعه ، و .. و .. الخ ؟!

– انى أديب ، لا تاجر ! .. وهدفى هو اداء رسالتى على الوجه الأكمل ، دون نظر الى أى اعتبار آخر . واعتقادى الذى لا يتزعزع ان قارئى « يفهمنى » جيدا ، ويقدر المجهود الذى أبذله كي أحقق له كل حلم ثقافى يراوده ، وأقدم له كل صعب قد يشفق منه غيرى ..

« الحرب والسلام » .. كما كتبها تولستوى !

• **والآن** ، تعال معى نرتاد هذا المجلد الضخم «المخيف» ، الذى آختار تولستوى مسرحا له قارة بأسرها ، كما اختار عصرا كان أحفل حقب التاريخ الروسى بالاحداث .. فجاءت القصة أضخم وأروع عمل فنى منذ « الياذة » هوميروس ، و « أعظم رواية فى جميع العصور » ، على حد اجماع النقاد ! .. كتبها تولستوى فى ستة أعوام ، وأخرجها للناس فى ستة مجلدات ، يربو عدد صفحاتها على الألف والخمسمائة ، ويربو عدد أشخاصها على الثلاثين .. **فهى ليست قصة فرد أو أفراد ، بقدر ما هى قصة عالم كامل يتحرك ويضطرب بالحياة .. وهى لا تروى واقعة أو وقائع بعينها ، وانما هى أشبه بمجرى عريض تمر فيه أمامنا أحداث عصر بأكمله .. عصر عظيم ، مثير ، حافل بكل صنوف التعقيد ، وكل صور الجلال !** .. وما الحرب والسلم فيها الا بمثابة الاطار للقصة ، أو

المسرح للدراما ٠٠ المسرح الشاسع الذى يتحرك فوقه أشخاص لا عداد لهم ، يدعوننا لمشاطرتهم مصائرهم ، وأفراحهم وأتراحهم ، فلا نملك الا الاستجابة لدعوتهم وتتبع حيواتهم ، بكل ما فى طبيعة الانسان من تشوق وفضول٠

ولنعرض بكلمة « للجبهة الخلفية » للقصة ، قبل ان نعيش مع أبطالها :

فأما الحرب فهى حرب الفناء بين روسيا وفرنسا أيام نابليون ٠ وهى تتتابع فى فترتين : آلفترة الأولى تبدأ عام ١٨٠٥ ، وفيها نرى الروس خارج بلادهم ، يحاربون ـ بالاشتراك مع حلفائهم النمسويين ـ عدوهم اللدود نابليون ، فيهزمون على يده هزائم مروعة ، فى سلسلة من المعارك الطاحنة ٠٠ بحيث يضطرون الى التهادن معه ، وقبول الصلح ! ـ (وهذه الفترة هى بمثابة التمهيد لحوآدث القصة)

أما الفترة الثانية ، الحافلة بأخطر أحداث التاريخ ـ وأحداث القصة ـ فهى تبدأ سنة ١٨١٢ ، حين تنشب الحرب من جديد بين البلدين ، فيغزو نابليون روسيا ، ويكتسحها ، حتى يبلغ أبواب موسكو ! وفى (بورودينو) تدور رحى معركة فاصلة ، يحارب فيها الروس ببسالة رآئعة ، بغية صد جيش نابليون وانقاذ موسكو ٠ ولكن نابليون لم يصد ، وموسكو لم تنقذ ٠ ورغم هذا فطبقا لتقدير تولستوى كانت (بورودينو) نصرا محققا للروس ، فبعدها أضحى الجيش الفرنسى المنتصر أشبه بوحش جريح ظل يطارد فريسته حتى نالها ، وتناولها بين فكيه ، لكن الدم كان يقطر من بين أشداقه ٠٠ والموت كان مآله ! ٠٠ ذلك انه بلا مبرر حربى حاسم ـ سوى الملل ـ بدأ الفرنسيون بعد نصرهم يرتدون ٠ واستغل الروس ذلك الارتداد ـ وكان الشتاء حليفهم ـ فاذا بنابليون يمنى من ارتداده بأفدح كارثة عسكرية فى تاريخ الحروب ٠٠ واذا آلروس فى النهاية ينتصرون !

هذه هي « الحرب » في قصة تولستوى ٠ على ان أروع ما فيها تفسيره لفلسفة الأحداث ، ودلالة الهزيمة عنده والنصر ٠٠ **فتولستوى ينكر على نابليون عظمته ! هو عنده ليس أكثر من رجل عادى واتته مقاليد الحكم المطلق طيعة فبلغ القمة ، لا لأنه عظيم ، وانما لأن الظروف كانت قد نضجت ، ونهر التاريخ قد انعطف الى مجرى معين ، فجرفه التيار نحو المصب المحتوم ! ٠٠ فهو في نصره مغرور ، وفي هزيمته طفل محزون ٠ وهو طاغية راح يموه على نفسه والناس ، ظانا انه يقود شعبه بأطراف أنامله ، بينما الواقع انه هو المقود ـ بقوة لا يدرك كنهها ـ الى قمة التل ٠٠ ثم الى المنحدر !**

وفي الكفة المقابلة لنابليون ، يضع تولستوى شخصية أخرى يراها أعظم منه وأحق بالتقدير ، هي شخصية « كوتوزوف » ، القائد الروسى الطاعن في السن ، الذى انتصر في النهاية ! وهو رجل « طيب » ، رقيق الاحساس ، متواضع ، يعرف أنه « لا يساوى شيئا » ، ولكنه صادق الفراسة ٠ ولا يهم انه يغط في النوم أثناء انعقاد مجلس الحرب ، فانه سيعرف كيف يلتزم الصواب في تصرفاته حين يستيقظ ! ٠٠ ثم فيم القلق من جانبه وفيض الحوادث مقيد بمجرى معين لن يحيد عنه ؟ ٠٠ وهنا يتطرق تولستوى الى فلسفته التى يهدف اليها ، وهى انه ما من شخص يجب ان يحمل وزر اشعال الحرب ، ولا حتى نابليون !٠٠ وما من حادث بذاته يمكن ان يعد سببا جوهريا لنشوبها ، وانما الصواب ان جميع تصرفات البشر وأحداث التاريخ ليست الا فقاقيع تطفو على مياه نهر ، والنهر يفيض دائما وينتهى الى مصب : فأحيانا يصب في « السلام » ، وأحيانا يصب في « الحرب » ٠٠ وما من كائن بشرى أو مجموعة من الكائنات تملك ان تصده أو تحول مجراه ! ولو حاولنا ذلك لأضعنا وقتنا سدى ، كما نضيعه حين نحاول وضع قانون ثابت لاتجاهات التيار وظواهر

الزمن ٠٠ فالله وحده صاحب الكلمة العليا والقول الفصل ٠٠

هذه هى فكرة تولستوى ٠٠ ولا شك اننا لو تمشينا مع النظريات الحديثة ، ففسرنا « ارادة الله » بالظروف الاقتصادية أو النفسية للدول والشعوب ، لخلصنا الى نفس النتيجة : وهى أنه ما من انسان - أو حادث معين - يمكن ان يعد مسئولا عن نشوب الحرب ، أو صاحب فضل فى انهائها ! ٠٠ ورسالة تولستوى للناس بعد هذا - الناس فى كل زمان ومكان - هى : « لا تنزعجوا ولا تحاولوا أن تفهموا ، فان ذلك لا يعود عليكم بغير البلبلة العقيمة ٠ وانما أدوا واجبكم عندما يحين حينه ، وستعرفونه كاملا فى أوآنه ! »

شخصيات أبطال القصة ٠٠ لا تنسى !

◆ **ذلك** نصيب الحرب من القصة ٠ أما نصيب السلام فيها فهو لا يقل - ان لم يزد - روعة وحياة ٠٠ ففيه نتنقل - جذلين - بين المراقص والسهرات الأنيقة الصاخبة ، ونصيد الذئاب مع أظرف الأبطال ، وندرس مبادىء (الماسونية الحرة) مع بطل آخر ٠٠ كما ترحب بنا فى صدر الكتاب أجمل بطلاته ، فنلعب معها صبية ، وننصت لغنائها العذب يافعة ٠٠ ثم نسعد مع قلبها ونشقى حين تغدو كاعبا حسناء ، وأخيرا حين تذبل حياتها وتغيض من دمائها بهجة الشباب !٠٠ وهى مع ذلك ، خلال جميع هذه الاطوار ، تبدو دائما ألصق ما تكون بالدراما العنيفة ، دراما الصراع بين روسيا وعدوها ٠٠ دراما « ارادة الله » !

وهكذا نعاصر أبطال الرواية من شبابهم الى كهولتهم ، ونلمس بدواتهم ونزواتهم العقلية والروحية ، وهم يمرون بأطوار : الجهل ، والغفلة ، وطيش الشباب ، وانفعالات العواطف ٠٠ الى ان تبلو كلا منهم التجارب ، وتنضج معرفته

بالحياة ، فيقدم لنا أروع أمثلة التعقل ٠٠ وخير ما فى حكمة الشيوخ

ذلك اننا نجد فى هذه القصة ٠٠ ولكن ، هل هي قصة ؟ انها بالأحرى الحياة نفسها ، ليس لها بداية ولا نهاية ، وانما هى خليط متزاحم من المشاعر والأحداث : الخطير منها والتافه، المضحك والمفجع ، النبيل والوضيع ٠٠ اختلطت كلها فى ثناياها ، كما تختلط فى الحياة ، فاذا هى تحوى كل شىء : **الحرب والسلم ٠ الحب والبغض ٠ اللهو والألم ٠ المسرات والأحزان ٠ الشعب والفرد ٠ العامة والخاصة ٠ الريف والحضر ٠ الخمر والنساء ٠٠٠ زواج وطلاق وولادة ووفاة ! رجال وأطفال ونساء وكهول ٠ أشرار وابرار ٠٠٠ أشخاص لا حصر لهم ، ينتشرون جميعا على مسطح شاسع يقاس بمئات الأميال ، فيقاسون وينعمون بكل أنواع الاجواء ، وتقلبات الطقس ، ونزوات الطبيعة ٠٠ الغاضبة الراضية !**

وفيما يلى « عرض » سريع خاطف لأبرز شخصيات القصة ، وأخطر ما فيها من أحداث :

نابليون ٠٠ عدو الجنس البشرى !

◆ نحن فى روسيا أيام مجد «نابليون» ٠٠ وقد راح «الغول» الفرنسى يلتهم دول أوربا دولة فى اثر دولة ، ويطحن جيوشها جيشا وراء جيش ، ويقفز بين ممالكها وكأن العالم عنده ليس أوسع من قفص ، ويفتح عواصمها ليطرح ظله البغيض عليها عاصمة فعاصمة !

والروس مشفقون من ان يبلغهم هذا الظل بدورهم ، فهم لا يتحدثون الا فى ان «بونابرت» هو اكبر عدو للجنس البشرى ، وان قيصرهم « اسكندر » هو المخلص العتيد الذى ينقذهم من خطره الوبيل !٠٠ بهذا كان الناس يلغطون فى احد قصور مدينة «سانت بيترسبرج» - عاصمة روسيا القيصرية اذ ذاك - فى مساء يوم من ايام شهر يوليو سنة ١٨٠٥ ، حيث كانت النبيلة « انا شيرر » تستقبل مدعويها الى حفلتها الساهرة ٠

وهناك نتعرف الى ابطال قصتنا وأبرز شخصياتها ٠٠ فها هو الأمير الارستقراطي المتعجرف «اندريا بولكونسكي» - (الذى سطا الفيلم على عجرفته فأظهره لنا شابا دمثا وديعا !) - وهاهى زوجته الاميرة «ليزا» ٠٠ وهاهو صديقهما الحميم «بيير» ، الابن غير الشرعى لسيد واسع الثراء يدعى بيزوكوف٠

اما الامير اندريا فهو نبيل رشيق الجسم انيق المظهر ، اكسبته بنوته لأحد الضباط العظام شجاعة هى بعض تراث عصور الفروسية ، كما اكسبته نشأته عقلا ناضجا مثقفا ، وان كانت ارستقراطيته قد خلعت عليه فيما خلعت كل مساوئها : فهو شامخ الأنف مزهو بحسبه ونسبه ، شديد الاعتزاز بتفوقه على طبقة العامة الذين كان لا يخفى احتقاره لهم ٠٠ لكنه رغم ذلك يملك قلبا قديرا على الحب والبغض ، محتفظا بطاقته فى سائر العواطف القوية العميقة ، فهو يحب أباه واخته الاميرة ماريا ، حبا مفرطا ، ويحب من الاصدقاء صديقا واحدا قصر عليه اخلاصه واعزازه - رغم التباين الصارخ بينهما فى المظهر والجوهر - وهذا الصديق هو «بيير بيزوكوف» ، البدين المترهل الجسم - (وان سلبه الفيلم بدانته وترهله !) - القبيح الهيئة ، والذى ينقصه التهذيب فى حركاته وتصرفاته ، وان كان اندريا يعتبره ذا قلب من ذهب ، من فرط طيبته وبساطته ورقة احساسه ، التى تجعله عطوفا على الناس جميعا ، يفهم من يخالطهم اكثر مما يفهمون أنفسهم !

وفيما عدا حب الامير «اندريا» لأبيه واخته ماريا وصديقه بيير ، لم يكن قلبه ينطوى الا على عاطفتين : الاحتقار المستور لزوجته الاميرة «ليزا» ، التى لا تعدو فى نظره ان تكون حمقاء جبانة ٠٠ ثم الطموح والتطلع الباكر الى المجد ، ولو عن طريق الحرب - فالحرب عنده لم تخلق فى الاصل الا لتكون وسيلة تضفى على الناس اثواب البطولة والشرف ! - ومن ثم لا نستغرب منه فى تلك الحفلة الساهرة بسانت بيترسبرج ، ان يغافل زوجته وينفرد بصديقه «بيير» ، يبثه همه ويشكو اليه متاعبه ، ثم يصارحه بأنه قد ضاق بحياته مع زوجته ، وانه لذلك يعتزم الالتحاق بالجيش - وهو بهذا يرضى عاطفتيه معا : النفور من «ليزا» والسعى الى الشهرة !- ثم نفهم منه ايضا انه سيمر ، فى طريقه الى الميدان ، بالضيعة المملوكة لأبيه ، كى يودع هذا الأب ويودع اخته الطيبة الوديعة ماريا ، ثم ليترك فى رعايتهما زوجته الموشكة على الوضع

وننتقل من حفلة النبيلة «انا» فى سانت بيترسبرج ، الى عشاء فاخر فى موسكو ، حيث نتعرف الى بقية الشخصيات ، وهم افراد اسرة «روستوف» ،

فتقابل الابن الاكبر «نيكولاس» ، الذى كان قد ودع رياضته المفضلة - صيد الذئاب - وشرع يودع اصدقاءه قبل أن يلحق هو الآخر بفرقته .. ثم ندع « نيكولاس » كى نتابع فى شغف أخته الجميلة الغريرة «ناتاشا» وهى تتنقل فى ارجاء المكان فى خفة ومرح ، تداعب هذا وتمازح ذاك ، ببراءتها العذبة المستحبة ..

نماذج من تحليل تولستوى الرائع لشعور الجندى المحتضر !

◆ وانقضت ثلاثة شهور .. واذا نحن فى النمسا ، فى ركاب الجيوش الروسية والنمسوية المتحالفة ضد نابليون . ونتلقى نبأ انتصار « الغول الفرنسى » فى معركة (أولم) ، ثم نبأ دخوله (فيينا) .. واذا بالقيادة النمسوية تلوذ بالفرار ، والروس يتقهقرون فى غير نظام ، ونابليون يطاردهم .. حتى يلحق بهم ويرغمهم على الاشتباك معه فى معركة (أوسترلتز)

وخاض الامير «اندريا» غمار هذه المعركة ، فأتاحت له شجاعته الموروثه وبرود اعصابه ان ينال اكبر تقدير من رؤسائه ، وان كانت مرارة القتال وضربات الحظ العمياء فى توزيع الاوسمة وتمييز الشجعان من الجبناء قد غيرت آراءه فى الحياة وافقدته ايمانه بخرافة البطولة والبسالة !.. بل انه أوشك ان يفقد مع ايمانه حياته : فعلى اثر احتدام المعركة واندحار الروس عمد جنودهم الى الفرار ، لكن اندريا التقط العلم الساقط من ضابط محتضر ورفعه فى شجاعة ، صامدا ببطاريته في وجه مدفعية الفرنسيين المحمومة .. حتى اصابته شظية طائشة فسقط والعلم ما يزال فى يده !

وفى غمـار الدقائق القليلة التى مرت قبـل أن يغيب عن صوابه وتتلقفه الغيبوبة ، أحس ان جرحه خطير .. فأدرك فجأة تفاهة كل ماكان يطمح اليه من متاع الدنيا . أدرك تفاهة الحياة ، لكنه أدرك ايضا روعة وجمال السلام العذب العميق الذى ينتظره . السلام الذى لم يكن قد رآه أو احسه قط من قبل ، الى ان أتيح له ذلك كله الآن ، فجأة ، وفى وميض خاطف ، فى تلك اللحظة الهائلة التى يحس الانسان فيها بخطوات الموت تقترب منه .. ولا تنى تقترب !

فتح اندريا عينيه وهو ملقى على الارض يغالب الألم ، فتحهمـا ليرى الى اية مرحلة بلغ الصراع بين بطاريته وبين مدفعية الفرنسيين .. ولكن الميدان كان مهجورا والسكون مخيما على الوجود ، فلم يسمع شيئا ، أو ير شيئا ، سوى هذه السماء العريضة المنبسطة فوق عينيه .. السماء العالية السحيقة المتناهية فى العمق ، السماء الحلوة الصافية الا من سحب خفيفة داكنة تتمشى وئيدة فيها .. ما اروع هذه الوحشة وهذا الهدوء يا اندريا !.. اين هذا مما كنت فيه منذ .. منذ متى ؟.. وانت تجرى وتقاتل وتصيح ، والقذائف تتناثر من حولك كالحمم . اين ذلك الجحيم والنيران ، من هذه السماء العميقة



لقاء نابليون وملك النمسا عقب معركة أوسترلتز ، (لوحة للفنان برودون)

السحيقة ، وهذا الجلال الذى يحف بالكون ؟!٠٠ لكم أنت قرير العين ٠ اخيرا قدر لك أن تلمس حقيقة الحياة ، وتعرف أن كل من عليها صائر الى الفناء . وكل ماعليها باطل خواء ٠٠ الا هذه السماوات اللانهائية ٠٠ رباه ! ما أحلى السلام ، وما اعذب هذا الصمت العميق الحلو ٠٠ رباه ، شكرا ! شكرا ! »

وتلقفته الغيبوبة من جديد !٠٠ غيبوبة لم يفق منها الا بعد زمن ، حين فتح عينيه ليجد امامه ، عند رأسه ، البطل الجبار المنتصر : نابليون بلحمه ودمه ، واقفا يرقبه ، صامتا اول الأمر ، ثم مهنئا اياه فى حرارة ، بشجاعته الهائلة !٠٠ لكنه قابل المفاجأة ببرود ٠٠ فحتى هذا المدح والاطراء من البطل الذى كان فيما مضى مثله الأعلى المعبود ، لم يحرك نفسه الآن ٠٠ فانه قد لمس اخيرا تفاهة المجد الحربى ٠٠ لمسه وانتهى الامر !

ونقل الامير الجريح الى مستشفى الميدان

الفجيعة التى تلقفته لدى عودته !

◆ لم تكد ملحمة (اوسترلتز) تنتهى بتلك الكارثة المروعة التى حاقت بالروس ، حتى تواترت الانباء فى ضيعة الاسرة بأن الامير اندريا مفقود ، وانه

لا بد قد لقى حتفه فى القتال !٠٠ وفاجأ النبأ زوجته «ليزا» وهى مشرفة على الوضع ، فلم تكد تضع طفلها حتى أصيبت بمضاعفات قضت عليها بعد أيام !٠٠ وفى نفس الليلة التى قضت فيها نحبها ، فوجئت الاسرة الحزينة بعودة ابنها المفقود - اندريا - عاد معافى من جرحه الخطير ، ولكنه أضحى رجلا غير الرجل. أضحى رقيقا مرهف الاحساس ، مضعضع الحواس ، لا ينظر الى نفسه الا على انها نفس قد شاخت واستوفت حظها من الحياة ٠٠ الحياة التى ماعادت تخلبه ، ولا عاد بريقها يغريه ٠٠ فانه قد غدا زاهـدا فى دنياه ، زاهدا فى البطولة والمجد ، مسلما كيانه للسأم والأوهام !٠٠ حتى ضاق بنفسه أخيرا ، فأوى الى ضيعة ابيه ينشد فى هدوئها السلوان عن عبوس الايام ٠٠

ولكن الايام التى عبست له ، كانت تبسم لصديقه المترهل « بيير » فى (سانت بيترسبرج) : فلقد نال هذا اعتراف أبيه الثرى بأبوته ، فغدا ابنـه الشرعى ٠ ومات الأب بعد قليل تاركا للفتى ثروة طائلة ، فاذا هو - فى غفلة الاقدار - يمسى غنيا مفرط الغنى ٠ واذا بمصاهرته تمسى وتصبح مطمح انظار النبلاء ، يطمع كل منهم فى ان يزوجه لابنته !٠٠ والفتى فرح مغتبط ، يرقب «السباق» الممتع وكأن الأمر لا يعنيه ! وهنا تبرز حقيقة شخصيته : فان سذاجته ورقة احساسه ، ثم ضعف ارادته - الذى يقوده دائما الى التورط فى امور لم يكن يريدها ! - كل ذلك يتضافر ويتآمر على هناءته ، فاذا هو مسوق الى الزواج من امرأة كان يشتهيها فقط ولا يحبها ٠٠ واذا هو يفتح عينيه ذات يوم ، ويتنبه من سكرة التهافت العذب على اصطياده ٠٠ فيجد نفسه زوجا للحسناء اللعوب « هيلين » !

لكن الزواج لا يقوى طويلا على عوادى الزمن ، ولا يثبت لأهواء القلوب ، فلا يلبث حتى يتكشف عن فشل أليم ٠ ولا تلبث مغاضبات الزوجين أن تنتهى يوما الى ٠٠ الانفصال ! فيترك «بيير» زوجته ، ثم يترك المدينة كلها ، لينطوى على نفسه فى الريف ٠٠ كما فعل صديقه الامير اندريا من قبل

ولكن عزلة كل منهما لا تعنى ان عجلة الزمن قد كفت عن الدوران ، بل انها على العكس كانت ممعنة فى الاسراع : فلقد وثب نابليون من نصر (اوسترلتز) الى ملاقاة جيش النمسا وتشتيت شمله فى معركة جديدة ، واذا هو قد بلغ ابواب (برلين) ٠٠ وها هو يقترب من (وارسو) !٠٠ ثم تبدو فى الأفق طلائع نواياه العدوانية ضد روسيا ، فى داخل اراضيها ذاتها !٠٠ فلا يحل شهر يونية من عام ١٨٠٧ حتى نراه قد ألحق بالروس هزيمة جديدة نكراء فى (فريد لاند) ٠٠ وهكذا لم يجد القيصر مفرا من طلب الصلح ، فالتقى الخصمان حول مائدة واحدة فى (تيلست) ٠ ولكنه صلح على ضغن ، وصداقة تطوى من العداء اكثر من خبىء !

العذراء الغريرة « ناتاشا » ، أبدع مخلوقات تولستوى !

◆ ومر عامان !٠٠ عامان هادئان ، فلا حروب ولا صدام ! ولكنهما عامان حافلان بأطوار النفوس ، من انفعال واضطرام !٠٠ فان «بيير» قد ضاق بوحدته فى الريف ، فاعتزل العزلة ليستأنف حياته التعسة مع زوجته !٠٠ واسرة «روستوف» قد اضطربت شئونها المالية ، وعبثا حاول نيكولاس اصلاحها ، فاضطرت الاسرة الى الانتقال من موسكو الى سانت بيترسبرج ، كى تجرب حظها فى الحياة من جديد ٠ ورغم الحاح الأم ، رفض نيكولاس ان يشترى رخاء ذويه على حساب قلبه ، بالزواج من نبيلة وارثة !

اما بطلنا الثالث اندريا ، فبعد استكانة طويلة فى احضان ضيعته ، طلقها فجأة ليعود بدوره الى العاصمة

وهناك ٠٠ هناك تربصت له جنته ٠٠ وجحيمه !

كان ذلك فى ربيع عام ١٨٠٩ ، حين خرج اندريا يقود عربته الى ضواحى (سانت بيترسبرج) ، متجها صوب دار آل روستوف ٠ وكان الطريق جميلا يخلب الابصار ، والطبيعة عذبة تفتن الافكار ، والهواء رقيقا يعزف لحنه على غصون الأشجار ٠٠ ولكن نفس اندريا كانت ترزح تحت أثقال الأسى والشعور بأنه قد شاخ ، وخلف حياته وراءه ! ٠٠ وفيما هو يقترب من القصر ، لمح عن بعد بعض الفتيات يمرحن بين جذوع الأشجار ، وكانت تجرى فى مقدمتهن فتاة نحيلة قاتمة الشعر والعينين ، ترتدى ثوبا اصفر ، وفوق رأسها منديل ناصع البياض تبرز منه خصلات من شعرها ٠٠ انها «ناتاشا» - شقيقة نيكولاس - التى رأيناها منذ اربعة اعوام فى عشاء فاخر بموسكو ، تتنقل بين المدعوين فى خفة ومرح ، تداعب هذا وتمازح ذاك ٠٠

لكنها قد نضجت ، وثارت فيها أنوثتها ، فأكسبتها ذلك الانفعال العذب الذى يجعلها خفيفة طليقة ، لا تكاد تستقر فى مكان ، أو تخلد الى راحة ، أو تأنس الى انسان ٠٠ وانما هى فرحة بنفسها ، فرحة بشبابها النضير ،وصوتها العذب ٠٠ فرحة بالحياة ! ولعل هذا ما أفاض عليها سحرا مكنها من أسر قلوب الرجال ، دون وعى منها ! ٠٠ فهى لا تكاد تقدم الى احدهم حتى تغدو معبودته ! ولا يدخل البيت رجل الا ويهواها ! ولا تبدو فى مجتمع حتى تغدو مرموقة من الجميع ، بقدر ما هى مرموقة من أسرتها ٠٠ وبقدر ماترمق هى الدنيا وتعشقها، فلا ترى فيها الا كل ما هو ضاحك مشرق بهيج ، ولا تخطر فى مكان الا وتبعث من حياتها فى الجماد حياة ، وتستشف وراء أقبح الأشياء جمالا وشعرا وسناء ! ٠٠ فهى أول من تقترح على الناس الخروج الى الرحلات والنزهات ، وأول من تبدو دائما على استعداد لأن توفر لغيرها أسباب اللهو والمتع ٠٠ تفتنها جولة

صباحية في الغابة ، أو ليلة مقمرة في الربيع ، أو أغنية لطيفة حنون ، وكأن مسا من الحيوية المشبوبة قد أصابها فأغراها بأن تعب من فيض مسرات تلك الفترة السحرية من عمر الفتيات ، فترة الشباب الباكر الزاخر الذي يملأ الدنيا في انظارهن ضياء زاهيا وهميا ، لم يشرق على الارض قط !

كان ذلك كله - ولا ريب - ما فتن اندريا وجذبه اليها حين لمحها تجري وتمرح مع الفتيات وهن يختبئن وراء جذوع الاشجار ! وفي المساء ، حين صعد الى الحجرة التي اعدت له ، سمع «ناتاشا» تثرثر مع ابنة عمها سونيا ، وهما متكئتان على نافذة تحت نافذته !٠٠ كانت الليلة جميلة في هدوئها ، وامام النافذة صف من الاشجار العالية التي بدت خضرتها في ضوء القمر فضة لامعة ٠٠ ووراءها تبرق قطرات الندى فوق سقف منزل بعيد ٠٠ والى اليمين شجرة سامقة تشعبت اغصانها وامتدت تتلقى ، وتغربل ، شعاعا ناعما من ضوء القمر الذي كان يشرق بهيا في ظلام تلك الليلة من ليالي الربيع ، ليضيء سماء خالية من النجوم

اتكأ اندريا بمرفقيه على حافة النـــافذة ، وثبت عينيه في تلك السماء ٠ ومن النافذة السفلية جاءه صوت «ناتاشا» و «سونيا» تغنيان لحنا رقيقا ، ثم تنتهي الاغنية فتدعو سونيا ناتاشا الى النوم ، ولكن هذه تجيبها محتجة : «سونيا ! سونيا ! كيف يمكنك الاخلاد الى النعاس ؟ تأملي الدنيا ٠٠ كم هي جميلة ! ابقي معي ياسونيا وانظري » ٠٠ ثم تضيف ودموع الانفعال تلمع في عينيها : « تأملي !٠٠ انظري الآن ٠ ان ليلة كهذه لم تر قط من قبل ! »

الوحش الذي كاد « يفترس » الفتاة الساذجة !

◆ وقابلها اندريا بعد ذلك في احد المراقص ، حيث كان مرحها الشبيه بجذل الاطفال يبعث في جو المكان الخانق انفاسا من الهواء المعطر ، فأحس اندريا ان نفسه التي أغلقتها مآسي الحرب في ظلال المعارك والدماء ، تتفتح من جديد لتستقبل الربيع مجسما وبهجة الحياة متجسدة في هيئة كائن من البشر ، هو «ناتاشا» !

ثم نما الود بينهما ، فالحب ،فاذا هما متفاهمان على الزواج ٠٠ واذا اندريا سعيد كما لم يسعد من قبل ! ونفسيته التي كانت قد تضعضعت ، عادت فانتعشت مرة أخرى ٠٠ واذا هو قد اعتزم ان يحيا حياة أكثر نشاطا ٠ وكان جادا في عزمه ، فلم يحل شهر اغسطس الا وهو في (سانت بيترسبرج) مضطلعا بدور هام في برنامج الحكومة الاصلاحي !

ثم تقدم لخطبة فتاته ، لكن مالية أسرتها كانت لا تزال مرتبكة ، فأصر والده على تأجيل الارتباط عاما ٠٠ فانتهز اندريا الفرصة وسافر الى الخارج ليستجم

من عناء العمل المتواصل الذى أرهقه فى الأشهر الاخيرة . سافر وهو لا يرى فى بعد أجل الزواج تعنتا أو ارهاقا ، ولا يتوقع ان تجد فيه ناتاشا شيئا من ذلك أو سببا تضيق به

.. لكنه كان واهما !.. فانه كان قد أيقظ فى الفتاة أنوثتها . وكانت غريرة ومتقدة المشاعر ، فعانت فى فترة غيابه قسوة الفراغ الذى تركه فجأة فى حياتها !.. كما ان حساسيتها القصوى قد جعلتها تألم أشد الألم من الفتور الذى كانت تقابل به من أسرته . وحين آن أوان السفر الى موسكو لاعداد جهازها أخذها أبوها الكونت روستوف الى المدينة الكبيرة ومعهما سونيا ، وهناك تركهما فى منزل سيدة عجوز من صديقات الأسرة . وبهرت الحياة الاجتماعية الصاخبة فى موسكو مشاعر الفتاة المتعطشة للحياة والمسرات، فتركت لشبابها العنان .. وغمرها سناء المراقص والملاهى والحفلات ،فعرفت « أناتول » !

كان « أناتول » فتى عابثا وضيع النفس ملتوى الأساليب ، يتقن الكلام المعسول ، فأمنت له اذ تودد اليها ذات ليلة فى دار الأوبرا .. وعلى أثر ذلك باغتها بحملة عاطفية عنيفة لم تجد المسكينة سبيلا الى مقاومتها ، فاذا بها قد فتنت به .. واذا هى تكتب الى اندريا خطابا تنبئه فيه بفسخ خطبته ! .. ثم تتهيأ للفرار مع « أناتول » تحت جنح الظلام ، لولا ان يكشف التدبير ويحبط فى الوقت المناسب . تكشفه سونيا المتعقلة الرزينة فتطلع عليه مضيفتهما العجوز ، ومنها تعلم الاسرة كلها بالامر .. فتعاد الفتاتان الى « سانت بيترسبرج » ، حيث تعلم ناتاشا من صديق الاسرة الطيب « بيير » ان أناتول لم يكن يبغى غير العبث بها ، فانه متزوج بالفعل !.. وعلى ضوء هذه الحقيقة المفاجئة تفيق ناتاشا فجأة من طيشها ، وتدرك سوء ما تصرفت وما أثمت فى حق خطيبها النبيل أندريا .. فيدفعها الخجل والندم الى محاولة الانتحار !

ويعود اندريا من رحلته فى الخارج فيعلم بالقصة كلها . وتشعره الصدمة القاسية بأنه قد طعن فى زهوه وكبريائه ، وتعجزه طبيعته المتعجرفة عن تقدير نفسية الفتاة والتماس الاعذار لطيشها ، فيأبى الصفح عنها ، ويقصر جهوده على البحث عن غريمه ، بحثا مضنيا طويلا !.. وحين يدركه اليأس من العثور عليه ينخرط فى سلك العسكرية من جديد ، وقد عاوده شعوره بالمرارة ، ونظرته القديمة الى الحياة .. وأخيرا يسافر الى الميدان ليدفن شجنه فى القتال !

.. فقد كنا فى يونيه سنة ١٨١٢ ، وكان نابليون قد فرغ من تلقى حفاوة ملوك أوربا فى (درسدن) ، ومل رؤية جباههم الصاغرة المألوفة ، فتطلع



لوحة معبرة تمثل نابليون أثناء احدى معاركه الحربيـة ، كما تخيله الفنـان « دافيـد »

الى مجد جديد ، وجباه صاغرة جديدة .. ومن ثم عبر نهر (نيمين) ليهاجم روسيا فى بلادها !

وهكذا استؤنف القتال مرة أخرى ، وعاد الروس يتقهقرون ، فرجع القيصر من بولونيا الى موسكو حيث جمع قواده واستقبل نبلاء المدينة وتجارها ، للبحث فى كيفية مواجهة الحالة . وأسفرت المشاورات عن تسيير جيشين روسيين لملاقاة الفرنسيين . ولكن نابليون كان أسرع منهما ، فقطع عليهما الطريق باحراقه (سمولنسك) ، الامر الذى اضطر الجيوش الروسية الى الارتداد ، وفى أعقابها الفرنسيون يلاحقونها ويقتربون من (ليسى جورى) حيث ضيعة أسرة اندريا . ولم تجد الاسرة بدا من الفرار ، وفى الطريق مات الأمير الأب تاركا ابنته « ماريا » وحيدة تحت رحمة الاقدار ..

لكن الاقدار كانت تهيىء للاميرة الوديعة ملاذا رحيما ، ففى تلك الاثناء صادف أن عسكرت فرقة « نيكولاس » ـ شقيق ناتاشا ـ فى مكان قريب ، فوجدت ماريا فى الشاب أنيسا ينقذها من انفرادها الموحش الكئيب ..ووجد قلبها الى قلبه سبيلا ممهدا ناعما ، فنما بينهما حدب .. ثم ود .. ثم هوى

متبادل . وهكذا لقيت اليتيمة جزاءها واستحقته ، بعد حياة جافة مقبضة . لقيته بعد أن عاشت محرومة من تهافت الرجال ، تحبهم ولا يحبونها ، من فرط ما ضنت عليها الطبيعة بالجمال ، رغم ذكائها ونبلها وثرائها .. الامر الذى جعلها سريعـــة الخجل والتورد ، تخطو متثاقلة فى مشيتها ، من وطأة ما تعانى من الاحساس بالنقص وانعدام الثقة بالنفس . ولكنهـــا رغم ذلك كانت دائما احدى أولئك اللواتى يملكن سر الحياة : هبة المحبة ، تريقها على الناس بلا حساب ، فهى « تعبد » أخاها اندريا ، ومن أجله أحبت زوجتـه البغيضة ليزا الى أن ماتت بعد وضع طفلها .. كما احتملت بلا تذمر ، على مر الاعوام ، تحكم والدها الارســـتقراطى المتعجرف ، وتعنته وفظاظته ! .. ولكن ، ها هى تنـــال أخيرا ـ وان لم يكن متأخرا ـ جزاءها عن كل هـذه العذوبة والصبر ، فان اندريا أمسى يقدرها ويفهمها ، وأباها الظالم قد مات معترفا لها بأنها كانت له دائما ملاكه اللطيف الحارس . ثم ها هو جمالهـــا الروحى الصرف « يغتصب » لها فى النهاية ، لا مجرد الميل ، أو الاعجاب ، بل الهوى والعبادة من « نيكولاس روستوف » ، أبرد الرجال عاطفة ،والشاب الذى عاش سنوات شبابه الباكر فاتر الشعور مع من هن أجمل منها وأصبى ، وفى مقدمتهن « سونيا » صديقة أخته ناتاشا وملازمتها .. فاذا هو يتحول الآن ليهبها هى ـ ماريا ـ حبه وقلبه !

الغريمان يلتقيان .. على عتبة الموت !

◆ فى الوقت الذى كان فيه ميدان القتال لا يزال فى ظمأ للدماء ،نشبت معركة جديدة بين الفرنسيين والروس فى (بورودينو) ، التى تفتح الطريق الى موسكو ، فتلاحمت الجيوش واحتدم الصراع .. واذا بعشرات الألوف من الرجال يذبحون كالأغنام ، واذا الخطر الفرنسى يدنو من موســكو ، فلا يجد الروس بدا من اخلائها من سكانها المدنيين .. وفى غمرة الفزع والاضطراب شرع الاهالى ينزحون عن المدينة فى سيل لاينقطع .. وكانت أسرة روستوف بين الأسر المهاجرة ، فانهمكت ناتاشا فى اعداد الامتعة والحقائب ، ثم ما لبثت أن قررت تضحية تلك الامتعة وتركها وراءها ، كى توفر أقصى مايمكن توفيره من العربات ، لنقـل الجرحى الروس الذين أصيبوا فى (بورودينو) . ولم تكن التعسة تدرى ما تخبئه لها الساعات التالية ، فكانت المفاجأة حادة عنيفة حين عثرت سونيا بين الجرحى على .. اندريا !

كان التعس قد أصيب فى المعركة بجرح خطير ، وكم كان القدر ســاخرا حين دبر ان يتنبه الجريح من غشيته على صوت أنين تلفت الى مصدره ، فاذا هو يرى غريمه القديم « اناتول » ، الذى سلبه قلب « ناتاشا » !.. رآه فى

هيئة بشعة وقد قطعت ساقه فراح يتأوه تأوهات الاحتضار ، فلم يملك اندريا نفسه من العطف عليه والاشفاق ، متناسيا حقده القديم ٠٠ تماما كما تناسى الآن حقده على ناتاشا بدورها ، عندما رآها بغتة أمامه ٠ رفع عينيه اليها ، فاذا هى فتاته القديمة بكل ما فى روحها من عذوبة ، وما فى جسدها من شباب نضير !

وصارت تمرضه ، وتريق عليه من حنانها فيضا يتدفق ٠ فكانت هناءته تعاونه على مغالبة الفناء ، فيومض الامل فى شفائه وميضا قويا ، ولكن الى حين ٠٠ فان الموت كان يترصده ويريده ، ويأبى الا أن يعود بروحه ٠٠ وهكذا ظل التعس يتأرجح بين البقاء والعدم ٠ ثم تفاقمت يوما آلامه فأدرك انه هالك ، بل أحس انه يموت تدريجا ، وانه فى منتصف الطريق الى الزوال ، فعانى كل مرارة ادراك كنه هذا العبور من عالم مألوف الى عالم رهيب مجهول ٠ لكن تشبثه بالحياة لم يكن عن ضعف وخور ، وانما كان مبعثه ان الحياة قد أضحت تعنى عنده دنيا من الشعر والبهجة والحب ٠٠ تعنى «ناتاشا» الفاتنة ، التى كانت ترقبه صامتة وهو يغيب عنها رويدا رويدا ، فى بطء وسكينة ، الى عالم عميق سحيق ٠٠ ولكن ٠٠ ما باله يهدأ فجأة ويزايله جزعه ، فتنبسط أساريره ؟ لكأنه ينتظر مصيره بلا قلق ، ولكن بغير لهفة أيضا !٠٠ ولكأن حضرة الموت ، التى كانت دائما تخيفه وترعبه ، والتى لم تكف لحظة – طوال حياته – عن مطاردة حواسه ٠٠ لكأنها الآن – وهى قريبة منه ، بل عند رأسه – قد فقدت بغتة طابعها المألوف وطلعتها الكريهة !

وحين أحضروا له طفله الصغير – اليتيم الأم ، والمقبل على يتم آخر – ليودعه ، طبع على جبينه قبلة واهنة ثم أدار وجهه ، وثبت عينيه فى تلك السماء الفسيحة الصافية المنبسطة فوق رأسه

وهكذا عبر البطل عتبة الحياة ، وأخلد للنعاس الأبدى ، فى استسلام عذب نبيل ٠٠ وكأنه قد وجد السلام أخيرا !

وكان الاختطاف قاسيا على ناتاشا ، فذاقت مرارته وأحسته بكل ما فى مشاعرها من قوة انفعال ، كعهدها دائما ٠٠ ثم بدأت بمرور الايام تضمحل رويدا رويدا ، وتذبل ، ويذوى عودها ٠٠ حتى غدت نحيلة شاحبة ، تجلس صامتة ساعات ، تحدق فى الفضاء العريض الذى رقد تحته اندريا ، ولا تكاد تحس للدنيا وجودا !٠٠ باتت هيئتها تنطق بأنها لا محالة هالكة ٠ وفقدت أسرتها كل أمل فى انقاذها ، وخاصة حين دهم الاسرة مصاب جديد ، فان شقيقها الصغير « بيتيا » قد لقى حتفه فى احدى معارك العصابات ، فجنت الأم من لوعة الحزن ، وراحت فى هذيانها تنادى وحيدتها الباقية «ناتاشا» ، فى حرقة مفجعة !٠٠ وعكفت الفتاة على رعاية أمها الذاهلة ، مرهقة كل ذرة

من أعصابها لانقاذ عقلها ٠٠ وكان فى ذلك خلاصها ! فانها فى جزعها على أمها نسيت نفسها وشجنها ، وعادت تدريجا الى الحياة !

الكوارث تعزز ايمان الانسان بالله !

◆ لم تكد تنتهى معركة (بورودينو) بهزيمة الروس ، حتى انطلق نابليون بجيشه يطوى الطريق الى موسكو !٠٠ فلما بلغ ضواحيها أدهشه ألا يخف وفد من سراتها وحكامها للقائه وتسليم مفاتيح المدينة اليه فى خضوع ٠٠ ولكن دهشته كانت أهون مما تلاها ، فان ألسنة اللهيب ما لبثت أن بدت له من بعيد ، تتصاعد من قلب مدينة أحلامه !٠٠ فاندفع نحوها مسرعا مذعورا ٠٠ ودخلها ، فاذا هى مهجورة خاوية على أطلالها ورمادها !

وفى لحظة تبددت أحلام أعوام !٠٠ وبقى فى موسكو خمسة أسابيع يناضل الاقدار ، وجنوده المنهوكون يقاسون الاهوال من البرد والجوع ، ويتلاشون كل يوم بالالوف ، وكأنهم يذوبون فى الثلوج !٠٠ وعبثا حاول أن يجد لهم زادا ومؤونة ، فلم ير بدا آخر الامر من اخلاء موسكو ، بادئا بذلك ارتداده التاريخى الرهيب نحو (سمولنسك) ، عائدا من حيث أتى ! ٠٠ الارتداد الذى كلفه ثلث جيشه الجبار ، وأفقده خيرة رجاله وزبدة شباب فرنسا ٠٠ هلكوا تحت وطأة عاملين ساحقين : هول الجوع والثلوج والمستنقعات ، ثم الغارات الرهيبة من جانب رجال العصابات !

غير أنهم لم يهلكوا وحدهم ، وانما هلك معهم عدد كبير من ألوف الاسرى الروس الذين ساقوهم معهم فى طوابير لا نهاية لها ، وكان من بين أولئك الاسرى ٠٠ « بيير » !

كنا قد تركناه فى موسكو ٠٠ فلقد آثر - حين اقترب جيش نابليون من المدينة - أن يظل فيها متنكرا فى زى سائق لاحدى العربات ٠٠ لكن أمره لم يلبث أن افتضح ، بل واتهم بأنه أحد المشتركين فى احراق موسكو فى وجه الفاتح الجبار ، فحكم باعدامه !٠٠ ثم صدر عفو عنه فى آخر لحظة ، اكتفاء بأسره ٠٠ وهكذا نلتقى به الآن فى ركاب الجيش الفرنسى المرتد ، وقد جمع الأسر بينه وبين صديق له من (الماسون الاحرار) فيلسوف فى سذاجته ، هو « بلاتون كاراتايف » ، الذى كان لآرائه البسيطة العميقة معا ، أكبر الأثر على عقلية بيير ونفسيته !٠٠ لم يكن « بلاتون » الا فلاحا محدود الذكاء ، لم ينل أى قسط من الرقى والتهذيب ٠ حياته ليست غير حرمان متصل ٠ لكنه كان رغم ذلك كأنه الحب مجسما ! فهو رقيق عذب ، عطوف على كل انسان ، بقدر قسوة القدر عليه هو !٠٠ فلقد كانت حياته سلسلة من الكوارث والفواجع ، آخرها فاجعة نهايته : ذلك ان الفرنسيين

- في ارتدادهم المنكود - كانوا يجدون في تضخم عدد الأسرى عبئا ثقيلا يعوق ويؤخر فرارهم ، ويكلفهم من المؤن والطعام ما لا يجدونه لأنفسهم ، فلجأوا الى التخلص من كل أسير يقعد به التعب أو المرض عن مواصلة السير !٠٠ فلما أصاب « بلاتون » ذلك الاعياء والانحلال ، جلس تحت شجرة عتيقة في الطريق ، ينتظر مصيره بوجه هادئ القسمات ، يكسوه تعبير أقرب الى الاستسلام والاشراق ٠٠ وان كان قد رمى صديقه بيير - وهو يودعه - بنظرة كلها مناشدة ٠٠ ولكن ماذا يملك الصديق من عون ؟ وهل أمامه غير المضي في الركب ، تحت نير السياط ؟ وهكذا خلفه بيير وراءه مرغما ، وقلبه ينوح على رفيقه الطيب النبيل

وبعد لحظات ، وقبل أن يبعد « بيير » في المسير ، سمع صفير رصاصة تطلق ، ثم مر به جنديان فرنسيان يلوح على أساريرهما تعبير آثم ٠٠ ووعى في أذنه نباح كئيب ٠٠ فان كلب الفيلسوف الشهيد كان يرثيه !

لكن روحه لم تذهب هباء ، فلقد وجد بيير في تلك الفاجعة مفتاح الحقيقة التي طالما بحث عنها ، حقيقة الحياة ، فاذا هو يحس الآن - رغم تزايد آلامه البدنية - بقلبه يخف ، وروحه تسكن ، وكأن أثقاله قد طرحت عن كاهله ، وحل محلها جذل غريب ، وغبطة مبهمة !٠٠ غبطة من قاس متاعبه بمأساة غيره ، فاذا متاعبه تهون ، وتغدو أقل ايلاما مما كانت !٠٠ واذا هو يتحامل على ساقه المرضوضة المسلوخة ، متلهيا عن النظر الى جرحه المتقيح بتأملات أخرى ٠٠ ومتجاهلا مصير مئات الاسرى التعساء ، بالتفكير في مناظر أمر وأقسى ٠٠ واذا المستقبل يصبح في خياله أبعث على التشجيع وأدعى للتفاؤل ، واذا هو يجد في أعماقه حافزا خفيا على الحياة ، فيواصل سيره فوق الثلوج وقد كفت نفسه عن ان تعاف لحوم الجياد غذاء له ، ومذاق البارود ملحا لطعامه !٠٠ وأمسى يحتمل طنين الحشرات والهوام التي كانت تغطي جسده ، معزيا نفسه بأنها انما تدفئه من الصقيع وتضاعف كساءه ، وان الله يمتحن بها صبره ويبلوه ٠٠ وهكذا بات يستمد من البؤس ايمانا يعمر قلبه ويجلوه !

ثم جاءه الخلاص أخيرا ٠٠ من حيث لا يدري !٠٠ فقد فوجئ بجماعة من رجال العصابات ، انقضوا بغتة على البقعة التي كان فيها ، فأنقذوه ونفرا غيره من الاسرى ٠٠ لكن النجاة لم تواته بغير ثمن ، فان بنادق الفرنسيين قد تصيدت أحد المهاجمين ٠ وكان الشهيد فتى غريرا : « بيتيا روستوف » ، شقيق ناتاشا الصغير !

ونقل « بيير » وجماعته الى أحد مستشفيات (أوريل) ، في الوقت الذي كان فيه تقهقر الفرنسيين قد أدى بهم الى التحام جديد في (فيازما) ،

أسر الروس فيه منهم ستة وعشرين ألفا كانوا على شفا الموت جوعا وبردا ! ٠٠ ثم ظلت خسائرهم تتفاقم وتتضاعف ، وارتدادهم يتكشف عن سلسلة من الكوارث فنيت فيها زبدة الجيش وسط صحارى شاسعة من الثلوج ٠٠ حتى اضطر نابليون الى التخلى عن جيشه ، فتركه لمصيره - يوم ٥ ديسمبر سنة ١٨١٢ - وعاد هو محطما الى باريس ، فى الوقت الذى أنعم فيه القيصر على القائد الروسى بأرفع وسام !

ريح السعادة ٠٠ بعد طوفان الآلام !

◆ وأقبل يناير عام ١٨١٣ ، وعاد سكان موسكو تدريجا الى مدينتهم التى صارت أنقاضا ورمادا ٠ وعاد « بيير » ضمن من عادوا ، بعد أن قضى فى أوريل أشهرا يستشفى من جراح ساقه ٠٠ أما جراح نفسه فلم تكن فى حاجة الى علاج ، فانه قد خرج من الجحيم الأرضى - جحيم الحرب والآلام - رجلا بالغ السعادة فى النهاية ، فلقد علمته الحياة والتجارب مدى رحابة النفس البشرية ، وقوة احتمال الانسان !

وها هو يعود الآن الى موسكو ليجد ان زوجته البغيضة « هيلين » قد ماتت ، وصديقته « ناتاشا » قد تغيرت الى درجة كاد معها ان ينكرها ! فلقد كان عسيرا عليه أن يتعرف فى هذه الشاحبة النحيلة ، وهذا الوجه المتهضم الجامد ٠٠ على ناتاشا القديمة العذبة ، ذات الشباب الدافق والحياة المتوردة النابضة ! ٠٠ كان عسيرا عليه ذلك ، لكنه حين عرفها ، أومضت فى خياله فجأة صورتها الاولى بكل دقائق فتنتها ، فأحس بحبه لها يفيق فى قلبه - بعد أن كان قد ألجأه فى الماضى الى سبات عميق ، يوم دفعته صداقته لاندريا الى أن ينكر حبه وذاته ، باذلا قصاراه كى يسوق ناتاشا ويكسب قلبها لصديقه لا لنفسه !٠٠ وحتى حين تنكر لها اندريا على أثر قصتها مع « أناتول » ، وضن عليها بالغفران ، ظل بيير محتفظا بتقديره لها ، وحبه الكامن ٠٠ فكان تفانيه هذا أقوى شعاع أضاء لها طريقها فى أحلك ساعات الاحزان والآلام !

واذن فقد آن لها ان تكافئه على كتمانه وصبره الطويلين ٠٠ وقد فعلت ، فبعد شهور من عودة السلام عقدا زواجهما !

ثم ما لبث ان مات أبوها المسن الكونت روستوف ، مخلفا وراءه ديونا كثيرة ، ألجأت ابنه الاكبر « نيكولاس » ، وأمه ، وسونيا ، الى أن يعيشوا معيشة متواضعة ٠٠ حتى استرد الابن مركزه المالى ، وأثرى ، فحقق بدوره حلمه القديم : تزوج من الاميرة الوديعة « ماريا » - شقيقة اندريا - ثم تركا موسكو ليبدآ حياة جديدة سعيدة فى ضيعة (ليسى جورى)

ثم رزق منها أطفالا ٠٠ ورزق « بيير » من ناتاشا أطفــالا ٠٠ فامتزجت الأسرتان

وها نحن في النهاية نودعهم جميعا ، ليلة عيـد القديس « نيكولاس » في ٥ ديسمبر سنة ١٨٢٠ ، وهم يحتفلون بالعيــد ، ويسمرون ، ويتذاكرون الماضي ٠٠ ويتطلعون الى مسـتقبل أيامهم على الارض ، ومسـتقبل بلادهم المعبودة ، بكل ثقة وطموح ٠٠ شأن أناس قد أنضجتهم التجارب والمحن !

قصة يوسف الصديق ٠٠ وامرأة العزيز

◆ وبعد هذه الملحمة الخالدة ، بماذا «نهضم» الوجبة الدسمة ؟!٠٠ ليس أخف في هـذا المقام من كتـاب حديث طريف من الكتب الانجليزية المبسطة خصيصا لتثقيف النشء ، وعنــوانه « يوسف وفرعــون » ٠ وهــو يروى قصة « يوسف الصديق » بأسلوب مبسط يناسب مدارك الصــغار ٠ واليك – على سبيل المثال – فصلا منه تناول قصة الغواية الكبرى التي تعرض لها يوسف من امرأة العزيز ، وقد كتبه المؤلف « فرانسيس ديل » بأسلوب لا يخدش حياء الصغار ٠٠ بعد أن مهد له بأن روى قصة نشأة يوسف وغيرة اخوته منه ، ثم القائهم اياه في الجب ، وبيعه لتجار الرقيق الذين صحبوه معهم الى مصر ، حيث باعوه بدورهم للمدعو « فوطيفار » قائد حرس فرعون ، الذي لم يلبث ان اعجب بتفانيه في عمله واخلاصه في خدمته ، فعهد اليه بكل شئون بيته وخدمه وامواله ومزارع كرومه ٠٠ الخ ٠٠ ثم يمضي الكاتب في سرد القصة للاطفال فيقول :

« وذات يوم ، اضطر فوطيفار للسفر في رحلة تتعلق بأعماله ٠٠ فلم تكد البغال والجمال التي تحمل امتعته تختفي وسط سحب غبار الطريق ، حتى خرجت زوجته من الدار الى الفناء تسعى الى حيث كان يوسف جالسا يحصي دنان النبيذ التي جيء بها من معاصر كروم سيده ، وابتدرته قائلة :«يوسف»! ٠٠ فنهض واجابها : « نعم ياسيدتي ، هل هناك خدمة أستطيع تأديتها لك ؟»

– نعم يايوسف ، أريد منك خدمة ، بوصفك خادمي كما انت خادم زوجي ومولاي !

– اذا كان في وسعي ان اخدمك فسأفعل مسرورا ٠ حدثيني بما تطلبين ياسيدتي

فحدثته زوجة فوطيفار برغبتها ، هامسة في حذر ، وللفور تجهم وجه يوسف وارتسمت عليه سحابة من الكدر والأسى ، وفقدت عيناه بريقهما الضاحك ٠٠ فان « الخدمة » التي طلبتها منه مولاته كانت شريرة آثمة !٠٠ وأجابها يوسف :

« لن استطيع ان افعل ذلك . انها تكون خديعة منى لسيدى ورب نعمتى !»..
فقالت : « لكنك فى خدمتى أنا أيضا ، وقد أقسمت بنفسك على ذلك ، فى هذا الفناء بالذات ، ومنذ ايام قلائل !؟»

- لو اجبتك ياسيدتى الى ماطلبت منى الآن ، مع علمى بأن ذلك من شأنه ان يغضب سيدى ، فانى بذلك اخدم احدكما واخدع الآخر .. وهو مالن افعله ! »

واذ ذاك احتقن بالغضب وجه المرأة الجميل ، واجابته : « بل انك ستفعل !.. والا فسوف ألحق بك الاذى .. بينما لو فعلت ما آمرك به لأغدقت عليك الهدايا والعطايا ورفعت من مركزك ! ».. فأجابها يوسف مكتئبا : « اذا لم يكن مفر من ان تلحقى بى الأذى ، فسوف اتقبله دون تذمر ، لانى «لا استطيع » أن افعل مايغضب سيدى ! »

وعندئذ استدارت زوجة فوطيفار ومضت مسرعة ، بينما استأنف يوسف عمله بقلب مثقل ووجه متجهم ..

وانقضى يومان فى هدوء .. ثم عادت زوجة فوطيفار مرة أخرى ، ومرة اخرى امرت يوسف سرا بأن يفعل ما من شأنه ادخال السرور على نفسهاواغضاب



يوسف جالسا عند قدمى سيده « فوطيفار »



زوجها ·· ولكن ، مرة أخرى ، رفض يوسف !
وفى المرة الثالثة ، أقبل على يوسف – حيث يعمل – عبد يحمل أمرا من السيدة ، وابتدره قائلا وهو يرمقه بنظرة فضول : « عليك ان تتوجه الى مخدعها » ·· فأطاع يوسف ، لوجه الطاعة – عن غير رغبة – ومضى متباطئا الى داخل الدار ، وقد ارتدى رداءة التيلى البسيط ·· فلما أزاح الستائر المطرزة المسدلة على مخدع السيدة ، رأى المرأة مضطجعة على أريكة مزخرفة ··

كانت زوجة قائد الحرس ذات جمال أخاذ ، وقوام ممشوق ، وكيان مشرق ، وعينين ضاحكتين ، وسطوة عظيمة ·· فلما بدا الفتى يوسف على عتبة المخدع ، قالت له بلهجة آمرة : « تعال ! » ·· فاجتاز الغرفة ، ووقف بالقرب من الأريكة ·· فأردفت تقول له آمرة : «اقترب أكثر !» ·· فدنا يوسف الى مرمى الذراع منها · وعادت تقول ، وهى ترقبه بامعان : «هلا فعلت ما طلبته منك ؟» ·· فأجابها يوسف بغير تردد : « كلا ياسيدتى ، لا أستطيع · وليس لدى ما اضيفه الى رفضى السابق · ومهما ألحفت فلن يغير ذلك من موقفى بالنسبة لهذا الأمر · لن أقوى يوما على فعل ما يغضب سيدى ، فائذنى لى فى الانصراف »

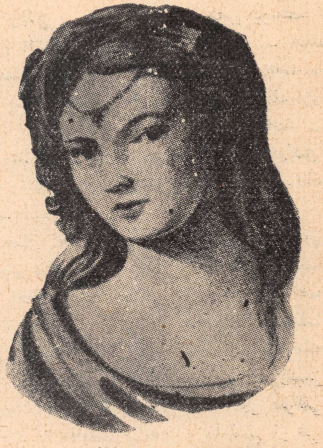
قالها واستدار محزونا لينصرف ، واذ ذاك شبت الزوجة بقامتها فجذبت الرداء من على كتفيه ، صائحة فى غضب عظيم : « اذهب اذن يرافقك حنقى ويؤنسك . ولتترك رداءك هذا معى ، فانى فى حاجة اليه !»

وانصرف يوسف ، يسائل نفسه عما يحوج السيدة الى ردائه البسيط ، وهى التى تملك العشرات من الثياب الفاخرة التى تخصها !.. ولا يكاد الفتى الحائر ينصرف ، حتى تسمع جلبة واصوات فى الفناء ، ووقع حوافر البغال والجمال على الأرض . لقد عاد فوطيفار !.. ويهرع يوسف لاستقبال سيده ، الذى يبتدره وهو ينفض غبار السفر عن ثيابه : « عندى الكثير الذى اود ان احدثك فيه يا يوسف ، ولا شك ان عندك الكثير الذى تسمعنى اياه بدورك !»

- بلا شك ياسيدى . انى متأهب لسماع حديث مولاى ..

- (مبتسما) كلا ، فزوجتى تنتظرنى . ولسوف اعود لنتحدث بعد أن اراها، وأستحم . لكم انا مشوق لرؤيتها !

ودلف الى داخل البيت . وكانت تلك آخرة مرة رآه فيها يوسف ! فعندما غاصت الشمس وراء الأفق الغربى ، وهبط الليل الساجى ، لم يعد يوسف يعمل فى خدمة فوطيفار ، أو يقطن منزله !.. ففيما كان السيد يجتاز الممرات



امرأة العزيز « فوطيفار »



يوسف الصديق ، كما تخيله الرسام العالمى « بيرو »

البـــاردة المؤدية الى مخدع زوجته ، سمع صوتا خافتا ، حزينا ، أخذ يعلو ويتضح كلما ازداد منه اقترابا ٠٠ حتى وصل الى مدخل المخدع فأزاح الستائر جانبا ، واذ ذاك رأى ـ لدهشته ـ زوجته منكفئة على اريكتها تنشج بالبكاء ! ٠٠ فاستوضحها فى انزعاج وهو يدنو منها : « ماذا يبكيك ؟ صارحينى كى اعاقب المتسبب فى بكائك ! »

فأجابته الزوجة من خلال نشيجها : « لن أعرف طعم الراحة طالما بقى عبدك الشرير ذاك فى دارنا ٠ انه مخلوق آثم ينبغى ان يطرح فى السجن » ٠٠ ثم تناولت الجزء الذى انتزعته من رداء يوسف ، وألقت به الى زوجها صائحة : « اليك ثوبه الخارجى ٠ لقد انتزعته منه حين سعى الى يبغى بى اثما ٠ ولا بد انه الآن يمقتنى ٠ انى لم أعد آمنة فى بيتى ٠ يجب أن تطرده !»

واذ ذاك أظلم وجه فوطيفار ، فلقد كان يكن لزوجته حبا فائقا يسيطر على مشاعره ، ويجعله يصدق كل كلمة تفوه بها !٠٠ فقال لها من فوره : « لسوف أطرده فى التو واللحظة ٠ لكم كنت مخدوعا فيه ! ٠٠ ولكم تكشف عن شرير زنيم ! ٠٠ فليحمد لى رحمتى به وعدم اجهازى عليه ! »

وعندئذ صفق فوطيفار بيديه ، فجاء احد عبيده يجرى ملبيا النداء ٠٠فخاطبه آمرا : « اذهب فابحث عن عبدى يوسف ، وقيده بالاغلال ثم اطرحه فى السجن ٠٠ ولتعد الى لتنبئنى بأن أوامرى قد نفذت !»

ويمضى المؤلف فى سرد بقية القصة المعروفة ، على هذا النحو الذى يمتزج فيه التاريخ بالخيال الخصب ، والتبسيط الذى يلائم عقلية الصغار وينمى مداركهم ٠٠

بريد القراء

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر الحلقة الأولى من باب بريد القراء ، الذى وعدتك بنشره ابتداء من هذا العدد ، فموعدنا به فى العدد القادم ٠



« ولد .. وأرنب »
للفنان « هنرى رايبورن »



قصة مصرية بقلم: نجيب محفوظ

هل يتمنى الانسان على الله أكثر من ان يهبه زوجة حسناء وثروة طائلة ، ويمتعه بصحة سابغة وبنين ، ويبوئه مركزا اجتماعيا فذا ؟ وقد فاز السيد الكبير الأستاذ « جمال ذهنى » بأولئك جميعا : **كانت له زوجة شابة حسناء يعزى النظر الى وجهها الحسن عن أحزان الدنيا كلها ، ووهبه الله أربعة من الأبناء كالورود صحة وجمالا ، وترقي فى مراتب الدولة حتى ولى كرسى الاستشارة فى أكبر هيئة قضائية ، وورث عن والديه ثروة طائلة ما بين عقار ومزارع ..** ومع ذلك فمن كان يطلع على وجهه فى ذلك اليوم - وهو جالس فى شرفة قصره المطلة على شارع السرايات - يأخذه العجب لهذا الاكفهرار الذى يظله وتلك النظرة القلقة التى تحار فى عينيه منذرة بالشقاء !

ولا سبيل الى ابطال هذا العجب ما لم نلم بماضيه ، لأن حاضر الانسان يقع غالبا من ماضيه موقع النتيجة من المقدمات ، وان كانت لا تدعم العلاقة بينهما فى الحياة بما تدعم به فى المنطق من الضرورة والأحكام . ومهما يكن من الأمر فقد كان ماضى « صاحب العزة » حافلا بالشباب المرح السعيد ، والعقل النزيه ، والذكاء الوقاد ، والمغامرات التى تجعل من الشباب ديوان شعر غنيا بالذكريات العذبة ، لأنه كان من الرجال القليلين الذين يصادفهم أجمل التوفيق وأسعده فى دنيا النساء : **فعشق عددا وافرا من الممثلات والراقصات وربات القصور المصونات ، غير متردد ولا متحرج ، ورشف من كؤوس الهوى خمرا صافية ، أعمته نشوتها عن طى الأعوام ، فما يدرى يوما الا وهو يصحو على عاذل يقول: « أتبلغ الخامسة والأربعين ولما تتزوج ؟ »** ! الخامسة والأربعون !.. أحقا ذهب الشباب الناضر وولى ؟ أحقا تسنم ذروة الكهولة ؟

ووجد نفسه يفكر فى مسألة الزواج تفكير شـاب يهدف للثلاثين ، ويكاد الزواج أن يكون كالموت نهاية كل رجل ، والا فلمن يترك هـذه الثروة الطائلة التى يمتلكها ؟ ومن يؤنس وحشـته اذا احتجزه البيت يوما ؟ ومن يعينه على متـاعب الشيخوخة وأهوال الكبر اذا تألبت عليه عوامل الفناء ؟

على انه لم يغفـل عن طبعه وانه مغامر عشـاق ، ومثله يستطيع ان يقرأ قلب المرأة كما يقرأ الكتاب المفتوح ، ويعرف طبيعتها معرفته لبديهيات الحسـاب . لذلك رأى أن الحكمـة تملى عليه ألا يختار زوجة شابة تفصـل بينها وبينه عشرات الأعوام ، وصحت عزيمته على الزواج من أرملة أو مطلقة فى الثلاثين على أدنى تقدير ، حذراً من ان يقضى عليه بما قضى به على ضحاياه الكثيرين !

★ ★ ★

ولكنه شاء غير ما شاءت الأقدار ، وما حيلته فى ذلك ؟..

لم يكن هو الذى يبرم الأقدار حين دعى يوما الى حفل زفاف ، فراح مالكا لفؤاده وعاد مسلوب الفؤاد والارادة . ولم يكن هو الذى يخلق الأعمار اذا كانت التى سلبته فؤاده فى العشرين من عمرها ! ربمـا قلت انه كان ينبغى له أن يغلب الحكمـة والعقل على الهوى ، ولكن واأسفاه فان هـذا القول وأمثاله لا يجدى فيمن تسيطر عليهم الشهوات ، فجميعهم - أيا كانت الشهوة التى تتحكم فيهم - لا يرون فى العقل سـوى وسيلة لتحقيق شهواتهم ، يستوى فى ذلك منهم من يعبد الله أو يعبد المـال أو يعبد النساء !.. فلم يتردد جمـال بك عن سلوك سبيله المحتوم ، وخطب الآنسة « حياة » الى والدها الأستاذ محمد عويس ، الخبير بالمجلس الحسبى ، وتمت الزيجة وأثمرت على الأيام أربعة من الأبنـاء أكبرهم فى المدرسـة الثانوية وأصغرهم فى الروضة ..

ولكن للزمن حكمه الصارم كذلك ٠٠ فقد أحيل المستشار فى هذا الأسبوع الى المعاش ، واذن النذير بمجىء الخامسة والستين بكوارثها المعهودة : من نضوب الأعصاب ، وبرودة الاضمحلال ، وتنكر معالم الدنيا وتألب أمراضها ٠ وما كان به من ظمأ ولا جوع ٠٠ فقد ارتوت نفسه من لذائذ الدنيا وأخذ نصيبه كاملا من متاعها الغرور ٠٠ **ولكن دب بقلبه القلق الذى تعود بواعثه الى تلك الزوجة الحسناء التى يعطيها الزمن – الآخذ منه – نضجا وكمالا ، ويزيدها كل يوم حسنا على حسن** ٠ وما كانت مخاوفه أوهاما ولا محض حذر تمليه مغامراته الماضية ، ولكنه شاهد هذا الصباح فى شرفة الفيلا التى تواجه قصره ضابط بوليس شابا ، يتألق جماله فى بذلته الرسمية المزدانة بالنجوم الذهبية ، وتنفخ صدره قوة الشباب وغروره، وتعبث أنامله بشاربه الأنيق الصغير ، فانقبض صدره لمرآه وتوجس منه خيفة لغير سبب بين ، وعجب كيف انه لم يره قبل اليوم ، وهل يقيم فى هذه الفيلا ياترى منذ زمن بعيد ؟ وهل هو متزوج أو أعزب ؟٠٠ كان يستطيع ان يسأل زوجه عما يحيره ، ولكنه نفر من هذا نفورا عجيبا وآثر عليه الجهل والحيرة



وكان قلقه غريبا لدرجة انه ود لو يستطيع أن يحمل زوجه على نقل حجرة النوم الى الجهة الأخرى – من القصر – المطلة على شارع القشلاق ، واحلال المكتبة محلها ، ولكنه لم يدر كيف يعلل طلبه ٠ وأبت كبرياؤه عليه ان يفاتحها بشأنه

ووجد فى حياة الفراغ الجديدة فرصة طيبة لمراقبة « غريمه » فى صمت وحذر ، فلاحظ انه يتناول الشاى كل صباح فى شرفته ، وانه يعود فيجلس بها عند الأصيل ساعة أو نحو ذلك ، وفى تلك الأثناء يصادف ان تدخل زوجه الى الشرفة فيديم الشاب النظر اليها .. **وخيل اليه ان بصرها يتجه أحيانا الى شرفته ، نعم يحتمل ألا يكون وراء هذه النظرات أى معنى سوء ، ولكن يتعذر عليه ان يتصور انه من الممكن ان ينظر شاب الى مثل زوجه الحسناء نظرة بريئة لا يشوبها طمع !**

وضاق بصمته المرهق ، فأشار يوما الى شرفة الضابط وسألها :

– من يقيم فى هذه الفيلا ؟

فقالت : « **جار جديد ، أظنه مفتشا فى الداخلية** »

فسألها بلا اكتراث فى الظاهر :

– ومن الضابط الذى يظهر أحيانا كثيرة فى هذه الشرفة ؟

– أى ضابط ؟.. لا أدرى !.. لعله ابن المفتش

فوقع تجاهلها من نفسه موقعا أليما ، واشتد غضبه اشتدادا لا يستند الى أسباب معقولة ، فقال :

– لا أشك فى انه ضابط أحمق وقح !

فبدت الدهشة على وجهها وسألته :

– ما الذى يغضبك عليه ؟

فقال بحدة : « رأيته مرارا ينظر اليك نظرات وقحة سافلة ، جعلتنى أفكر جديا فى نقل حجرة النوم الى الجهة الأخرى »

فقالت بلهجة استياء :

– ولكنه تعب لا مبرر له ، وأرى انه يتضمن اهانة قاسية لى .. يا « بك » !

– كلا يا هانم ، ما أردت هذا قط . ولكنى أحب ان تتمتعى بحريتك بعيدا عن تطفل العيون !

فهزت منكبيها استهانة وقالت : « **افعل ما بدا لك** »

* * *

وتحققت مشيئته ، ولكن آلمته استهانتها ، واعتقد انه تسرع تسرعا معيبا ورطه فيه الغضب . وأحس من تصرفه بخزى أليم ، وكبر عليه ان يمتلىء رعبا من نظرة يرسلها هذا الشاب المغرور .. وما عسى ان يفيده نقل حجرة من مكان الى مكان ؟ وهل يعنى هذا زحزحة الحب من موضعه اذا كان أنشب أظافره فى لحم قلبها الطرى ؟.. هيهات !

ولم تهادنه شكوكه ومخاوفه . وقد ثقلت عليه وطأتها يوما .. وكان يجلس فى قهوة لونابرك مع محام كبير ، فاستأذن بغتة وقام الى سيارته التى انطلقت به الى قصره وبلغت شارع السرايات . وكان الوقت أصيلا . ونظر خلال زجاج النافذة فرأى زوجته فى شرفة المكتبة . ونظر الى الناحية الأخرى فرأى « الشيطان » !

وكان يعهد فى زوجه البرود والرزانة والسيطرة على الأعصاب . وكانت كعهده بها ، فلم تفاجأ بحضوره . وسألته بانكار :

ـ خير .. ما الذى أتى بك قبل ميعادك ؟

فانفجر غاضبا وسألها بغيظ وحنق :

ـ قولى لى أنت ما الذى أتى بك الى هذه الشرفة ؟

فقالت بغضب واباء :

ـ انك تهينني يا « بك » اهانة لا تحتمل

فاشتد به الغضب والغيظ وقال بعنف :

ـ أنت تحاولين تضليلى باصطناع هذا الاباء الكاذب

ـ عهدى بك أعظم أدبا من هذا !

ـ ما شاء الله ! وددت لو يستمع اليك أبناؤنا اذ تعلمين أباهم الأدب !

ـ أما أنا فلا أود ان يستمعوا الى أبيهم وهـو يكيل لشرف أمهم !

فنظر اليها نظرة عميقـة وهو يضرع الى الله ان يطلعه على خبيئة نفسها ، وجعل يتساءل فى حيرة : ترى هل هى صادقة فى غضبها ؟ هل هى حقا بريئة مما رماها به ؟ وتنهد حزينـا شقيا ، وقال وكأنه يحادث نفسه :

ـ حقا ان الشك مس من الجنون !

فقالت باستياء : « ألا ترى انك تعترف بأنك شككت فى ؟ »

فعاوده الغضب وقال لها بمرارة :

ـ لماذا تعودين الى الظهور بهذه الشرفة ؟ وفى هذه الساعة المعهودة ؟ اصغى الى يا هانم ، أنا لا أسمح لامرأة بأن تتغفلنى أبدا

ـ هذا كلام لا يليق برجل له مكانتك وأخلاقك ، ويجـدر بك ان تنـادى عقلك الذى غرب به الغضب ، فمـاذا ينفعك اغلاق الأبواب والنوافذ اذا أنا بيت الغدر ؟ .. وما يضـيرك ظهورى بكل مكان اذا انطوى قلبى على الاخلاص والأمانة ؟

فقال بذهول : « الاخلاص ! الأمانة ! ما عـدت أفقه معنى لهذه الكلمات لأن عقلى تسمم فينبغى ان تفهمى ذلك جيـدا ! قد يكون المرض لعلة ، وقد يكون لغير علة الا الوهم ، فاعملى على اعادة الطمأنينة الى نفسى ، و دعى الوعيد جانبا .. فأنا رجل لا يمكن ان تتغفله امرأة مهما أوتيت من المكر والدهاء »

ـ أهكذا تتغير بعد العشرة الطويلة وتنقلب انسـانا غير الانسان لأنك رأيت شابا ينظر الى من بعيد ؟!

وأى امرأة لا تلتهمها العيون كلما بدت للناظرين ؟

نظرة من بعيـد ؟.. كلا ليس الأمر كذلك ، انهـا تكذب وتجد فى الكذب وهى تعلم بما يعذبه ويشقيه ! انها تتجاهل الحقيقة وليس لتجاهلها الا معنى واحد ! انها تتغفله ولكنها لن تفوز بطائل !

ـ اصغى الى يا هانم : لا بد من وضع حد لكل هذا

فنظرت اليه بارتياع وقالت : « يا له من قول خطير »

فقال : « لا خطورة هنالك . آنى أقر بأنى أخطأت فيما صنعت من تغيير ترتيب بيتنا ، وأقر بأنه ليس لى الحق فى الحجر عليك لأنه ينبغى أن أكون أرفع من العوام ، فاذهبى الى حيث تشائين وتنقلى كما تشتهين ، ولكنى لن أفارقك . وأظن أن هذا من حقى أيضا »

فلم تتمالك نفسها من الضحك وسألته : « **أبدا ؟** »

فقال بهدوء : « سألازمك كظلك »

ـ يا له من أسر مرهق !

ـ لك ؟

ـ كلا .. فانه يسعدنى ولا شك ان يظل زوجى الى جانبى . ولكن كيف لك أنت بالصبر على هجر لونابرك وسنت جيمس ؟!

ـ هذا شأن يعنينى وحدى

فلم تزد على ان قالت : « **افعل ما فيه راحتك** »

* * *

ومضى « البك » يحقق وعده أو وعيده دون امهال ، فخلع ثيابه وارتدى البيجاما والروب دى شامبر ، وجلس الى جانبها . وتسلسلت الأيام على منوال واحد : فكانا يقطعان النهار معا يتحادثان حينا ويطالعان حينا آخر ، فاذا سئمت من جلستها وقامت الى الشرفة أخذ مقعدا الى جانبها ، واذا نزلت الى حديقة القصر تتريض فى مماشيها رافقها اليها ، حتى اذا ولى النهار وجاء الليل وحانت ساعة النوم أويا معا الى مخدعهما ، فنام « البك » ملء جفنيه ..

وكانا يخرجان كثيرا لزيارة الأصدقاء والأقارب ولغشيان الملاعب والملاهى والسينمات فلا يفترقان دقيقة . وثابر على حياته الجديدة مثابرة الصابرين ، ولازمها حقا كظلها ، وحافظ

على كلمته ان يتركها تفعل كما تشاء على ان تتركه يفعل مايشاء كذلك ٠ ولم تظهر السيدة أى تذمر ، وقضت أيامها مرحة ضاحكة كأنها أسعد الزوجات حقا ٠ وفى يوم من الأيام اقترحت عليه آن يذهبا الى محل « شيكوريل » لشراء حاجاتها وحاجات الأولاد ، فذهبا معا ودخلا المحل الشهير ، ودارت به على الأقسام المختلفة تشاهد البضائع وتسأل البائعين ٠٠ **وصعدا الى الطابق الثانى ، وجالا هنا وهناك ، وهو يتبعها صامتا : يقف حيث تقف ، ويسير حيث تسير ٠ ومرت على تجوالهما ساعتان أو يزيد ، لم يسترح الشيخ فيهما دقيقة واحدة ، حتى لهث من شدة التعب وعلا صدره وانخفض ، وسال عرقه باردا ٠ واشترت الزوجة فى ذلك اليوم شريطا من الدانتيلا !**

ثم عادا الى السيارة ، فارتمى الرجل على مقعده منهوك القوى وقال لها :

ـ لم تشترى شيئا ذا بال ؟!

فقالت : « ينبغى التريث فى الشراء ٠ سنعود غدا »

وعادا فى الغد ٠ ودارت به كما فعلت بالأمس ، ولكنه لم يحتمل المشى والوقوف ٠ ولحقه الاعياء فقال لها : « سأنتظرك فى السيارة »

وانتظرها ساعة أو يزيد ، ثم حضرت يتبعها غلام يحمل المشتريات ، فسألها آلبك : « هل انتهيت والحمد لله ؟ »

فقالت بهدوء : « هذه كسوة حسنى »

فقال الرجل دهشا : « حسنى فقط ؟٠٠ واخوته ؟ وأنت ؟ »

فقالت : « لسه يا بك ٠٠ لسه ! أرجو ألا تنكر على تباطئى ، فهذه طريقتى فى الشراء وان كنت تطلع عليها لأول مرة »

وجاءا معا فى اليوم التالى ٠ ودخلت الزوجة الى المحل ، وانتظر « البك » فى آلسيارة ٠ وفات على دخولها ساعة ثم

ساعة أخرى ، فتململ « البك » فى جلسته وأحس برغبته فى الحركة ، فغادر السيارة ودخل الى المحل ٠ وبحث عن زوجته بعينيه ، ومضى يسير هنا وهناك ، ولكن الظاهر انهـا كانت بالطابق العلوى ، فصعد الدرج على مهـل وقطع المكان ذهابا وايابا ، ولكنه لم يعثر لها على أثر ، فعاد أدراجه وهم بالبحث مرة أخـرى فى الطابق الأول ، ولكنـه رآها مقبلة من أقصى المحل والغلام يتبعها حاملا المشتريات ، فلم يرد ان يظهر لها نفسه وسبقها الى السيارة !٠٠ وتسـاءل فى صمته كيف لم يعثر بها مع ان المحل لم يكن مزدحما ؟ هـل لأنه لم يحسن البحث يا ترى ؟٠٠ ولذعه الشك ٠٠ هـل من الممكن ؟!٠٠ ولكن هذا بعيد التصور

* * *

وجاءت معه في غداة اليوم التـالى ٠ ودخلت المحـل بينما لبث هو فى السيارة كما فعل بالأمس ، ولكنه لم يمهلهـا الا دقيقة واحـدة ، ثم تبعهـا على الأثر ٠٠ **ورآها تسرع الخطى منعطفة الى يمين الداخـل ، فظن انها قاصـدة الى المصعد ٠ ولكنها واصلت السير الى باب المحـل الجانبى وخرجت منه ، فخفق قلبه بشدة وتبعها بخطى سريعة ٠** وبلغ الباب ، ثم نظر الى الطريق فرآها تدخل عمارة « لاكلير » ـ المواجهـة لباب المحل ـ وشاهدها تدخل الى المصعد ، الذى صعد بها ، فاجتاز الطريق ودخل الى العمارة وانتظر هبوط المصعد ٠ وسـأل البواب عن الطابق الذى صـعد اليه ، فرفع الرجـل بصره وقال : « الطابق الرابع » ، فدخل المصعد وضغط الزر رقم ٤ وخرج منه فوجد نفسه فى ردهة ، تواجهـه ثلاثة أبواب ، فألقى عليها نظرة هائلة وهو يقول : ترى فى أيهـا دخلت ؟ واقترب من أولها فقرأ عليـه : « المسيو فالديمير كراوس ، المحامى » ٠ وقرأ على الباب الثانى اسم : « هـ٠ ليفى ، متعهد



راديو تلفنكن » . وقرأ على الثالث : « مدموازيل فلورا ، خياطة للسيدات » . ووقف أمام الباب الأخير لا يريم ، وقد انحصر فيه ارتيابه ، وضغط على الجرس ففتح الباب ، ودخل قبل ان يؤذن له بالدخول ، فتراجعت أمامه التى فتحت الباب ، دهشة ، مستاءة

وألفي نفسه فى ردهة متوسطة الحجم تحيط بها حجرات أربع ، منها ثلاث مغلقة الأبواب وواحدة مفتوح بابها على مصراعيه ، ويرى بداخلها بعض السيدات والأوانس منهن من تطمئن الى مقعدها ومنهن من تقف أمام المرآة لتلقي النظرة الأولى على فستانها الجديد . وانتبه الى الفتاة الواقفة أمامه ، يبدو على وجهها الانكار .. وسمعها تسأله : « هل المدام مع البك ؟ » . فالتفت الى مغزى السؤال وتحير كيف يجيب أو كيف يعتذر عن وجوده ، لأنه اندفع تحت تأثير الغضب والحنق اندفاعا فلم يتدبر أمره . **وألقى على الأبواب المغلقة نظرة ارتياب وقهر ، وود لو يستطيع ان يقتحمها ليرى ما بداخلها ، ولكنه لم يفعل شيئا لأنه لم يكن قد فقد عقله ، ولأنه – وهو رجل القانون – لم تكن تخفى عليه مغبة عمله فيما لو أخطأ تقديره وحسبانه !..** وكأنه أراد ان يقامر بما تبقى لديه ، فسألها : « أليست هذه شقة مدموازيل فلورا ؟ » ، فقالت الخبيثة : « بلى ، ألم تقرأ اللافتة يامسيو ؟ » .. فقال : « ان زوجتى سبقتنى الى هنا » . فسألته : « ما اسمك ياسيدى ؟ » ، فقال : « جمال ذهنى » . فصاحت بصوت عال

لدرجة مزعجة : « مدام جمال ذهنى » • ولكن سيدة من الموجودات لم تلب النداء ، فقالت : « المدام غير موجودة بلا شك » • قالت ذلك بلهجة من ترى وجوب انتهاء المقابلة عند هذا الحد ، فلم ير بدا من الخروج ، وأغلق الباب خلفه ، ولكنه لم يتحرك من مكانه • ولبث يرمق الباب بعين منتقدة : ترى هل أخطأ البواب حسبانه ؟ أم أن الشيطانة موجودة بداخل شقة الخياطة ؟ ولماذا صرخت الفتاة الملعونة بهذا الصوت المزعج وهى تنادى مدام جمال ذهنى ؟ ألا يجوز انها فعلت ذلك لتحذر الغافلين ؟ **وهل يجوز ان يبقى فى مكانه لا يحرك ساكنا وزوجه فى داخل الشقة فى خلوة غرامية ؟ فما عسى ان يفعل ؟ وكيف يضبط الآثمة متلبسة بجريمتها ؟**

وعند ذاك فتح الباب ، فتقهقر خطوتين ، وخرجت سيدة• وأوصلتها الفتاة الافرنجية وقد رأته ، ولكنها لم تباله ، وأغلقت الباب مرة أخرى •• فمضى يروح ويجىء فى حيرة شديدة : من المؤكد انها فى هذه العمارة ، فقد رآها وهى تدخل ، ورآها وهى تندس فى المصعد ، وأكد البواب انها صعدت الى الطابق الرابع •• وها هو ذا الطابق الرابع ، ولا مكان يصح افتراض دخولها اليه الا شقة الخياطة ، فالشيطانة لا شك فى الداخل ، ولكن ما عسى ان يفعل هو ؟ هل يظل يروح ويجىء ؟ أم هل ينتظر الى ما شاء الله ؟•• ومما يزيد ارتباكه أن وقوفه هكذا قد يريب الصاعدين والهابطين وتيارهم لا ينقطع • ومرت عليه ساعة كاملة كانت أقسى ساعات حياته جميعا • ونال منه التعب والقهر كل منال ، فاضطر الى مغادرة مكانه وفى نيته ان ينتظرها لدى الباب الخارجى • ولكن خطر له خاطر أزعجه ، فسأل البواب : « هل للعمارة مدخل آخر ؟ » ، فأجابه الرجل بلهجته البربرية بأن للعمارة ثلاثة أبواب • فأحس باليأس ، وذاق مرارة الخيبة • وعض شفتيه من الحنق والغيظ ، وكبر عليه ان تتغفله

الشيطانة وتمثل به هذا التمثيــل المزرى ٠ وكان ما عاناه عقله وجسمه فوق ما يحتمله شيخ فى ســنه ، فعـاد خائر القوى الى ســيارته ٠ **وكم كانت دهشته عظيمــة حين هم بالدخول فرأى زوجه جالسة آمنة مطمئنة ، تنتظر أوبته منـذ زمن غير يسير** ٠ ونظرت اليه بانكار ثم سألته :

ـ أين كنت يا « بك » ؟

وأنعم فى وجهها النظر ، فرآها تبتسم ابتسامتها المألوفة ، ولكن لم يخف على عينه الثاقبة شحوب لونها ونظرتها الدالة على الاثم بقدر دلالتها على الطهارة المصطنعة ، فهى شيطانة بلا ريب ولكنها لم تتعود الاجرام بعد !

وجلس الى جانبها صامتا ، وانطلقت بهما السيارة

★ ★ ★

وكان مقهورا مغلوبا على أمره ، يعانى مرارة الهزيمة ويحس كأن يدا تخنق كبرياءه خنقا ٠ وكان يسوؤه ان يجلس هكذا الى جانب المرأة التى تغفلته وهزأت بكرامته ولوثت عرضه ٠ ولم يرتب قط انهـــا تعلم بأمر مطاردته الفاشلة لها ٠ ومن يعلم ؟ فلعلهـا تضحك فى سرها الآن من خيبته وهزيمته ٠ يا له من تصور لا يحتمل !

لقد أنذرها بأنه لن يتركها لحظة ، ثم اضطر الى تركهـا أو هى اضطرته الى ذلك ، ولكن لم يخطر له على بال ان تتخذ من زيارتها لشيكوريل سبيلا الى مقابلة عشيقها

واستسلم للتفكير الحزين ، وذكر طريقـة عامة الشعب فى الانتقـام من الخائنات ، فوجد نفســه ـ فى محنته ـ يقرها ! وهل تستحق الأفعى الا تهشيم رأسها ؟٠٠ أما هو ٠٠ «البك» الوجيه المثقف ، فيجلس الى جانب معذبته يعـانى آلامه فى صبر ، ويشيع كبرياءه الى القبر وهو كظيم ! وكيف يفعل غير ذلك وهو القاضى الذى قضى حياته فى خدمة القانون ؟

ولاحت منه التفاتة الى الطريق ، فرأى بعض المارين يحدجون السيارة بنظراتهم المتطفلة ، فسأل نفسه ترى هل ينفسون عليه السيارة الفخمة والزوجة الحسناء ؟

حقا انه يستحق الرثاء ، وسيكون أحق بالرثاء فى مستقبله، حين يخلى يده منها ـ وهو ما صدقت نيته عليه ـ فكيف تكون حياته بلا زوجة ؟ وكيف تكون حياة أبنائه بلا أم ؟

وهل تزوج يوم تزوج الا اشفاقا من ان يلحقه الكبر وهو وحيد ، فيعانى مرارة الشيخوخة ووحشة الوحدة ؟!

سراب التلقين !

◆ منى أحد الفتيان ببلاهة شديدة أقلقت والديه ، فرأيا ان يزوداه بالمال ويدفعاه الى الارتحال ، عسى أن ترده الرحلة أعقل مما ذهب . وخرج الفتى ، ومر فى طريقه بشجرة باسقة انبثت العصافير بين أغصانها ، وراحت تزقزق . وما لبث طائر ضخم ان هبط عليها فجأة ، فلزمت جميعها الهدوء . وكان أحد العلماء يراقبها ، فصاح قائلا : « طائر واحد يهبط من الجو ، فتكف الطير جميعا عن الشدو ! »

واتفق الفتى مع العالم على ان يحفظه هذه الألفاظ عن ظهر قلب لقاء بعض المال . ثم مضى فى طريقه حتى ألم بمورد ماء ، فرأى شيخا يقود حمارا جامحا ، وهو يردد فزعا : « شدوا اليكم الحمار ! شدوا اليكم الحمار ! » . وحفظ الفتى هذه الجملة ثم قفل راجعا الى أهله ، الذين أولموا وليمة بهذه المناسبة دعوا اليها الكثيرين . وحين دخلت أمه ، ساد الهدوء ، فصاح الفتى ـ منتهزا الفرصة ليثبت مقدرته العقلية : « طائر واحد يهبط من الجو ، فتكف الطير جميعا عن الشدو ! »

ولم يتمالك أبوه نفسه من الفرحة ، وهو يسمع ابنه ـ للمرة الأولى ـ ينطق بالكلام الملائم فى الوقت الملائم ، ونهض ليعانقه ويهنئه ، فتعثر وسقط .. وهنا أسرع الفتى يقول : « شدوا اليكم الحمار ! شدوا اليكم الحمار ! »

رابعة العدوية

التائبة التى عشقت الله، وأدخلت لفظ الحب فى لغة المتصوفين!



تلخيص : كامل محمد كامل

« رابعة العدوية » •• بعد « مريم المجدلية »

◆ لم تقل امرأة فى العشق ، ولا افتتنت فى أساليب الغزل والمناجاة ، مثل الذى قالته « رابعة العدوية » وافتتنت فى ابتكاره !

كانت جارية ، ولكنها اوتيت روحا شاعرية وقلبا زاخرا بالحيوية والأحاسيس المرهفة •• كأنما هى خلقت للعشق ! وقد عشقت بالفعل وأحبت •• عشقت فى البداية آدميين ، فأذلها الحب البشرى ومرغها فى أدناس الجسد •• ولكن روحها الرفيعة وعواطفها المتسامية لم تر فى البشر بغيتها ، فارتفعت الى •• حب الله ، وتدلهت فى هذا الحب وتولهت !

واذا كان « كتابى » قد قدم لك فى العدد ٥٠ قصة « مريم المجدلية » ، التائبة التى تفانت فى حب الله ، فى المسيحية ، فانه يقدم لك اليوم - وفى مطلع شهر رمضان - قصة التائبة التى كانت أول من تغنى بالحب الالهى والعشق الربانى فى الاسلام ! •• وقد استخلصت هذه القصة من عدة مراجع أهمها :

شهيدة العشق الالهى — للدكتور عبد الرحمن بدوى
الحياة الروحية فى الاسلام — للدكتور محمد مصطفى حلمى
ابن الفارض والحب الالهى — للدكتور محمد مصطفى حلمى
رابعة المتصوفة وزملاؤها فى الاسلام — لمرجريت سميث
دائرة المعارف الاسلامية - مادة « التصوف » وتعليق الشيخ مصطفى عبد الرازق

بعد منتصف ذات ليلة ••

◆ **كان** الشطر الأكبر من الليل قد انصرم ، حينما ألم برب الدار ما أطار النوم من عينيه • وتقلب السيد فى فراشه متململا ، وحاول ان يجتلب النعاس من جديد ، ولكن الأرق كان قد سكن أجفانه ، فلما ضاق بحاله ، غادر فراشه •• وفيما كان يجوس خلال داره ، شأن القلق المؤرق اذا ما أراد ان يسرى عن نفسه التوتر الذى يخلقه السهاد ، سمع همسات تنبعث

من وراء باب مر به ، فتوقف وقد بدأ الشك يراوده ٠٠ وكانت الغرفة التي وقف ببابها هي تلك التى أفردها لجاريته «رابعة» ٠ ورابه أمرها ، وساورته الهواجس والظنون بها ٠٠ فقد كانت هذه الجارية منطوية على نفسها ، مخلدة الى الهدوء والعزلة ، وهى التى اوتيت من الجمال والشباب والنضارة ما كان يكفل لها أن تأسر الالباب ، وتفتن القلوب ، وتكسب الحظوة التى ترفعها وتقربها من مراتب السادة !٠٠ أفتراها كانت قد اتخذت فى السر عشيقا تحايلت على ادخاله الدار فى تلك الساعة من السحر ، وراحت تناجيه ؟

واقترب السيد في حذر ، فاسترق النظر خلال خصاص الباب ، واذا « رابعة » قد ركعت فى ابتهال ٠٠ وألصق اذنه بالباب ، فتناهى اليه صوت « رابعة » ينبعث فى مناجاة والهة متبتلة : « الهى ! ٠٠ أنت تعلم ان قلبى يتمنى طاعتك ، ونور عينى فى خدمة عتبتك ٠٠ ولو كان الأمر بيدى لما انقطعت لحظة عن خدمتك ، لكنك تركتنى تحت رحمة ذلك المخلوق القاسى من عبدتك » !

وبهت السيد ٠٠ كان هو المقصود بعبارتها الأخيرة ! وكانت الجارية تشكوه الى سيد أقوى منه نفوذا عليها ! ٠٠ ولعل الرجل كان خليقا بأن يثور لو ان هذا حدث فى أى وقت آخر ٠ أما فى تلك الساعة من السحر ، وقد أفاض السكون صفاء روحيا على الكون ، فقد شعر السيد برجفة تسرى فى كيانه ٠ ومست لهجة الجارية شغاف فؤاده ٠٠ كانت لهجة هامسة ، ولكنها واضحة ، تنبعث من أعماق النفس فى اخلاص صادق بعث فى نفس السيد رهبة ، وأوحى اليه بسلطان ذلك السيد الأعلى الذى كانت الجارية تشكوه اليه ، فاذا قلبه ينتفض ، واذا نفسه تهفو الى عمل صالح يسترضى به الله عسى ان يغفر له نسيانه اياه !

وما ان طلع الصباح ، حتى نادى السيد جاريته اليه ،

وبادرها قائلا : « أي رابعة ·· لقد وهبتك حريتك ، فان شئت بقيت هنا ونحن جميعا في خدمتك ·· وان شئت رحلت أنى رغبت ! »

اشتراها سيدها ·· بستة دراهم !

◆ **وخفق** قلب « رابعة » ·· اذن فقد استجاب الله نداءها ، وتقبل حبها وتبتلها ، و رد اليها حريتها لتفرغ لعبادته وطاعته وحده ! ·· ليس هذا فحسب ، بل ان السيد الذى كان صاحب أمرها والمتصرف فى كيانها وحاضرها ومصيرها ·· هذا السيد يعرض عليها ان تبقى فيكون هو وأهل داره وكل من يلوذ به فى خدمتها ·· عرض سخى ، كريم ، فهل تقبله ؟!

وشرد بالها لحظات ، استعرضت خلالها حياتها ·· حياة هذه المخلوقة الصغيرة ، الحقيرة ! ·· لقد نشأت بالبصرة ، فى أسرة فقيرة كانت تدين بالولاء لآل «عتيك» ، وهم قوم كانوا ينتمون الى «بنى قيس» ·· وكان أبواها يعيشان فى فقر مدقع وضنك قاس ، حتى انهما لم يكونا يملكان شيئا من الخلق البالية يلفانها به عندما وصلت الى الدنيا !



وهكذا تفتحت عيناها على الفقر · ولكن القدر لم يجد فى ذلك كفاية ، فشاء أن يضم الى ذلك الفقر نقمة أخرى ، هى الذل ·· فقد مات والد «رابعة» وهى فى صباها ، ثم لم يلبث القحط أن دهم البصرة ، فاعتصر ماكان بها من خيرات ، حتى ضاقت الارزاق على الموسرين ، فما بالك بالمعدمين ! ·· **واضطر**

السادة الى ان يتخلوا عن رقيقهم ومواليهم تخففا من الأعباء ، فخرجت « رابعة » وأخواتها الثلاث ، يهمن على وجوههن ، حتى أوقع الدهر بها نكبة جديدة ، ففرق بينها وبين أخواتها ،ورمى بها فى قبضة رجل جشع باعها بستة دراهم !

وكان مشتريها هو نفس هذا السيد الذى يرد اليها اليوم حريتها ، ويعد بأن يكون فى خدمتها ٠٠ أى عجب !

واستعرضت فى ذاكرتها حياتها فى ذلك البيت : لكم عانت من ارهاق العمل ، ومن ذل العبودية، حتى هانت عليها نفسها، وكرهت البشر فأصبحت تعافهم وتنفر منهم ! ٠٠ **والانسان اذا ما ضاقت نفسه بالهوان وهو يشعر بالعجز والضعف، واذا ما استبد به الشك فى الناس وانسانيتهم الى حد الوحشة منهم، بحث عن قوة أخرى يلوذ بها ٠٠ قوة أكبر من قوة البشر وأقدر على البشر من أنفسهم على أنفسهم !٠٠** وهكذا لا يلبث المستضعف الحائر اليائس ان يتسامى بنفسه هاربا من عالم المادة الى عالم روحانى يستشعر فيه عزاء وتسرية !

صوت من السماء ٠٠ يعدها بالجزاء !

◆ **وتريثت** أمام مخيلة « رابعة » رؤى يوم معين من أيام عبوديتها لدى ذلك السيد : كانت قد خرجت الى الفضاء لتقضى حاجة ، واذا بها تلمح رجلا يتابعها بنظره ٠٠ وأوجست منه خيفة اذ أحست منه بنزعة الشر ، فأجفلت كما يجفل الحيوان الضعيف من الذئب الكاسر ٠٠ ولاذت بركن يواريها ، فما ان اطمأنت حتى انكفأت على الأرض وقد جاشت أشجانها ، واستبد بها يأسها ، واشتدت على نفسها وطأة الهوان والوحشة ٠ وفى غمرة هذه المحنة العصيبة ، تذكرت تلك القوة الكبرى التى تسمو على البشر ، فهتفت تبتهل اليها : « **الهى ! ٠٠ أنا غريبة يتيمة ، أرسف فى قيود الرق ، لكن همى الكبير هو أن أعرف: أراض أنت عنى أم غير راض ؟** »

ويقول راوى هذا الأثر ، ان « رابعة » سمعت اذ ذاك صوتا يهيب بها : « **لا تحزنى ! ففى يوم الحساب يتطلع المقربون فى السماء اليك ، ويحسدونك على ما ستكونين فيه** » !٠٠ وسواء صح انها سمعت الصوت ينساب من السماء ، أو ان حالتها النفسية صورت لها ذلك ، فان الثابت انه ادخل على نفسها سكينة وأملا ، فعادت الى دار مولاها ، وأقبلت على خدمته ـ فى النهار ـ طائعة ، محتملة قسوته وعنته فى صبر الذى يمنيه الأمل بقرب الفرج ٠٠ حتى اذا جن الليل ، لاذت « رابعة » بمخدعها ، وأبت على نفسها الرقاد، وفرغت الى القوة العلوية، فراحت تناجى ربها وتتقرب اليه بالفروض والنوافل ٠٠ الى ان كشف مولاها سرها ـ فى تلك الليلة ـ و رد اليها حريتها ، وخيرها بين المقام سيدة على الجميع ـ حتى عليه ـ أو الرحيل !

فهل تبقى ؟ ٠٠ ان كل شىء يحيط بها ـ اذا هى بقيت ـ كفيل بأن يذكرها بما كانت تدين به من عبودية لواحد من البشر ، وهى التى كانت تصبو الى ان تخلص الى التعبد لله ، والى ان تتجرد من الدنيا والناس ، لتخلو اليه وحده ٠٠ فلا سبيل الى البقاء اذن !

كم هى ضعيفة ٠٠ نفس الانسان !

◆ **وهكذا** رحلت « رابعة » ، وانطلقت فى سبيلها ، دون ما وجهة تبتغيها ، سوى وجه ربها ٠ ولكن المطالب المادية لا بد ان تلاحقها طالما بقيت فى الدنيا ، فكيف تعيش ؟٠٠ وكان من الطبيعى ان تتمشى مع ما فطرت عليه من مواهب مرهفة ، ومزاج شاعرى ، وميول روحية ، فتنصرف الى نوع من العمل الفنى الذى يرضى ميولها وروحها ٠٠ وساعدها على ذلك انها كانت من أصل فارسى ، ومعظم الفرس ينشأون على اجادة العزف على الناى ، وعلى اتقان فنون الطرب !

على ان طلب العيش لم يلبث ان شغلها عن غايتها الأولى ،

لا سيما وان الحرية كانت ـ فى حد ذاتها ـ انقلابا عظيما فى حياتها ، وتجربة لم يكن لها بها عهد أو خبرة ٠٠ كما ان جمالها الجذاب كان كفيلا بأن يفسح لها الطريق فى دنيا الفنون ، فتوغل فى هذا الطريق حتى تضل عن طريقها الأول ، وتبهرها الأضواء فتعشى عينيها عن هدفها الأصلى !

وما كانت تلك « النكسة » بغريبة أو مستغربة ، بل اننا لنراها فى حياة كثير من أهل التصوف والكفاح الروحى ٠٠ نراها ـ مثلا ـ فى حياة القديسة « تيريزا » ، التى عاشت فى القرن السادس عشر ٠٠ اذ انها لم تكد تغادر الدير الذى اعتصمت به من حياتها الأولى ، حتى عادت شواغل الدنيا ومباهجها فاجتذبتها من العبادة ، الى ان قدر لها ان تعود ثانية الى طريق الله ، فى سنة ١٥٥٥

ذلك لأن النفس بفطرتها نزاعة الى الحس والشهوات ، فاذا ما تاب المرء ، راحت تلح عليه وتوسوس اليه وهى ناقمة أن فرض عليها الحرمان ٠٠ ومن ثم فان التائب لا يلبث ان يرتد الى الملاذ يعب منها عبا ، حتى يتخم وتغثى نفسه ، شأن المعدة اذا اتخمت بالحلوى والدسم ٠٠ واذ ذاك ، تنام نزواته وشهواته ، وتستيقظ روحه النزاعة الى التسامى ، وتنشط أفكاره التواقة الى الارتفاع ، وينقم على الجسد الذى أثقله بأغلال الدنايا ، فيندفع الى ما فاته من سعى فى سبيل الحق والحقيقة ٠٠ ومن هنا ينشأ حال التصوف !

قلب طاهر ٠٠ يضل طريقه !

◆ **وعلى** هذا فقد انساقت « رابعة العدوية » ـ فى الفترة التى انصرفت فيها الى العزف على الناى والغناء ـ الى صحبة الرجال ! ٠٠ ولا شك ان عواطفها العارمة المشبوبة ضلت اتجاهاتها وقد أعشتها أضواء المجتمع وملاهيه ، فعرفت الحب مرات ومرات ٠٠ الحب الانسانى الذى لا بد ان يولد اذا ما تقرب

رجل الى امرأة اوتيت مثل ما كان لرابعة من شباب وجمال ، فى مجالس الطرب والشراب ! ٠٠ وكانت لها « ليالى أنس » ملاح ، توصل الليل بالصباح ، بين غناء وعزف وشراب !

ولكن ، هل رضيت روحها المتسامية بتلك الحال ؟

لا ريب فى ان « رابعة » كانت تثوب الى نفسها بين الحين والحين ، فتتنكر على نفسها تلك الحياة المغرقة فى الشهوات ٠٠ ولكنها لم تكن تجد من القوة ما يمكنها من مغالبة لجج تلك الحياة لتنجو من الغرق ! ٠٠ **أو لنقل انها كانت حائرة ، تائهة ٠٠ كان قلبها مجبولا على الحب ، ولكن قلة تجربتها جعلتها تضل الطريق ، فتنحرف عن الحب الذى كانت تبغيه ، الى حب آخر زيفته الشهوات ببراعة خدعتها واجتذبتها اليه !**

ونحن لا نجد ـ لسوء الحظ ـ مصدرا واحدا يشرح لنا فى اسهاب ووضوح ، ما كان يدور فى نفس رابعة من صراع فى تلك الفترة من فترات حياتها ، أو يحلل لنا مشاعرها بينما كانت تتنازعها الاتجاهات الروحية والغوايات الدنيوية

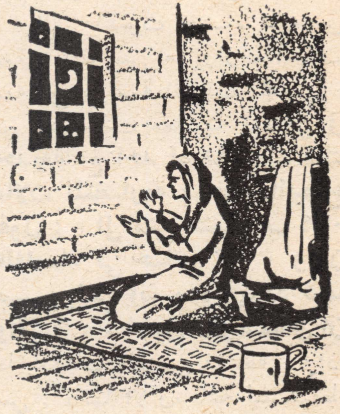
نداء الرب ٠٠ للقديس « أوغسطين » !

◆ **وقد** نجد عوضا عن هذا النقص فى الرجوع الى حياة القديس « أوغسطين » ، الذى عاش فى القرن الرابع الميلادى ٠٠ اذ تعرض لما تعرضت اليه « رابعة » ، لأن النفس الطموح ، الوثابة ، لا تعرف الا اندفاعا فى هذا السبيل أو ذاك ، ولكنها لاتعرف مسلكا وسطا ! ويروى القديس « أوغسطين » ـ فى كتابه المشهور « الاعترافات » ـ ما مر به فى طور المراهقة ، وما ساد صدر شبابه من جموح ، الى ان قدر له ان يعثر على كتاب «هورتنسوس» الذىوضعه الحكيم الأشهر «شيشيرون» ، فاذا نفسه تتجه الى حب الحكمة بدلا من حب الذات ، واذا الحكمة تسلمه الى المذاهب الدينية يتقلب بينها بحثا عن الحقيقة ، فلا يلبث ان يضل طريقه ويزل الى مذهب الشك ٠ ومن ثم

ارتاب أوغسطين فى وجود كل القيم، وفى مقدمتها «حقيقة الله» !
وكانت هذه هى « النكسة » التى اعترت حياة القديس أوغسطين . ولكنه ما لبث ان التقى بالقديس امبرواز - أسقف ميلانو - الذى أثر عليه ، وحمله على دراسة الكتاب المقدس ، فشغف برسائل القديس بولس ، وأخذت معانيها تتغلغل فى نفسه . **وفيما كان جالسا فى حديقة مع أحد أصدقائه - ذات يوم - ونفسه مضطربة بالانفعالات المتضاربة ، انهلت الدموع من عينيه ، و هب واقفا وهو يقول : « الى متى التسويف ؟.. لماذا لا تكون هذه اللحظة هى الفاصلة فى حياتى ؟ » . وكان بجواره - فى تلك اللحظة - صبى يغنى انشودة ويردد فيما كان يردده من كلماتها : « خذ واقرأ ! » ، فخيل لأوغسطين ان هذا الصوت نداء الهى** .. وأخذ الكتاب المقدس ففتحه ، واذا بصره يقع على قول القديس بولس : «انها الآن ساعة لنستيقظ من النوم .. قد تناهى الليل وتقارب النهار ، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور » .. واذ ذاك سرت السكينة الى نفس أوغسطين .. ولكنه كان يشعر دائما بأن معرفته بالله لم تأت الا متـأخرة ، فكان لا يفتأ يقول : « بعد لأى ما عرفتك يا الهى » !

الله محبتها ، ورجاؤها ، وراحتها !

◆ **كذلك** كان حال « رابعة » حين تابت ، فاتخذت لنفسها كوخا فى الجانب الغربى من مدينة البصرة ، بمنأى عن صخب الحياة . ولم تؤثث سكنها هذا بغير « كوز » وفراش من اللبد - (الشعر أو الوبر) - اتخذته مضجعا ومصلاة، ومشجب من قصب فارسى لم يكن يحمل شيئا من اللباس - لأنها لم تكن تملك سوى ما كان يستر بدنها - وانما حمل ذلك المشجب أكفانها لتكون أمام بصرها ، تذكرها بالموت فى كل لحظة !
هكذا رجعت رابعة العدوية الى الله ، وهجرت مباذل البشر



٠٠ رجعت كالعطشان الملهوف ، فأقبلت تعب من الحب القدسى ، وتتفانى فيه ، فكانت بدعا فى عبادتها وحبها ، فى عصر كان المتعبد لايتعبد الا ابتغاء الجنة ، أو خوفا من النار ٠٠ أما هى ، فكانت تناجى محبوبها قائلة : **« الهى ! ٠٠ اذا كنت أعبدك رهبة من النار ، فاحرقنى بنار جهنم ٠٠ واذا كنت أعبدك رغبة فى الجنة ، فاحرمنيها ٠٠ أما اذا كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمنى يا الهى من جمالك الازلى »** ! ٠٠ وكانت تنظم الشعر فى هواها الربانى قائلة :

حبك الآن بغيتى ونعيمى — وجلاء لعين قلب صادى
ان تكن راضيا على فانى — يا منى القلب! قد بدا اسعادى

وكانت تذكر فترة الغواية ، فتغرق فى التوبة ، وفى استغفار « الحبيب الأعلى » ، قائلة :

يا حبيب القلب ما لى سواك — فارحم اليوم مذنبا قد أتاكا
يا رجائى وراحتى وسرورى — قد أبى القلب ان يحب سواكا

تعذب جسدها ٠٠ امعانا فى التقرب لله !

◆ **ولا** يحار المرء فى سيرة قدر ما يحار فى سيرة هذه العاشقة ، المتعبدة ، التى قدر لها ان تسجل اسمها بحروف من نور روحانى فى تاريخ العشق والتصوف والأدب معا ! ٠٠ فهى قد خبرت الحب بنوعيه ، الشهوانى والروحى ، وتأرجحت بينهما ٠٠ ثم آثرت الحب الروحى ، فتدلهت فى حب الله ، وتفانت فى هذا الحب الى درجة انكار الذات والارادة ٠٠ وقد قيل ان رجلا سألها : « اننى قد اكثرت من الذنوب المعاصى ، فهل اذا تبت ، تاب الله على ؟ » ٠٠ فكان جواب رابعة : « لا ، ولكن ٠٠ لو انه تاب

عليك لتتبت أنت ! »

هكذا نراها تخرج عن ارادتها ، فتسلم نفسها لله يفعل بها ما يشاء ، راضية بكل ما تلقى فى حياتها ، مطمئنة الى مشيئة الله وارادته ٠٠ فهى لم تتفلسف ـ كما تفلسف سواها ـ فى شئون العدل الالهى ، أو حرية الارادة الانسانية ٠٠ بل انها لم ترجع فضل التوبة الى نفسها ، وانما أرجعته الى الله وحده !

وكان اقبالها على التعبد والتوبة اقبال الملهوف الذى فطن الى ما فاته فى لحظات الغواية ، فأمعنت فى تعذيب جسدها لتقطع كل ما بينه وبين البشر من علائق ، متطلعة الى الموت على أنه خلاصها الوحيد من الحماة التى ترددت فيها ! وأوغلت فى الاستغفار وقد استولى الحزن على نفسها ٠٠ الحزن لما كان منها من تقصير ، والحزن لأنها كانت تخال كل استغفار ناقصا لا يتلاءم مع ذنبها ، ولا يليق بمقام الله ، فكانت تقول : « ان استغفارنا يحتاج الى استغفار » ! ٠٠ وكانت تسهر الليل فى صلاة وتعبد ومناجاة ، وتقضى النهار صائمة لله شكرا ٠ وامتزجت عبادتها بعاطفتها الجامحة المتسامية ، وبشوقها الى الاتصال بمحبوبها الأعلى ٠٠ فكانت اذا جاء الليل ـ موعد الخلوات بين العشاق ـ خلت الى الله ، وقامت الى الصلاة قائلة : « الهى ! أنارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامى بين يديك ! » ٠٠ وتظل فى صلاتها حتى مطلع الفجر ، فتختتم مناجاتها قائلة : « الهى ! هذا الليل قد ادبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعرى ٠٠ هل قبلت منى ليلتى فأهنأ ، أم رددتها على فأعزى ؟ ٠٠ فوعزتك هذا دأبى ما أحييتنى وأعنتنى ، وعزتك لو طردتنى عن بابك ما برحت عنه ، لما وقع فى قلبى من محبتك » !

مريضة ٠٠ دواؤها الوحيد : رؤية الله !

◆ **أية** روعة فى هذا الهوى ٠٠ وهى تعاهد الله ان تحبه ولو

لم يتقبل حبها ! .. كانت كالعاشق المستهام ، لا يعبأ ان كان المحبوب يبادله عاطفته، وانما هو يمضى فى حبه .. يعشقه لذاته دون ماغاية أخرى ! وماأسمى تعبيرها وهى تجيب عندما سئلت عن حقيقة ايمانها : « **ما عبدته خوفا من ناره ، ولا حبا فى جنته ـ فأكون كالأجير السوء ـ وانما عبدته حبا فيه وشوقا اليه** » !

وكان هذا اللون من العبادة والتصوف بدعا جديدا فى الاسلام، لم يسبقها اليه أحد فى ذلك العهد ! .. ولعل خير تعبير عن هذا الاتجاه الذى استنته فى التصوف ، هو هذا الذى أورده المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق : « .. وعندما كان التصوف فى سذاجته لعهد رابعة ، لم يكن الحديث فى أمر المحبة الصوفية طريقا معبدا مأمونا . وقد تكون رابعة العدوية أول من هتف فى رياض الصوفية بنغمات الحب شعرا ونثرا » .. ثم يفسر العالم الكبير حزن رابعة فى غزلها الصوفى ، قائلا : « وليس هذا الحزن العميق فى نفس السيدة رابعة الا مظهر ما كانت تفيض به نفسها من الحب العميق . فالسيدة رابعة هى السابقة الى وضع قواعد الحب والحزن فى هيكل التصوف الاسلامى ، وهى التى تركت فى الآثار الباقية نفثات صادقة فى التعبير عن محبتها وعن حزنها . وان الذى فاض به الأدب الصوفى بعد ذلك ـ من شعر ونثر ـ فى هذين البابين ، لهو نفحة من نفحات السيدة رابعة العدوية ، امام العاشقين والمحزونين فى الاسلام » !

وقد سئلت مرة عن سر حزنها الدائم ، ونواحها الذى لم يكن ينقطع ، فأجابت : « **واحسرتاه ! ان العلة التى أشكوها ليست مما يستطيع الطبيب علاجه ، انما دواؤها الوحيد رؤية الله . وما يعيننى على احتمال هذه العلة الا رجائى أن أحقق غايتى هذه فى العالم الآخر** » !

وما أشبه هذا بقول القديس أوغسطين : « أموت من كونى لا أموت فأرى وجهك » ! .. أى تفان وأية تضحية ! .. لقد كان هذا الناسك المسيحى يشتهى الموت كوسيلة لتحقيق غايته

فى رؤية الله ، بعد أن يئس من تحقيقها فى الحياة !

وإذا أردنا ان نفهم معنى الحب عند رابعة العدوية ، فلننشد معها أبياتها المشهورة التى تصف فيها حبها للذات الالهية :

أحبك حبين : حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

فهى هنا تفرق بين نوعين من الحب ٠٠ أولهما ــ وهو حب الهوى ــ يتمثل فى حب الله من أجل ما أفاض عليها من هدى وما أكرمها به من شغل قلبها بذكره وحده دون سواه ٠٠ وأما النوع الثانى ، فهو حب الله لذاته مجردا عن أى غرض ٠٠ فهى بذلك قد سمت بالحياة الروحية ــ فى الاسلام ــ عن الزهد الذى كان قوامه خوف العقاب ورجاء الجزاء ، وفتحت للعابدين ميدانا جديدا من الزهد، دعامته حب الله لغير ما مطمع سوى الاستمتاع بالذات الالهية ٠٠ وهذا ــ ولا شك ــ أسمى آيات الحب ، وأرفع آيات التفانى ٠ فهى تقول فى مناجاة حبيبها الأعلى :

يا سرورى ومنيتى وعمادى وأنيسى وعدتى ومرادى
أنت روح الفؤاد ، أنت رجائى أنت لى مؤنس وشوقك زادى

المتصوفون ٠٠ يتبعون رائدة العشق الربانى !

◆ **وكانت** الغاية الكبرى من هذا العشق ــ لدى رابعة ــ هى مطالعة وجه الله ، ومشاهدة جماله السرمدى ٠٠

وقد لا يكون ثمة خلاف فى ان « رابعة » كانت تشبه الكثيرين من زهاد عصرها ــ وما قبل عصرها وبعده ــ فى تبلور الزهد حول معنى أبسط ما يقال فى التعبير عنه انه عزوف عن الحياة الدنيا ، وزهد فى متعها ، ونأى عن أهلها ، تفرغا للعبادة المنبعثة عن حب الله والشوق للقائه ٠ ولكن الذى تمتاز به رابعة على كل من سبقها ، هى انها كانت أجرأ المتصوفين وأسبقهم الى استخدام لفظ « الحب » صريحا ، وتوجيهه الى الذات العلية ،

ومناجاته بذلك التعبير الرائع الذى تنطق به آثارها المنظومة والمنثورة . **وهكذا فتحت « رابعة » فى تاريخ الحياة الروحية الاسلامية فتحا جديدا ، فاذا الزهاد والمتصوفون - الذين عاصروها - يقتبسون عنها صراحة التعبير بالحب ، ويقتدون بجرأتها فى مناجاة الله مناجاة عاشق متيم مستهام .. وما لبثت كلمة « الحب » ومترادفاتها ومشتقاتها ان شاعت بين المتصوفين الذين تعاقبوا بعد رائدة العشق الربانى !**

وكان الطريق الذى انتهجته « رابعة » فى تصوفها شاقا ، طويلا ، مليئا بالصعاب، يظل الانسان يضرب فيه، وقد لا يصل الى نهايته ! .. اذ لا بد لمبتغى الوصول من ان يعكف على روحه فيطهرها ، وعلى عقله فينقيه ، وعلى بدنه فيقتل شهواته ونزواته .. ومن ثم ينصرف عن الدنيا وعلائق البدن ، ويستغرق فى رياضات الروح والنفس والعقل ، حتى يخلص من حيوانيته ، ويصبح كيانا روحيا خالصا .. أى ان يتشبه عاشق الله بالذات الالهية !

ولقد انطلقت رابعة فى هذا الطريق الشاق ، غير عابئة بمتاعبه ، غير مشفقة على نفسها .. فراحت تصلى حتى جف عودها ، وأسرفت فى الصوم حتى اسود لونها .. ولكنها اكتسبت بدل ما فقدته من كيانها المادى روحانية مشرقة، أضاءت بصيرتها وقلبها . **ولم تلبث ان نسيت تلك النفس - نفسها - تماما ، ففنيت فى محبوبها القدسى الأعلى ، وخلصت اليه عن كل ما عداه ، ولم تعد ، اذ تجردت من ماديتها ، تستشعر ألما أو تعانى ارهاقا ..** وانقطعت كل صلاتها وشعورها بالعالم الخارجى - أو بالاحرى بالعالم الدنيوى - اذ شغلت بالله عن كل شىء !

واستطاعت ان تصل الى المرحلة التى غابت فيها تماما عن العالم الحسى ، فكأنها تسبح فى فضاء من روحانية ونور .. واذا جسدها الفانى يصبح غريبا عنها على الأرض ، تنكره وتتنكر له ! وبدا كما لو كان جثة هامدة لا تمت اليها بصلة ،

حتى ان شظية من قصبة من الغاب دخلت عينها ذات مرة وهى تسجد أثناء استغراقها فى الصلاة ، فلم تشعر بها الا بعد ان فرغت من صلاتها !

مساكين ٠٠ أهل الجنة !

◆ **ومع** صفاء روحها ، بدأت الاشراقة الروحية تعكس أنوارها على فكر « رابعة » وتأملاتها ، فنهجت فى الاجتهاد الدينى مناهج لم يطرقها أحد قبلها ، مما جعل بعض الباحثين يرمونها بالاجتراء على الله !٠٠ **وهو زعم لا يحتاج الى دحض ، فان الاسلام دين تسامح ومرونة واجتهاد ٠٠ كما ان « رابعة » التى كانت تهيم بالله لذاته، دون مطمع ولا غاية ، لم تكن بالتى تجسر على الاجتراء على مولاها واغضابه !**

وكان أهم ما أثار المتزمتين ضدها ، هو تفسيرها للآية القرآنية : « ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون » ٠٠ فقد كان المفسرون فى ذلك العهد يرون ان شغل أهل الجنة هو اجتناء ما أعد لهم الله فى الآخرة من جزاء ، وان المعنى المقصود من كلمة « فاكهون » هو « افتضاض الأبكار » اللائى وعد الله بهن عباده المخلصين ٠٠ وهو تفسير نلمس فيه التأثر بالماديات، وقد غاب عن أصحابه ان آيات القرآن قد تأتى معبرة عن أشياء حسية ، ولكن هذا التعبير هو من قبيل المجاز لتقريب المعانى الى أذهان أهل الدنيا

وحدث ان سمعت « رابعة » ـ يوما ـ قارئا يتلو هذه الآية ، فاذا بها تذكر التأويل الحسى الذى ذهب اليه المفسرون ، فثارت روحها المتسامية ، وتأذى ذوقها الرفيع ، وقالت فى سخرية لاذعة : « مساكين أهل الجنة ٠٠ فى شغل هم وأزواجهم » !٠٠ **وكانت بهذه السخرية تعلن استنكارها لانزلاق المفسرين الى ظاهر المعنى دون باطنه ، فكأنما أهل الجنة لا يجدون ما يشغلهم فيها سوى الانصراف الى الملاذ الحسية !٠٠** ولكن المتزمتين أخذوا

عليها ما استنكرته ، وزعموا ان الآية تعنى بالفعل انصراف أهل الجنـة الى الاستمتاع بالأبكار ، وان استنكار « رابعة » ينطوى على نقد للقرآن ، وليس للتفسير الخاطىء الذى ذهب اليه المفسرون !

ترفض الزواج .. من أمير البصرة !

◆ **ولقد** أخطأ بعض المؤرخين فزعموا أن «رابعة» قد تزوجت .. والواقع انهم خلطوا فى ذلك بين سيرتها وسيرة « رابعة » أخرى من الشام .. أما « رابعتنا » العدوية البصرية ، فكانت ترى الزواج من أكبر الخطايا التى يمكن ان يرتكبها العابد المخلص الذى آثر الله وحده بحبه ، وكرس حياته لعبادته !

على أنه اذا كان تبتل « رابعـة » قد منعها من أن تفكر فى الزواج ، الا انه لم يصد بعض الرجال عن طلب يدها .. وكان بين خطابها متصوفون ، كما كان بينهم رجال دنيا .. فقد خطبها «عبد الواحد بن زيد» ـ وكان شيخا صوفيا عظيم القدر والشأن ـ فلما فاتحها ، هجرته أياما ،حتى شفع له عندها بعض اخوانه، فأذنت له بالدخول عليها ،وبادرته قائلة : « **يا شهوانى، اطلب شهوانية مثلك ! .. أى شىء رأيته فى من آلة الشهوة ؟** »

وحاول « محمد بن سليمان الهاشمى » ـ أمير البصرة ـ ان يخطبهـا ، على علو شأنه وسـلطانه ، وعرض مائة ألف درهم كصداق ، وقال : « لى غلة عشرة آلاف درهم فى كل شهر ، أجعلها لك » ، فكتبت اليه تقول : « ما يسرنى انك لى عبد ، وان كل مالك لى ، مقابل ان تشغلنى عن الله طرفة عين » ! .. وقيل فى رواية أخرى ، انه سـاق اليها كبراء البصرة ، وانهـا قالت فى كتابها اليه : « أما بعد ، فان الزهد فى الدنيا راحة البدن ، والرغبة فيها تورث الهم والحزن ، فهيىء مزادك وقدم لمعادك ، وكن وصى نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تركتك ، وصم الدهر واجعـل فطرك الموت . وأما أنا ، فلو

خولنى الله أمثال ما حزت وأضعافه ، لم يسرنى ان أشتغل عن الله طرفة عين ٠٠ والسلام » !٠٠ وأنشدت تقول :

راحتى ـ يا اخوتى ـ فى خلوتى وحبيبى دائمـا فى حضرتى
لم أجـد لى عن هواه عوضا وهـواه فى البـرايا محنتى
يا سرورى وحيـاتى دائما نشأتى منك وأيضـا نشوتى
قد هجـرت الخلق جمعا أرتجى منك وصلا ، فهو أقصى منيتى !

التصوف ٠٠ بين الاسلام والمسيحية !

◆ **ذلك** كان موقف « رابعة » من الزواج ، وهو رأى غريب على الاسلام الذى قال نبيه لعبد الله بن عمرو بن العاص : « ألم أخبر انك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ » ، فلما أجابه عبد الله بالتأكيد ، قال له الرسول عليه السلام : « فلا تفعل ! ٠٠ صم وافطر ، وقم ونم ، فان لجسدك عليك حقا ، وان لعينك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لزورك (زائريك) عليك حقا ، وان بحسبك ان تصوم كل شهر ثلاثة أيام ، فان لك بكل حسنة عشرة أمثالها ، فان ذلك صيام الدهر كله »

بل ان النبى محمد ـ عليه السلام ـ ضرب بنفسه المثل على ان لرجل الدين ان يتزوج وان يعمل لدنياه ، دون ان يشغله ذلك عن العبادة والعمل للآخرة ٠ ولكن الاغراق فى التصوف الى درجة الزهد فى الزواج ، كان طابع التصوف فى عهد « رابعة » ، حتى لقد قال « حسن البصرى » ، رائد الزهد فى ذلك العصر : « اذا أراد الله بعبد خيرا فى الدنيا لم يشغله بأهل ولا ولد » ، كما قال مالك بن دينار ـ وكان من أئمة متصوفى العصر : « لايبلغ الرجل منزلة الصديقين ، حتى يترك زوجته كأنها أرملة » !

ولعل هذه كانت روح العصر كله ، لدى المتصوفين والزهاد فى جميع الأديان ٠٠ **فالذين أطلعوا على تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، يذكرون ان رجال الدين المسيحى كانوا يذهبون الى ان الزواج مجرد وسيلة لاسباغ صبغة شرعية على « خطيئة حب**

الرجل والمرأة » ! وكانوا فى مغالاتهم يرون ان اتصال الرجل بزوجته لمجرد المتعة « دون انجـــاب الولد » اثم ، وان أقوى التجـارب التى يخوضها النـاس للتقرب الى الله ، هى تجربة « الزوجين اللذين يقاومان رغبات البدن ، ويعفان عن الاتصال الجنسى » !

لقاء « الحبيب » ٠٠ بعد طول انتظار !

◆ **على** ان فى حياة « رابعة » ما يوحى بأنها لم تكن على علم بهذه الاتجاهات الصوفية المتطرفة ٠٠ وان اعراضها عن الزواج انما كان منبعثا من تلقاء نفســها ٠٠ فهى لم تغرق فى الزهد والعبادة الا لأنهـا أحبت الله لذاته ، دون نظر الى جزاء ٠٠ أحبته بكل معانى الحب ، وفنيت فيه حتى لم يعد فى بالها ولا فى قلبها متسع لانسان !

وقد ظلت واقفة نفسها عليه ، عاكفة على التعبد والصلاة ، سادرة فى زهدها الدنيا والناس ، حتى أشرفت على الثمانين ، وأشفق الرحمن الرحيم عليها من اسرافها على نفسها فى هذه السن ، وقد تضاءل كيانها ، فلم تبق منه سوى كومة من عظام تحت جلد مشدود ٠٠

وفى سنة ١٨٥ من الهجرة ، دعاها « محبوبها » الى جواره٠٠

ولقد قيلت بعد موتها روايات عن ظهورها فى المنام لبعض الصالحين والصالحات ، وهى تنعم فى الآخرة بخير منزلة ٠٠ وكانت هذه الروايات تقع موقع اليقين من النفوس ٠ **وسـواء أكان فى العـلم الحديث ما يبيح لنا تصـديق هذه الروايات أو اعتبـارها من قبيل الأوهام ، فان المؤكد ان « رابعة » كانت صادقة فى حبها لله ، مجردة من أى أمل فى ثواب ، أو رهبة من عقاب ٠٠ فكانت بذلك أعجب وأقدس عاشقة فى التاريخ ٠٠ العاشقة التى سمت بحبها ، فلم تشأ ان توليه انسانا ، وانما وقفته على أقدس ذات ٠٠ على الله !**



تلخيص : محمد بدر الدين خليل

الكاتب الذى تعتبره بلاده « علما قوميا » لها !

◆ ينتقل بك « كتابى » اليوم الى ميدان جديد من ميادين الادب ، لم نرتده معا من قبل ، وهو ميدان الادب النرويجى ٠٠ وما أقل ما نعرفه عن ذلك الميدان ! ٠٠ على انك اذ تتعرف عليه اليوم ، لن تتمالك ان تشعر بأن طبيعة تلك البلاد ، ذات الجليد الأبيض الناصع، تخلع طابعها البسيط على أدب القوم ٠ فأنت تلمس فى القصص النرويجى بساطة الفطرة ، ونقاء البداوة ، وطهر النفوس التى لم يفسدها دخان الحضارة الصناعية ٠٠ أو لم يكن قد أفسدها بعد ،عندما أضاف نفر من الكتاب النرويجيين بعض الروائع الى شوامخ الأدب الكلاسيكى العالمى ، فى القرن الماضى ومطلع القرن الحاضر

و « بيورنستيرنى بيورنسن » - مؤلف قصة اليوم - ولد فى ٨ ديسمبر سنة ١٨٣٢ ، واتجه الى الأدب والنقد المسرحى وهو يتلقى دراساته الجامعية ٠ ونشر أولى مسرحياته « بين المعارك » فى سنة ١٨٥٧ ، ولم تنقض أربع سنوات حتى عين مديرا للمسرح القومى فى كريستيانيا ٠٠ وكان له نشاط خلد اسمه فى الميدان السياسى ببلاده ، اذ كان رئيسا للحزب الجمهورى فى النرويج ٠ والى جانب المسرحيات الرائعة ، كتب « بيورنسن » عددا من الروايات والقصص التى أهلته لأن يفوز بجائزة نوبل للآداب فى سنة ١٩٠٣ ٠٠ وتوفى فى ٢٦ ابريل سنة ١٩١٠ ، بعد ان جعل من حياته عهدا جديدا فى الأدب النرويجى ، امتاز بتسليط الاضواء على حياة الفلاح ٠ وقد أجمع النقاد على انه أعظم روائى نرويجى امتاز انتاجه بطابع قومى محض ، حتى لقد قال أحد النقاد : « ان ذكر اسم بيورنسن فى مجلس من قومه بمثابة رفع العلم القومى فى وسطهم ! »

١ — مؤلف الاغانى

◆ فى قرية (كامبين) ولد «أرنى» ٠ وكانت أمه « مارجيت » الابنة الوحيدة لصاحبى المزرعة الجاثمة بين التلال ٠ وقد حدث

عندما كانت فى الثامنة عشرة من عمرها ، أن تأخرت ذات ليلة فى حفلة للرقص ، بينما انصرفت لداتها وتركنها ، فرأت ان مبادرتها بالعودة الى المزرعة لن تنقص شيئا من المسافة التى كان مقدرا عليها أن تسيرها وحدها ، ومن ثم لم تجد بأسا فى البقاء حتى نهاية الحفلة! .. وهكذا بقيت« مارجيت » حتى ألقى « نيلز سكريدر » - العازف على المزمار - مزماره ، كما كانت عادته اذا تناول من الخمر فوق طاقته ، وترك الراقصين يعزفون أنغامهم بأصوات منبعثة من أفواههم ، ثم خاصر أجمل فتاة استطاع أن يصل اليها ، وراح يتحامل على ساقيه محاولا مراقصتها ، متعمدا أن يركل بكعب حذائه قبعة أطول الحضور قامة ، وهو يقهقه !

وكانت تلك الجميلة هى .. « مارجيت » !

وعندما سارت « مارجيت » وحيدة فى طريقها الى دارها ، فى تلك الليلة ، كان البدر ساطعا ، يعابث الجليد بأشعته فى حنان. فلما بلغت « مارجيت » كوخها ، واستلقت على فراشها ، لم تقو على أن تحول بصرها عن القمر الذى كان يطل عليها خلال نافذتها ..

وعندما أقيمت حفلة الرقص التالية ، فى الأبرشية ، حرصت « مارجيت » على حضورها . ولم تكترث للرقص فى تلك الليلة ، وانما ظلت جالسة تصغى الى الموسيقى . ولكنها لم تلبث أن فطنت الى نفسها وقد راحت تراقص الزمار « نيلز سكريدر » ، بعد أن طرح مزماره بعيدا ..

★ ★ ★

◆ **ولم** يلبث الدفء أن سرى فى الجو . وأقبل الربيع ، ولكنه لم يشهد أية حفلات راقصة .. ثم أقبل الصيف . وفى ذات يوم من أيام الآحاد ، قصدت «مارجيت» الى الكنيسة فى صحبة أمها . وما أن احتواهما البيت ثانية - بعد عودتهما - حتى

أحاطت الأم ابنتها بذراعيها ، وهتفت : « لا تخفى عنى شيئا يا صغيرتى ! »

وأقبل الشتاء من جديد ، ولكن « مارجيت » لم تعد تتردد على الحفلات الراقصة • أما « نيلز سكريدر » فقد ظل يعزف على مزماره ، وأصبح يسرف فى تناول الخمر أكثر من ذى قبل ، ويختتم الحفلات بمراقصة أجمل فتاة من الحاضرات • وكان يقال – عن حق – انه كان قديرا على أن ينال من ابنة أى فلاح ، كل ما يشتهى ، وان « بيرجيت » ابنة « بوين » كانت مريضة بهواه !

وفى تلك الفترة ، ولد فى المزرعة الصغيرة الجاثمة بين التلال ، طفل حملته أمه « مارجيت » الى كنيسة الأبرشية ليعمد •• وقيل ان أباه كان « نيلز سكريدر » !

وشوهد « نيلز » فى مساء يوم التعميد فى حفلة زفاف ، وقد عافت نفسه العزف على المزمار ، وأخذ يعب الخمر عبا ، ويرقص طيلة الليل • ولكنه حين سأل « بيرجيت بوين» أن تراقصه قوبل بالرفض ، فتحول وشد أقرب حسناء اليه ، ثم راح يراقصها • وقبلت « بيرجيت » بدورها أن تراقص شابا تقدم اليها •• واذ ذاك ، تراجع « نيلز » وافترق عن زميلته ، وانهمك وحده فى رقصة عنيفة ، ثم انسحب الى الخارج وانكفأ على الأعشاب وراح يبكى !

★ ★ ★

• **ومكثت** « مارجيت » فى دارها مع وليدها • وكانت تسمع أنباء « نيلز » وهو يتردد على الحفلات الراقصة •• وأخذت السنوات تمر تباعا ، فلم يلبث وعى « أرنى » – الصغير – أن تفتق ، واذ ذاك عرف ان أباه هو « نيلز سكريدر » • وفى العام السادس من عمر الطفل ، أقبل على القرية اثنان من الأمريكيين ، فبهتا لبراعة « نيلز » عندما رأياه يرقص فى احدى حفلات



الزفاف ، وعرضا عليه أن يلتحق بخدمتهما بأى أجر يطلبه . ثم أمهلاه أسبوعا ، ووعداه بأن يعودا الى القرية ليصطحباه . وأصبح نيلز رجل الساعة ، اذ غدت سيرته على كل لسان وصار ملتقى الأنظار طيلة حفلة الزفاف . **فلما استؤنف الرقص بعد انصراف الأمريكيين ، تلفت نيلز واستعرض الفتيات الموجودات ثم بسط يده الى بيرجيت بوين ، فبسطت له يدها .. واذا به يتجاهل هذه اليد ، ويوليها ظهره ضاحكا ، ويحيط خصر الفتاة المجاورة ، ثم يمضى بها راقصا فى مرح وهو يقهقه !**

وامتقع وجه بيرجيت ، بينما تناول يدها رجل طويل ، مليح الوجه - كان يقف الى جوارها - واجتذبها الى ساحة الرقص . ولمح نيلز ما جرى ، فانهمك فى رقصه متحديا ، وأخذ يدور فى حركات عنيفة ، حتى ارتطم ببيرجيت وزميلها فأوقعهما على الأرض ! .. ونهض الرجل الطويل المليح ، ثم سار الى نيلز وجذب ذراعه وهوى بقبضته على وجهه فى لكمة قوية .. **ووقع نيلز على ظهره فى عنف ، فلما حاول أن يقف ، تبين انه لا يقوى .. فقد أصيب فى ظهره اصابة بالغة !**

وفى تلك الأثناء ، كانت أم « مارجيت » قد وفقت الى دفع آخر ما تبقى على مزرعتها من دين .. وكأنما كانت تعيش من أجل هذه الغاية ، فلما بلغتها لم يعد ثمة داع لبقائها على قيد الحياة .. اذ لم تلبث أن وقعت فريسة مرض أوردها حتفها !

ولم يكن قد انقضى على وفاتها سوى أسبوعين حين حمل ستة من الرجال نيلز على محفة ، ونقلوه الى المزرعة ، وهو مسجى

على ظهره ، وقد شحب وجهه ! ٠٠ وفى الربيع التالى ، عقد قران نيلز ومارجيت ٠ وكانت صحة الزمار قد انهارت ، بيد ان قسطا من القوة بقى له ، فكان فى وسعه أن يعمل فى الحقول ، وأن يقوم ببعض المهام البسيطة ٠ وحدث فى عصر أحد الأيام أن خرج نيلز للنزهة مصطحبا ابنه « أرنى » ، فاذا بهما يصادفان موكب عرس ، تألف من أربع عشرة عربة ٠٠ وظل نيلز واقفا فى مكانه مسمرا فترة طويلة ، وعيناه تلاحقان عربة العروسين٠ وقضى باقى يومه واجما ، عابسا ٠ وقبيل العشاء بقليل ، بارح البيت ، فلم يعد الا فى منتصف الليل ٠٠ وكان ثملا !

ومنذ ذلك اليوم ، أصبح نيلز يتردد على القرية باستمرار ، ويعود ثملا مخمورا ٠ وأخذ يلوم « مارجيت » على الحياة التعسة التى كان يعيشها ٠٠ وتعود أن يسبها ، وأن يصفعها ، وأن يوسعها ضربا ٠٠ ثم كان لا يلبث أن يستسلم لنوبات من الندم المرير !

وعندما كبر أرنى ، أخذ نيلز يصحبه الى حفلات الرقص ، ويعلمه كافة أنواع الأغانى ٠٠ كما علمته أمه القراءة ٠ فما أن بلغ الخامسة عشرة ، حتى صارت أمنيته أن يتنقل من بلد الى بلد ، وأن ينظم الأغانى !

★ ★ ★

◆ **وأخذت** الحال تزداد سوءا فى بيت الأسرة ٠٠ فان نيلز كان يزداد اسرافا فى الشراب ، وانسياقا للانفعال والعنف ، كلما تقدمت به السن ٠ وكثيرا ما اضطر أرنى الى البقاء بجواره يسليه ويؤنسه ، ليمكن « مارجيت » من أن تحظى بساعة من الهدوء والسكينة ٠ على ان أرنى لم يلبث أن شعر ببغض نحو أبيه ، فكان يكتم شعوره فى حنايا صدره ، كما كان يكتم حبه لأمه فى سويداء فؤاده !

ولم يكن له سوى صديق أوحد ، هو « كريستن » ، ابن أحد

ربابنة السفن ٠٠ فكان أرنى يتحدث مع كريستن عن الكتب والأسفار ٠ بيد ان الأقدار لم تلبث أن حرمت أرنى من هذا الصديق ، اذ اضطر كريستن الى مبارحة القرية ليعمل فى البحر ٠ وهكذا بدأ أرنى يعانى الوحدة ، وبدت له الحياة ثقيلة ممضة ، فكان ينفث همه وضيقه فى أغان ينظمها ٠٠ ولولا أمه ، لهجر المزرعة وقرية (كامبين) ، بل لهجر الاقليم كله ٠٠ ولكنه كان يخشى أن يترك تلك الأم المهيضة الجناح ، تحت رحمة أب سكير شرس !

وحدث ذات مساء أن ذهب نيلز الى حفل زفاف ، ثم عاد فى ساعة متأخرة من الليل ، وهو ثمل كعادته ٠ وكانت مارجيت قد أوت الى فراشها ، بينما ظل أرنى مستيقظا ، يقطع الوقت فى القراءة ، ريثما يعود أبوه ٠ وما أن وصل نيلز ، حتى خف اليه الفتى ، فأعانه على صعود درجات السلم ٠ **واذا الرجل يمضى فى ترديد بعض آيات من التوراة ، ويسخط على الدرك الذى انحط اليه ، ويبكى كما لو كانت الخمر التى أسرف فى احتسائها قد تحولت الى دموع ! ٠٠ وكأنما أحنقه أن يتردى بينما كانت مارجيت سادرة فى صبرها وتجلدها ، تحتمل شراسته وعنفه فى ترفع وقناعة ٠٠ كأنما أحنقه أن شعر انه دونها ، فاذا به يسير الى الفراش ، ويضع أصابعه على رقبة مارجيت !**

وعبثا صاح الفتى وأمه يهيبان بنيلز أن يرعوى ، فان الثمل لم يحفل بصرخاتهما ٠ واندفع أرنى الى ركن من الغرفة تناول منه فأسا ٠٠ وفى اللحظة ذاتها ، خر نيلز على الأرض ، وأرسل صرخة ثاقبة ، ثم همد حراكه ، وجمد جسده ٠ وظلت الأم وابنها طيلة الليل ساهرين الى جوار جثة الميت ، وقد داخلهما ارتياح غامر ٠٠

٠ وقال أرنى ببساطة : « لقد سقط من تلقاء نفسه ! » ٠٠ ولأول مرة ، فطنت مارجيت الى الفأس ، فاستولى عليها الجزع ، وقالت : «حمدا لله على أنك لم تمسها » ٠ وانهمرت دموعها وهى

تردف قائلة : « ولكن ، تذكر ياأرنى اننى لم أحتمل مااحتملت الا من أجلك أنت ٠٠ فلا تهجرنى وتتركنى وحيدة ! » ٠٠ وهنا صاح الفتى بحرارة : « لا يا أماه ٠٠ لن أفارقك قط ! »

٢ — نداء الجبال

• **وشب** أرنى خجولا ، منطويا على نفسه ، منصرفا الى رعى الماشية ونظم الأغانى ٠ وما أن بلغ العشرين حتى أخذ راعى الكنيسة يعيره الكتب ، فكان يجد فى قراءتها متعته الوحيدة ٠ وكم من مرة تمنى لو يقرأ على أمه بصوت مرتفع ماكان يروق له ، ولكنه لم يكن يقوى على مغالبة حيائه ! ٠٠ وكم من مرة ود لو يسمعها أغانيه عندما كان الهامه يمليها عليه ، ولكنه كان يحجم !

وكان القوم يفدون ليسمعوا أغانيه ، ويغتبطوا بالتقرب اليه ومجاذبته الحديث ، ولكن أرنى كان خجولا ، يستحيى من الناس وينأى عنهم ٠ وأخذ يقضى أيامه الى جوار أمه ٠ **وكان فى صدره مطلع أغنية استعصى على الهامه أن يسعفه ببقية لها : « على ذرى الجبال الشاهقة » ! ٠٠ وعبثا حاول أن يتم الأغنية !**

وكان ثمة عامل زراعى يدعى « أبلاند كنوت » كثيرا ما عمل أرنى معه ٠٠ ولميكن لهذا الرجل أهل ولا أصدقاء ، وكلماسأله أرنى : « أفليس لك من يحبك اذن ؟ » ، أجاب : « آه ، لا ! ما من أحد ! » ٠٠ فكان أرنى اذ ذاك يفكر فىنفسه ، وفيما يلقاه من رعاية أمه ، فيزداد حبا لها ، ويسائل نفسه : « ماذا يكون من أمرى اذا أنا فقدتها ولما أكافئها أو أوفيها حقها ؟ » ٠٠ ومن ثم كان يهرع الى البيت ، فيحنو على أمه ، ولا يطمئن حتى يراها فى فراشها ، وقد استسلمت للنعاس فى هدوء وطمأنينة ، كطفل فى رعاية أبيه ٠٠ وأصبحت الأم والابن متلازمين ، يقضيان معظم أوقاتهما معا !

وفى ذات مساء ، اتفقا على أن يذهبا معا الى حفلة عرس فى مزرعة مجـاورة • ولأول مرة فى حياته ، نسى أرنى نفسه ، وأسرف فى تناول الشراب ، وظل سحابة النهار التالى نائما فى مخزن الغلال • فلما استيقظ ثار عليه ضميره وأوسعه تأنيبا •• **ولاح له أن عيبه الأكبر هو الجبن •• فقـد صاحبه الجبن منذ الصغر ، وهو الذى كان يمنعه من أن يقف الى جوار أمه ـ عندما كان أبوه يعنف معها ـ ويرده عن مبارحة الدار ، ويصده عن مخالطة الناس •• كان الجبن هو الذى أغراه عـلى الافراط فى الشراب فى الليلة السالفة ، وهو الذى بث فى نفسه الخجل •• ولولا هذا الخجل لكانت قصائده وأغانيه على كل لسان !**

وبحثت مارجيت طويلا عن ابنها ـ غداة ليلة العرس ـ حتى عثرت عليه أخيرا فى مخزن الغـلال • وكان أسباها بالغا ، اذ ذكرت ان الخمر كانت علة أبيه الكبرى • وتألم أرنى كل الألم لما سببه لها من حسرة ، فراح يحاول جاهـدا أن يسكن من شجونها ، وأن يسرى عنها هواجسها ، وأقسـم أن يعمل على ارضائها ، وأن يضاعف من ربط حياته بحياتها • ولكم أثر فى نفسه ان رأى أمه تتألم لما تولاه من ندم ، فاذا حبها يدفعها الى أن تلحف فى استغفاره والاعتذار اليه ، وكأنما ارتكبت ذنبا جسيما • وعندما ألحت فى سؤاله أن يصفح عنها ، قال لهـا : « بل انا الذى استغفرك يا أماه ! » ، فضمته الى صـدرها وهى تتمتم فى حرارة : « بارك الله فيك يا عزيزى الحبيب ! »

★ ★ ★

• **منذ** ذلك اليوم تضاعف هناء الأم وابنها ، وشرع أرنى يرمق الناس فى عطف وود أخذهما عن أمه •• ولكنه ظل يهيم فى الفضاء وحيدا ، وقد خالجت نفسه نوازع خفية ، وألوان من الحنين لم يكن يدرك كنهها أو مراميها • وفى عصر ذات يوم من أيام الصيف ، سـعى الى ضفة البحـيرة السـوداء ، وجلس

مستخفيا وراء بعض الأشجار ، وراح يسرح البصر فى ماء البحيرة الداكن العميق ، وفى التلال المواجهة ، والمساكن المتناثرة فى الوادى

وفجأة ، سمع أصواتا على مقربة منه ، وما لبث أن أدرك أن ثمة فتاة ـ بدا من صوتها انها صغيرة السن ـ تشكو فى تذمر اضطرارها الى مبارحة الأبرشية ، الأمر الذى سيحرمها من صحبة « ماتيلد » ابنة راعى الكنيسة • وأدرك الشاب ان الشخص الذى كان مع الفتاة هو أبوها ، وانه كان يصر على ان يصطحبها معه فى رحلة كان مقدما عليها • وما لبث أن سمع صوتا حادا ، عاليا ، يصيح : « هيا يا بآرد •• اسرع • ادفع المركب والا فلن نبلغ مقصدنا قبل أن يهبط الظلام ! » •• وأعقب ذلك قرقعة عجلات عربة ، ثم لمح أرنى ـ خلال الأفنان ـ ذلك الرجل الذى كان يدعى « بآرد » وقد حمل صندوقا من العربة الى الزورق ••

وما لبثت ماتليد ـ ابنة القس ـ أن أقبلت مهرعة ، وهى تصيح : « **ايلى •• ايلى ! » •• ورأى أرنى من مخبأه فتاة فى مقتبل الصبا تخف الى لقائها •• وتعانقت الفتاتان ، وراحتا تبكيان • ثم دفعت ماتيلد الى الفتاة الأخرى بطائر فى قفص ، وهى تقول : « يجب أن تأخذى هذا •• ان أمى تلح عليك فى أخذه • أجل ، لابد من أن تأخذيه حتى يذكرك بى ! » ••**

وكانت النداءات تنبعث من القارب : «ايلى ! •• هيا يا ايلى !» • وان هى الا لحظة حتى أبصر أرنى بالزورق ينساب على صفحة البحيرة ، وقد وقفت « آيلى » فى مؤخرته ممسكة بقفص الطائر باحدى يديها ، بينما راحت تلوح بيدها الأخرى لماتيلد مودعة •• وتبعت عينا أرنى القارب ، حتى بلغ الضفة المقابلة ـ عبر البحيرة ـ وبارحه الأب وابنته فسارا الى أكبر دار على تلك الضفة وولجاها

أما ماتيلد ، فقد ظلت جالسة على الضفة ـ التى كان أرنى

يقبع خلفها ـ فترة ، ثم نهضت منصرفة ٠ وبقى أرنى وحيدا ، يتمثل صورة ايلى على صفحة ماء البحيرة ! ٠٠ وظل شارد البال حتى انتبه الى الشمس وهى تنحدر للمغيب ، فنهض عائدا الى داره ، وقد خامره شعور غريب ! ٠٠ ومنذ ذلك اليوم ، أخذ خياله يحوم حول الحب والكواعب الحسان ، وراح يتمثل الغوانى خلال الأغاني القديمة ، كما كان يتمثل طيف ايلى على صفحة البحيرة !

* * *

◆ **وانبثق** فى أعماق أرنى لونان من الحنين : حنين الى أن يحب وأن ينعم بالحب ٠٠ وحنين الى أن يقوم بعمل جليل عظيم ! ٠٠ وما لبثت الرغبتان أن اختلطتا فى نفسه وامتزجتا وأصبحتا حنينا واحدا ، عارما ، طاغيا ٠ ومرة أخرى ، عاوده مطلع الأغنية التى لم يستطع أن يتمها ٠٠ الشطرة التى طالما ترددت فى خياله دون أن يجد لها ما يتمها : « على ذرى الجبال الشاهقة » ! ٠٠ وراح يقلبها ويحولها ويديرها فى رأسه ، دون أن يسعفه شيطان الشعر بشىء ٠ ولكنه لم ييأس ، بل كان لايفتأ يقول لنفسه : « لسوف يحملنى هذا المطلع يوما الى الترحال ، بحثا عن تتمة للقصيدة ! »

وصح ماتنبأ به أرنى لنفسه ، اذ لم يلبث أن بارح القرية وراح يتنقل بين البلدان ٠ على أنه لم ينس قط أمه ، أينما حملته قدماه ، بل كان لا ينفك يعقد العزم على أن يرسل فى طلبها بمجرد استقراره فى المكان الذى يرتاح الى القاء عصا الترحال فيه ٠٠

وحملته أسفاره يوما عبر البحيرة ٠٠ وكان فى الأبرشية التى حل عليها كهل مرح اسمه «انيار آسين» ، يعيش فى سعة ، ويغرم ـ رغم عيب فى احدى ساقيه كان يضطره الى الاستعانة بعكاز ـ بتنظيم الحفلات التى تضم الشباب المرح ٠٠

ولقد أحب هذا الشيخ المرح أرنى منذ حل بالقرية ، وحرص على أن يدعوه الى أول حفلة راقصة كان مقررا أن تقام فى الغابة بعد وصول الشاب ٠٠ وتضرج وجه أرنى ، وشعر بخجل محرج ، وأخذ يتلمس الأعذار ٠ بيد ان « آسين » لم يزل به حتى قبل فى النهاية ٠٠ على انه لم يكد يذهب الى الحفلة ، حتى تبين انه كان الشاب الوحيد ، وسط عدد غير قليل من الفتيات اللائى لم يكن كعذارى الأحلام اللواتى اعتاد أن ينظم عنهن قصائده وأغانيه ، وانما كن أكثر الفتيات اللائى صادفهن حيوية وخفة ، وكن يفضن من مرحهن على كل شىء حولهن

وقاوم أرنى نفسه حتى لا يفر منهن ، ولكن المقاومة جعلته يتخذ مظهرا عابسا ، جادا ، فاذا بالفتيات يتعلقن بفروع الأشجار المنبثة فى الغابة ، ويأخذن فى معابثته حتى يجبرنه على الضحك ٠ وما لبث الجميع أن افترشوا الأرض فى حلقة حول « آسين » الشيخ وراحوا يصغون الى قصصه وحكاياته ٠ **وأبدت الحسان لهفة الى أن يروين أحلامهن ، وكانت التقاليد تقضى بأن يختار الجميع من بينهم شخصا ، يفضى اليه كل واحد - أو كل واحدة - بحلمه على حدة ٠٠ فما لبث الاختيار ان وقع على أرنى ، وأقبلت الفتيات عليه يهمسن اليه بأحلامهن ، كل بدورها ، بمنأى عن الباقيات ٠ وكانت آخر فتاة منهن تدعى «ايلى» ، فلم يكد الشاب يراها ، حتى أيقن أنها نفس الفتاة التى كانت فى القارب !**



ومرة أخرى ، كانت التقاليد تقضى على الشخص الذى يؤتمن

على الأحلام ، بأن يختار من بينها الحلم الجدير بأن يكون أروعها ٠٠ ومن ثم فقد بات على أرنى أن يرشح حلما من الأحلام التى أنصت اليها ، ولكنه استمهل القوم ، وتوغل فى الغابة وقد أحس بالحنين الى الأسـفار يعاوده فجأة ، وبمطلع القصيدة الناقصة يلح على خياله : « على ذرى الجبال الشاهقة » !

ولما طال غيابه ، ساق الشيخ المرح فتياته عائدا بهن الى القرية ، فطاب الهدوء والوحدة للفتى ، واذا الالهام المستعصى يلين أخيرا ، فانسابت كلمات الأغنية متدفقة فى ذهنه ، وأسرع فأخرج من جيبه ورقا وقلما وأخذ يسجل القصيدة ٠٠ حتى اذا فرغ ، نهض عن جذع الشجرة الذى كان يجلس عليه ، وثبت اليه الورقة ، ثم انصرف

وعندما عاد فى اليوم التالى الى الغابة ، لم يجد أثرا للورقة ٠٠

كانت احدى الفتيات قد تسللت عائدة ـ بعد انصراف زميلاتها ـ ولكنها لم تجد الشاب ، وانما وجدت ٠٠ أغنيته !

٣ ـ يقظة الحب

◆ **لم** يذكر أرنى مرة صديقه « كريستن » ويعجب لانقطاع أنبائه ، الا وأسرعت أمه الى مغادرة المكان ، وظلت بضعة أيام مثقلة بالهم والوجوم ٠٠ فقد كانت تدرك أن ذكر الشباب الملاح دليل على حنين ابنها للأسـفار ٠ ولاحظ الشاب ـ من ناحية أخرى ـ أن أمه كانت فى تلك المرات بالذات تفتن فى اعداد أطيب ألوان الطعام له !

وكان عطف أرنى على أمه فى آزدياد مطرد ، ولكنه لم يبد مترفقا بها ـ منذ موت أبيه ـ كما بدا فى ذلك العام ، حتى انه كان فى أيام الآحاد يتلو عليها من الكتاب المقدس ، ويرافقها الى الكنيسة ٠٠ **ولكن الأم كانت تدرك ان افراطه فى اللطف لم يكن منبعثا الا عن رغبة فى ارضائها ، حتى توافق على سفره الى**

الخارج فى الربيع التالى • وكان « أبلاند كنوت » ـ الذى اعتاد العيش دائما دون أهل ولا أصحاب ـ قد انتقل فى ذلك الشتاء ليقيم قريبا من المزرعة • وقد استطاع أرنى ـ بارشاداته ـ أن يبرع فى استعمال الفأس والمنشار ، وفى أعمال النجارة ، فكثر استدعاؤه الى القرية والى الأبرشية ليؤدى بعض هذه الأعمال

وفى ذات يوم ، جاءه رسول يدعوه لأداء بعض أعمال النجارة فى دار « بوين » ـ التى كانت فى القرية القائمة عبر البحيرة ـ فوافق لتوه ، دون أن يفكر فى شىء • على ان أمه بادرت الى اخباره ـ بمجرد انصراف الرسول ـ الى ان « بآرد بوين » كان عين الرجل الذى أوقع بأبيه الاصابة التى أضعفت قواه وأقعدته عن العمل ! •• ولكن أرنى لم يجد ـ مع ذلك ـ بأسا فى أن يذهب الى دار الرجل

وكان البيت بديعا ، كما كان بآرد لطيفا ، فسرعان ما ساد الود بينه وبين أرنى • على ان مفاجأة كبرى كانت فى ارتقاب الشاب فى تلك الدار •• اذ كانت « ايلى » ابنة ربها !

واتصلت أسباب الألفة بين الشاب والفتاة •• وكان أرنى يغنى لايلى ـ فى بعض الأوقات ـ أغانيه ، ثم لا يلبث الخجل أن يسيطر عليه •• وطال مقام الشاب فى الدار متذرعا بالعمل •

وفى ذات يوم ، وقعت ايلى فريسة مرض شديد الوطأة ، فأخذ أرنى يتسقط فى لهفة أنباءها •• وكان بآرد يجلس اليه ، ويرتاح الى الحديث معه • وأفضى اليه فى تلك الأثناء بما وقع بينه وبين نيلز ، وكيف قدر له أن يتزوج بيرجيت ـ منذ عشرين عاما ـ وأن ينجب منها ايلى

* * *

• **وكان** أرنى جالسا الى بآرد ، عندما هبطت اليه بيرجيت ذات مساء ـ وقد بدأت ايلى تتماثل للشفاء ـ وسألته أن يصعد

الى المريضة التى تاقت الى أن تسمع أغانيه ٠٠ واضطرب أرنى وارتبك ، ولكنه لم يجد بدا من أن يلبى الرجاء ، فصعد الى مخدع ايلى التى لم يكن قد رآها منذ لازمت فراشها ٠٠ وكان الظلام يخيم على الحجرة ٠ وجلس الشاب عند قدمي الفراش

والناس عندما يتبادلون الكلام فى الظلام ، يطلقون العنان لمشاعرهم كى تبدو على حقيقتها ، مطمئنين الى انهم لا يرون وجوه بعضهم بعضا ! ٠٠ وغنى أرنى لايلى في الظلام ، حتى اذا فرغ من أغنيته ، سيطر عليهما الصمت طويلا ، ثم قالت ايلى فجأة : « لشد ما يحيرنى يا أرنى أن تراود الرغبة فى التغرب شابا مثلك أغدقت عليه الأقدار كل جميل ٠٠ ألا ابق فى الاقليم ولا ترحل بعيدا ! »

ولم يدر أرنى بماذا يجيب ، ولكنه فطن بغتة الى ان الفتاة كانت تبكى ٠ وأحس ان لابد له من أن يتحرك : اما الى الأمام ، واما الى الخلف ! ٠٠ وهتف فى تأثر : « ايلى » ، فردت هامسة : « نعم » ٠٠ فقال : « اسلمينى يدك ! » ٠ ولم تجب ، ولكنه أرهف سمعه ، وبسط يده فى الظلام نحوها ، فما لبثت أن التقت بيد رخصة دافئة ٠٠ وسمعا اذ ذاك وقع قدمين على درجات السلم ، فأفلت كل منهما يد صاحبه ٠ وأقبلت بيرجيت تحمل شمعة وضعتها على المنضدة وهى تقول : « لقد طال جلوسكما فى الظلام » ٠٠ ولم يستطع كل من ايلى وأرنى أن يتحملا الضوء ، اذ أعشى أعينهما على ضعفه ٠٠ وقالت ربة الدار : « لسوف يبهر بصريكما الضوء ، ولكنكما ستألفانه سريعا ! »

وفى اليوم التالى ، سمع أرنى بأن صحة ايلى قد تحسنت ، وانها تعتزم أن تهبط من مخدعها بعد الغداء ، فما كان منه الا أن جمع عدته وأدواته ، وبادر مبارحا المزرعة ، وعابرا البحيرة !

٤ — بعد سنوات عديدة

◆ **وأقبل** الصيف • وفى ذات يوم ، انطلق أرنى تحت السماء الصافية ، يسعى الى دار القس ليستعير منه صحيفة ، ولكنه ارتاح الى مرأى الأعشاب فى طريقه ، فاستلقى عليها ، وأطلق لأفكاره العنان • وأخذت عيناه تتجهان — على الرغم منه — عبر البحيرة ، صوب الدار القائمة على الضفة النائية •• لم يكن قد زار بيت آل بوين منذ تلك الليلة التى صعد فيها الى مخدع المريضة • وفيما هو مستغرق فى تفكيره ، ترامى الى أذنيه صوت يردد أغنيته •• الأغنية التى استعصت عليه أعواما ، والتى فقدها يوم أتمها :

لكم أتوق الى معرفة العالم الكائن
على ذرى الجبال الشاهقة
ولكن عينى لا تريان سوى الثلوج الناصعة ،
والأشجار القاتمة الوارفة على السفوح ،
وكأنها تسعى صاعدة وكلها حنين
لمعرفة ذلك العالم •• ترى هل تبلغينه أيتها الشجرة ؟!

★ ★ ★

◆ **و هب** أرنى من مرقده ، ووقف مسمرا فى مكانه ، حتى تلاشت آخر كلمات الأغنية فى الفضاء • وعندما هم بأن يبحث عن مصدر الغناء ، أبصر « ايلى » على كثب منه •• وكانت الشمس تسكب عليها فيض أشعتها ، فلاحت لأرنى — وهو يحملق فيها — كطيف رائع يفوق فى بهائه كل ما رأى فى الحقيقة والأحلام على السواء !

وعرف ان ايلى كانت تكثر فى الفترة الأخيرة من التردد على دار القس ، حيث تلتقى بصديقتها ماتيلد •• وفى أصيل يوم

من أيام الآحاد ، التقت بها مارجيت فى دار القس ، فما زالت بها حتى قبلت الفتاة أن ترافقها الى دارها • على انها حين بلغت الدار ، أبت أن تلجها حتى استوثقت من ان أرنى لم يكن بداخلها • وجاست بها مارجيت خلال الدار ، تريها غرفها ومتاعها ، حتى انتهت بها الى غرفة أرنى ، ففتحت صندوقا فيها ، واذا به ملىء بالأقمشة الحريرية الجميلة • وقالت مارجيت : « كلما ذهب أرنى الى المدينة اشترى شيئا من هذه الأقمشة ! »

وفى ركن من الصندوق ، رأت ايلى قرطين ، وخاتمين من الذهب ، وكتابا دينيا بين غلافين من الفضة نقش عليهما: «ايلى بآرد سداتر بوين» ! •• وأجفلت الفتاة للمفاجأة ، وتضرج وجهها ، ثم انحدرت دموعها على خديها ، بينما كانت الأم ترد الأشياء الى الصندوق !

وما أن هبطتا الى الطابق الأرضى ، حتى سمعتا وقع قدمين ، ثم ولج أرنى الدار ، فما أن رأى ايلى حتى تدافعت الدماء الى وجهه ، وهتف : « أأنت هنا ؟ » •• ولم يتمالك نفسه فطوق خصرها بذراعه ، وانصاعت له الفتاة فأسندت رأسها الى صدره وراحت تبكى ، فأخذ يهمس فى أذنها بكلمات ما •• ثم ران عليهما الصمت فترة ، وهما جامدان فى وقفتهما

★★★

◆ **وكان** موسم الحصاد قد حان عندما احتفل بزواج أرنى وايلى • وازدحمت صفحة البحيرة السوداء بالقوارب التى حملت الناس الى دار بوين على الضفة الأخرى •• الدار التى فتحت جميع أبوابها فى ذلك اليوم على مصاريعها ••

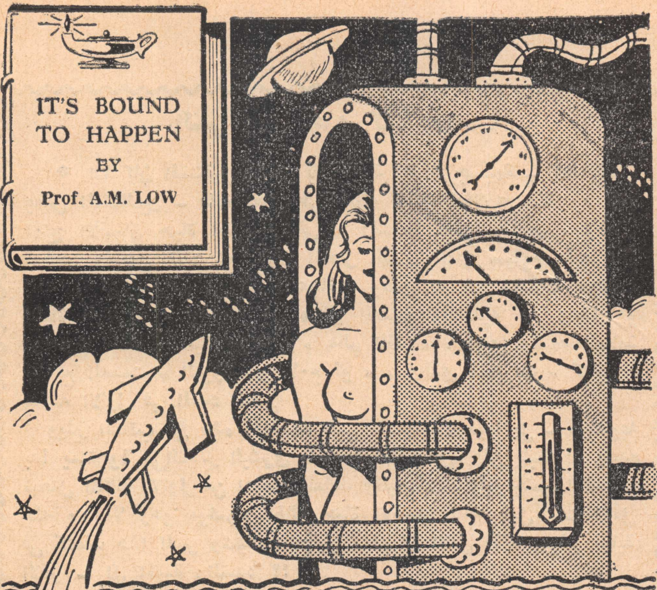
وبينما كانت ايلى فى غرفتها مع ماتيلد وزوجة القس ، خلا أرنى الى نفسه فى غرفة بالطابق الأرضى ، ووقف لدى النافذة يسرح خلالها نظراته الشاردة ، وقد راح يحلق فى سماء عالم

غير العالم الذى كان يحيط به ٠٠

وفى تلك الأثناء ، كان بآرد وزوجته بيرجيت قد استكملا ارتداء ثيابهما تأهبا لمرافقة العروسين الى الكنيسة ٠٠ والتقى الزوجان على السلم ، فتسللا الى غرفة نائية فى الطابق الأسفل، اذ كان بنفس كل منهما حديث أراد أن يسر به الى صاحبه فى تلك المناسبة ٠٠ وقال بآرد : « **أرى يا بيرجيت انك كنت تفكرين فى عين ما طاف بفكرى ٠٠ لقد كان نيلز يقف فى طريقنا يوما ٠٠ تلك ذكرى عفا عليها الزمان ٠ أما اليوم ، فها هو ذا ابن من صلبه قد وفد على دارنا ، فمنحناه ابنتنا الوحيدة ٠٠ ألا ترين يا بيرجيت ان من الحرى بنا فى هذا اليوم أن نجدد هوانا ؟!** »

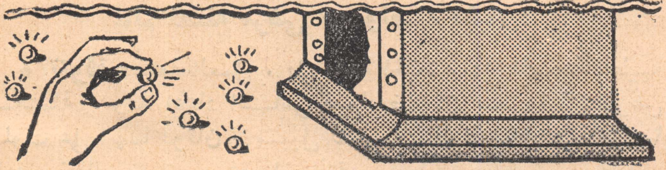
وارتجف صوته تأثرا ٠٠ وتضرج وجه بيرجيت ، وكأنها فتاة فى باكورة الصبا ، ومنعها الحياء من أن تجيب ٠ وفى تلك الأثناء تناهى اليهما صوت ايلى عذبا خافتا : « ألست قادمة يا أماه ؟ » ٠ فأجابت بيرجيت بصوت مختنق : « أجل ٠٠ هأنذى قادمة يا عزيزتى ! »

واقتربت من بآرد ، فأمسكت بيده ، ثم انخرطت فى البكاء ٠٠ ولكنه كان بكاء الفرح ٠ وظلت يداهما متشابكتين ، حتى وهما يفتحان باب الغرفة ويخرجان الى البهو٠وعندما بلغ موكب العروس ضفة البحيرة ، وبسط أرنى يده لايلى ، ظل بآرد متشبثا بيد بيرجيت ــ رغم العادات والتقاليد ــ وتبعا العروسين فى غبطة وهناء ٠٠ حتى اذا وقعت عينا بآرد على قارب العروسين ، والموكب فى طريقه عبر البحيرة الى قرية (كامبين) ، رمق زوجته فى اعزاز ، وقال لنفسه : « آه ! ٠٠ من الذى كان يحلم بشىء كهذا ، منذ عشرين عاما ! »



الصحّة والطبّ والتغذية.. في عالم الغد

للبروفيسور "ا. م. لو"



تلخيص : الدكتور محمد جلال الدين

السر الذى نجرى كلنا وراءه !

◆ اذا كان المستقبل يضمر للانسانية أهوالا جسيمة ـ كما يذهب بعض المتشائمين ـ فانه يخفى فى طياته كذلك آمالا عريضة ٠٠ آمالا تمنح الانسان حياة أطول وأرقى ، ونشاطا أفعل وأقوى ، وطعاما أرخص وأسهل منالا !٠٠ فان العصر الذرى الذى سيقوم عليه عالم الغد ، لن يتوانى عن اظهار عجائبه ومعجزاته فى مختلف مجالات الحياة البشرية ، وخاصة فى مجالى الصحة والتغذية ٠٠ وهذا هو موضوع الحلقة الثانية من كتاب « عالم الغد » ، الذى وضعه العلامة الذائع الصيت « البروفيسور أ٠م٠لو » ، والذى قدم لك « كتابى » حلقته الأولى فى العدد الماضى

ويثير الكاتب فى هذه الحلقة ـ التى نقدمها لك فيما يلى ـ موضوعا بدأ يستحوذ على التفكير البشرى منذ سنوات قلائل، ولن يلبث أن يتقدم ليحتل المكانة الأولى من اهتمام العلماء والباحثين ، بل والجنس الانسانى كله ٠٠ ألا وهو موضوع اطالة حياة الانسان !٠٠ فهل بات الامل فى كشف هذا السر وشيك التحقيق ، أم أن الامل مآله ـ فى نهاية الامر ـ الى الخيبة والتبدد ؟!

تعال نقرأ معا هذا البحث ، لنلقى ضوءا على مشاعرنا تجاه هذا الموضوع الخطير ، واضعين نصب أعيننا أن الطب قد أفلح أخيرا فى الوصول بمباضعه الى القلب والمخ ، اللذين يعتقد البعض أنهما يخفيان السر الذى نتوق جميعا الى معرفته !

مستقبل الطب والصحة

عالم نصفه مرضى ٠٠ ونصفه أطباء !

◆ **تتوقف** متعة العمل ، بل متعة الحياة ، على الصحة الطيبة المكتملة ٠ وقد اعتاد النـــاس فيما مضى ان ينظروا الى المرض والموت على انهما قوتان لا سبيل للانسان الى التدخل فى أمرهما الا فى نطاق ضيق ٠ غير ان التقدم العلمى والطبى ـ خـــلال

القرنين الماضيين – عدل من هذا التفكير البدائى الى حد كبير ، فاستطعنا ان نهتدى الى علاقة المستوى الصحى بالعوامل الوراثية ، وأصبحنا نعمل على رفع هذا المستوى والتدخل الفعلى فى توجيهه ٠ وكان من جراء ذلك أن بات موضوع الصحة هو الشغل الشاغل لأفراد الشعوب المتحضرة ، وأصبحت الدول المتمدينة تخصص – فى عصرنا – نسبا لا يستهان بها من ميزانياتها لرفع المستوى الصحى لشعوبها ٠ وكانت النتيجة المباشرة لذلك ، ان امتلأت المستشفيات ، وعجز الأطباء عن مواجهة أفواج المرضى المتدفقة على أبوابهم ٠٠ ومن المرتقب ان يؤدى التقدم المطرد فى مجال الطب الى اكتشاف أمراض جديدة يسعى العلم الى ايجاد علاج لها أو مناعة ضدها

وكان من جراء هذا التطور فى ميدان الصحة والطب ، ان تركزت العناية بأكملها – تقريبا – فى المرضى دون الأصحاء ٠ **وكم يروق لى أحيانا ان أتصور ان الدولة قد تجد نفسها مضطرة – فى المستقبل – الى ان ترصد المنح المالية للفرد الذى يستطيع ان يبقى صحيحا ، بدلا من انفاقها على المرضى ، كما هى الحال فى أيامنا هذه !** ٠٠ ولا عجب فى ذلك ، فالمبدأ الفطرى ، عند الحيوانات والقبائل البدائية ، يتمثل فى تقدير القوى الصحيح، وفى عدم الاشفاق على المريض الضعيف الذى يغدو عالة على مجتمعه ! ٠٠ ولو اننا أغضينا عن هذه الحقيقة ، وتمسكنا بأصول البحث العلمى ، لوجدنا ان الخطوط البيانية الزمنية الممثلة لتكاليف المريض وعدد المستشفيات والأطباء وهيئات التمريض ، ترتفع سريعا ودون ما حد ظاهر تقف عنده ٠ **ولو استمرت الحال على هذا النسق ، لأصبح نصف سكان الكرة الأرضية – فى سنة ٢٠٠٠ – من الأطباء وهيئات التمريض والعلاج ورجال الصحة ، الذين يتوفرون على العناية بالنصف الآخر !** وهى ظاهرة جد خطيرة وكفيلة بأن تحطم الكيان الاقتصادى للدول ٠ ومع ذلك فان أحدا لم يجرؤ على التفكير

فى هذه اللحظة الحرجة التى سنضطر ، عندما نبلغها ، الى ان نصيح : « كفوا ، ولو أدى الأمر الى عذاب البعض وموتهم ٠٠ فليس فى وسعنا ان نوفر مزيدا من العناية الطبية » !

الصحة نعمة يمكن شراؤها بالمال !

◆ **ولست** أبالغ اذا قلت ان الصحة نعمة يمكن شراؤها بالمال ، الى حد ما ! فهناك أمراض ـ كالسل وما قد يكشف عنه المستقبل ـ ترجع فى أصلها الى الفقر ، ولا سبيل الى تفاديها الا برفع مستوى المعيشة ٠ كما ان المال لا يزال المحور الرئيسى للطب والعلاج رغم توفر العلاج المجانى فى كثير من الدول ٠ **والنتيجة المنطقية المثالية التى ينشدها الطب الاجتماعى ، هى ان يتوفر لكل فرد قدر كاف من المال يمكنه من تفادى الأمراض المهنية والاجتماعية ٠ ولا يستطيع الفاحص المدقق ان يزعم امكان تحقيق هذه الغاية ، وكل مايمكن ذكره هو أن المستقبل سيسفر عن اكتشافات طبية متعددة ، ولكنها لن تكون ميسورة لكل فرد دون قيود !**

ومن الاكتشافات الطبية التى لا بد منها فى المستقبل القريب ، ما توحى به التجارب المستمرة من امكان انتاج عدد من المواد التى يتم تحضيرها من الفطريات ، للقضاء على جراثيم الأمراض ذات المناعة ضد البنسلين ٠ وقد أمكن التوصل الى انتاج أنواع منها بالفعل ، مثل « الستربتوميسين » ٠ ولا شك فى انه سيكون لكل مادة من هذه المواد عيوب أو مضار ، ولكن من المنتظر ان يتوفر لنا ـ خلال ربع القرن التالى ـ سلاح نقهر به الجراثيم المسببة للسعال الديكى وشلل الأطفال وكثير من الأمراض المستعصية حاليا

على ان هذا التقدم قد يصحبه ظهور أنواع جديدة من الأمراض ، أو أشكال جديدة لأمراض قديمة ٠ وها هو ذا الطب يكشف ـ بين الحين والحين ـ عن ان بين فصائل الجراثيم

التى يقضى عليها البنسلين أنواعا تكتسب مناعة ضده ، فاذا ما اختفت الجراثيم التى تتأثر بالبنسلين ، ظهرت الأخرى وتوالدت وانتشرت ٠٠ وهذه معضلة من المعضلات الكبرى فى عالم الطب !

الطبيب « الاخصائى » يعالج عضوا ٠٠ فيفسد آخر !

◆ **ومن** المتعذر ـ بل من المستحيل ـ بما لدينا من معلومات محدودة ، ان نتتبع دقائق العمليات الطبيعية فى جسم الانسان ٠ والذى يملكه الأطباء هو ان يصفوا دواء لكل داء ٠٠ ولكن هل ينتهى الأمر باختفاء أعراض هذا الداء ؟ أو لا يحدث أحيانا ان يؤثر علاج مرض ما فى المريض فيجعله أكثر قابلية للاصابة بأمراض أخرى ؟ وهل يكتشف العلماء فى المستقبل ان السبب الحقيقى لازدياد حالات السعال ونزلات البرد والاصابات الروماتيزمية انما يكمن فى نفس الوسائل التى استخدمت لعلاج غيرها من الأمراض ؟ ٠٠ **ان المرجو هو ان يبادر الطب فى القريب الى الحد من التخصص الذى استشرى فى هذه الأيام ، فان التخصص يقصر نظرة الاخصائى للأعراض المرضية على دائرة تخصصه ، فى حين ان صحة الآدمى لا تتألف من صحة كل عضو من أعضائه على حدة ، وانما هى خلاصة صحة الأعضاء مجتمعة !**

ومن الطريف فى الطب ظهور نزعات بين آن وآخر ٠ **فمن** عهد غير بعيد ، كان استئصال الزائدة أو اللوزتين يعتبر كعلاج عام لكل الأمراض ٠ ثم اكتشفت « المفيتامينات » ، فاذا الطب ينظر اليها وكأنها سر الصحة والعافية ٠ وبمضى الوقت ظهرت اكتشافات تدور حول فيتامينات جديدة ، أو حول كميات ضئيلة من المعادن المختلفة ، تلعب دورا هاما فى حالة الفرد الصحية ٠٠ وعلى هذا الضوء ، فسرت الأمراض على انها نتائج لنقص كميات هذه المواد ٠ ثم اكتشفت «الفيروسات» ، فاتهمت

بأنها المسببة لكل مرض لم يستطع الطب ان يتبين مصدره . ويوحى التقدم العلمى بأن المستقبل سيشهد اكتشافات أخرى من هذا القبيل ، يعزى اليها ما يكتنف الأمراض من غموض !

أجهزة اليكترونية تفحص المرضى .. بدل الأطباء !

◆ **ويحدونا** تطور الفحص الطبى الى ان نتوقع ان يتغير نظامه فى المستقبل ، بحيث يصبح على المريض ان يمر أمام سلسلة من الأطباء المتباينى التخصص - كما يحدث عند الكشف الطبى على المجندين - ثم ينتهى الى طبيب رئيسى يقرأ تعليقات زملائه ويصف العلاج ! .. ولقد أدى التقدم العلمى - فى السنين الأخيرة - الى تحويل عدد كبير من اجراءات الفحص الى أجهزة ميكانيكية وكهربائية وكيميائية .. ولا يزال الطب يتجه الى التوسع فى استخدام هذه الأجهزة المساعدة . ومن الواضح ان توفر العدد الكافى من الأطباء و « الباثولوجيين » ورجال المعامل الذين يطبقون اجراءات الفحص المتزايدة على كل مريض ، أمر بعيد عن التصور . فى حين انه ليس من العسير ان نتصور امكان ابتكار آلة اليكترونية تؤدى كل الاختبارات المطلوبة فى ثوان معدودة .. فهى ليست أشد تعقيدا من الآلات الاليكترونية الحاسبة التى تستخدم فى الصناعة بالفعل . **ومن هنا نستطيع أن نتصور أنه سيأتى يوم يمر فيه المريض أمام آلة ترسم ضربات قلبه ، وتصور صدره بالأشعة ، وتحصى كريات الدم ، وتحلل البول ، وترسم موجات المخ ،حتى اذا وصل المريض الى آخرها وجد وصفا للداء .. بل وربما وجد الدواء مهيأ**

ومعنى هذا ان المريض لن يستغرق تحت الفحص أكثر من دقيقة واحدة ، فى حين انه يستغرق الآن ساعات .. ولا شك ان هذا كفيل بأن يهبط بنفقات العلاج هبوطا كبيرا ، وهو أمر منتظر الحدوث فى خلال نصف قرن ، وسيكون ولا شك نقطة

تحول فى تاريخ الطب ! ٠٠ ولكن ، هل يغنى الفحص الآلى عن الطبيب ؟ ٠٠ ان الطبيب ينظر الى الانسان ككائن حى أكثر من كونه مجرد مجموعة من الجسيمات والذرات ، فضلا عن ان للايحاء ولمراعاة الحالة النفسية للمريض أثرا كبيرا فى علاجه !

علم النفس ٠٠ يدخل معركة المرض !

◆ **ومن** أهم مظاهر التغير المنتظر ـ فى المستقبل القريب ـ فى عالم الطب ، زيادة الاهتمام بالاجراءات الوقائية ٠ ٠ وهو اتجاه نلاحظ بوادره منذ اليوم ٠ فنحن ننفق مئات الالوف من الجنيهات سنويا على مصحات السل ـ مثلا ـ وجراحاته ، وننسى الظروف المسببة لانتشاره ، مع انه من المعروف منذ سنوات عديدة ان نسبة كبيرة من عدوى السل تنتقل عن طريق اللبن الملوث ، وان اصابات السل خليقة بأن تهبط بدرجة كبيرة اذا تلافينا هذا التلوث ٠ ومع ذلك فان السعى للقضاء على تلوث اللبن لم يبدأ الا منذ عهد قريب ، وستنقضى أعوام كثيرة قبل أن تكون كل الألبان التى نحصل عليها من الأبقار خالية من عدوى السل ! ٠٠ ذلك لأن الحاجة الى علاج المرض استحوذت على عقولنا ، فأهملنا المصدر الرئيسى لنقل العدوى ٠٠ وأهملنا ـ بالتالى ـ أمر الوقاية منها !

ولقد زاد اليوم الاعتقاد بأن عددا كبيرا من حالات التدهور الصحى انما ينشأ عن اضطرابات نفسية ، كما فى اصابات الربو وبعض أنواع القرح ٠ وقد يكتشف فى المستقبل القريب ان قابلية الاصابة بمرض ما أو عدوى ما ، انما تقوم على الحالة العقلية والنفسية ٠٠ فقد يصاب المرء بصداع أو برد اذا ما كان حزينا مكتئبا ! ٠٠ على ان المعلومات الحقة فى هذا المجال ما زالت فى دور الطفولة ٠ فان الأبحاث الطبية فى أغلب الأحيان تقوم على أبحاث مادية ٠٠ على مواد تفحص تحت المجهر ، أو تنقل الى حيوانات تجريبية ـ كالفئران ـ ثم تدرس آثارها بالاختبارات

الكيميائية . أما علم النفس فان أبحاثه تقوم على أسس نظرية، ولا تمس فى الغالب الأسباب الحقة للأمراض الا مسا خفيفا . على ان هذا الاتجاه الرامى الى ربط الحالات النفسية بالأمراض، لن يلبث ان ينقل الأبحاث النفسية الى الميدان العملى .. بل ان بعض المحاولات بذلت بالفعل نحو هذه الغاية ، ومما لا شك فيه ان هذه المحاولات ستزداد وتتسع فى المستقبل

الأمراض العقلية .. فى ازدياد مستمر !

• **ويبدو** اننا كلما ازددنا معرفة بطرق الوقاية من الأمراض الجسمية ، أو بوسائل علاجها ، أصبحنا أكثر عرضة لأمراض العقل ، حتى ان حالات الأمراض العقليـة ومستشفياتها فى ازدياد فى جميع الدول المتحضرة . ولقـد كانت أغلب أنواع الجنون تعتبر - الى عهد غير بعيد - غير قابلة للشفاء ، فكان يطلق على مستشفى الأمراض العقلية اسم « ملجأ المجاذيب » ، وكانت رسـالته الأساسـية تتمثل فى منع المرضى من ايذاء أنفسهم أو غيرهم . **ولم يتجه علاج الأمراض العقليـة اتجاهه الحـالى الا عندما رأى بعض الاخصائيين انهـا مجرد اضطرابات بالمخ ، فطبقت وسائل علاجية نفسية كان الطب يشك فيها أول الأمر، ولكنها أصابت بعض النجاح. وقد استخدم الاخصائيون فى السنين الأخيرة العقاقير المهدئة والصدمات - أو الهزات - الكهربائية والجراحة فى علاج الأمراض العقلية** . ومع ان هذه الألوان من العلاج حديثة ، الا انها تبشر بتطور كبير ، ولا بد اننا واصلون فى المستقبل القريب الى زيادة المعرفة بطريقـة تأدية مخ الانسان لوظائفه ، وعدم الاكتفاء بمجرد دراسة صفاته التشريحية

ولسـوف يؤدى فحص المخ الحى بالوسـائل والابتكارات الحـديثـة الى التغلب على عدد كبير من الأمـراض العقليـة فى المستقبل ، لا سيما وان أغشية المخ لا تصاب بتلف يجعل

العلاج عسيرا ، الا فى أنواع قليلة محدودة من هذه الأمراض ٠ ولا شك ان ما أحرزه العلم من تقدم فى تفهم العوامل المؤدية الى الأمراض العقلية ، يبعث على الأمل في ان يتقدم الطب الوقائى فى هذا الميدان قدر تقدمه فى ميدان الأمراض العضوية ٠ **ولقد أظهرت الاختبارات النفسية ، خلال الحرب الماضية ، ان عددا كبيرا من الأفراد ـ رجالا ونساء ـ أوتوا من الحساسية العقلية درجة جعلت عقولهم تتداعى ازاء أبسط تغيير طرأ على محيط حياتهم ٠ كما تشير الأدلة الى ان المدنية الحديثة والتصنيع قد أضافا أعباء ثقيلة على الناس ، مما أدى الى ازدياد حالات الاضطرابات العقلية** ٠٠ تماما كما أدى ازدحام السكان فى المدن الى انتشار الأمراض المعدية ٠ لذلك فمن المنتظر فى المستقبل ان تتخذ اجراءات وقائية فى مجال الأمراض العقلية ، كما اتخذت من قبل اجراءات وقائية لتفادى الأوبئة

هل ينجح العلماء فى اطالة حياة الانسان ؟!

◆ **على** ان أهم التطورات الطبية فى المستقبل القريب ، هى تلك التى ستحدث فى الميدان الجراحى ، على مايبدو ٠ فمنذ سنين قلائل كانت جراحة القلب تعتبر مسألة نظرية أكثر منها عملية ٠ أما اليوم ، فقد أصبحت بعض أمراض القلب تعالج جراحيا بالفعل ! ويسير العلم فى هذا المضمار سيرا حثيثا ٠ **واذا كانت العقبة الكبرى التى تواجه الجراحين هى ضرورة استمرار ضربات القلب أثناء الجراحة ، فان من المرتقب ان يتمكن الفنيون ـ فى المستقبل القريب ـ من تدبير قلب صناعى يقوم بعمل القلب الأصلى أثناء الجراحة(١)**

ومن شأن التعاون بين المهندسين والأطباء ان يمهد ـ فى المستقبل ـ لانتاج مختلف الأعضاء الصناعية التى تمكن من

---

(١) تحققت هذه النبوءة بالفعل بعد صدور الكتاب ، وقد كللت التجارب التى أجريت فى هذا الميدان ـ منذ عهد قريب ـ بالنجاح

اجراء الجراحات على الأعضاء الطبيعية ، أو من الاستغناء عن هذه الأعضـاء واراحتها بعض الوقت ، عنـدما تدعو الظروف لذلك • **وقد يتمكن العلماء فى المستقبل البعيد ـ نسبيا ـ من اطالة الحياة باستخدام أعضاء صناعية تحل محل الأعضاء الطبيعيـة أو تساعدها** • ومن ثم يصبح جهاز « القلب المساعد » ـ مثلا ـ جهازا عاديا كجهاز السمع المســاعد الذى يستخدمه ضـعاف السمع فى أيامنـا هذه •• بل ان تجـارب الاعتماد على الرئة الصناعية أو الكلية الصناعية قد نجحت بالفعل !

سوف يحتفظ الانسان بنشاطه •• حتى الموت !

◆ **ولقد** ازداد اهتمام الدوائر الطبية ـ فى السنوات الأخيرة ـ بموضوع اطالة الحياة • ومن أهم ما يلاحظ فى هذا الصدد ، ان التقدم الطبى الحديث لم يرفع متوسط العمر كثيرا ، ولكنه زاد من عدد أولئك الذين يعيشون الى سن متقدمة • ذلك لأن معلوماتنـــا لا تزال ضئيلة فى مضمار الكشف عن أســباب أضمحلال الانســان أو شيخوخته اذا ما بلغ مرحلة معينة من السن •• فان تعليل فقدان خلايا الجسم البشرى لقدرتها على التجدد ، لم يلق من البحث العلمى الدقيق قدر ما لقى من خيال المفـكرين ! على ان ثمة أبحـاثا جدية بدأت بالفعل فى هـذه الناحية ، وقد كشف علم « العناية بمتقدمى السن » الستار عن حقائق مشوقة قد تضىء الطريق فى المستقبل الى وسيلة لتأجيل الشيخوخة ، بل لارجاء الموت • **وقد تكشف الأبحـــاث فى المستقبل عن ان غددا معينة فى الجسم البشرى ، هى مفتاح سر اطالة العمر ، مما يمكن العلماء من انتاج مواد كيميائية يحقن بها الانسان ليطول عمره !**

والواقع ان الأبحاث الخاصة بتأجيل الشيخوخة تزداد أهمية يوما بعد يوم ، بسبب قلة نسبة المواليد فى كثير من البلدان ، وبسبب الزيادة السريعة فى معدل من تدركهم الشيخوخة وهم



لم يتجاوزوا أوسط مراحل العمر مما يجعلهم عالة على المجتمع ٠ وتتجه الجهود الى تمكين الانسان من أن يحتفظ بنشاطه العقلى والجسدى الى نهاية العقد السابع من عمره ـ أى سن السبعين ـ والى اطالة حياته الى سن الثمانين على الأقل ٠ وتجرى الآن بعض اختبارات حول استخدام جراحة « التطعيم » فى سبيل اطالة مدى الحياة ٠ وقد لا يكون فى الوسع القول بأن هذه التجارب صادفت نجاحا ، ولكن تقدم الفن الجراحى وأساليبه يجعل النجاح فى المستقبل من الحقائق المفروغ من أمرها ٠ ونحن نرى فى أيامنا هذه ان تعويض الآذان والأنوف والشفاه يسير بنجاح ٠٠ بل ان قرنية عين الميت أصبحت تستخدم فى تعويض من أصيبوا بعمى جزئى ، فيستردون أبصارهم ٠ ولا شك فى ان جراحة المستقبل ستتمكن من أبدال كثير من أعضاء جسم الانسان المصابة بأعضاء سليمة !

التلقيح الصناعى ٠٠ والتخدير الطبيعى !

◆ **والحديث** عن التلقيح الصناعى لانجاب الأطفال يتطلب التوغل فى أبحاث معقدة ، مربكة بعض الشىء ٠ **على ان الاقبال عليه سيتطلب بلا ريب سن قوانين جديدة خاصة بالوراثة وما اليها ، لا سيما وان التقدم العلمى فى هذه الناحية يشير الى انه فى الامكان ان يحتفظ الرجال ـ لفترة قصيرة بعد**

وفاتهم ! ـ بالقدرة على انجاب الأطفال(١)

ولا يفوتنا قبل ان نفرغ من الفصل الخاص بتقدم الطب ، أن نشير الى أن المستقبل الطبى فسيح أمام « التخدير » ، وان الاخصائيين عاكفون الآن على ابتكار أساليب للتخدير لا تستخدم فيها العقاقير ، لأن المخدر القوى المفعول قد يضر بالتنفس أو القلب أو الوظائف البدنية الأخرى • **ويدعى بعض العلماء انهم تمكنوا من تنويم الانسان صناعيا بمساعدة نبضات كهربائية كتلك النبضات الطبيعية التى تتولد فى الجسم عندما ينام نوما طبيعيا !** ولا شك فى ان التطور بهذه العملية الى درجة تنويم أعصاب الحس عند الانسان ـ أى التخدير الكامل ـ يحدث انقلابا كبيرا فى ميدان الجراحة !

التغذية فى عالم المستقبل

المأكل •• أقدم مشكلة فى الوجود !

◆ **يعتقد** الكثيرون أن أغلب أمراض عصرنا الحالى تنشأ عن الطعام الذى نتناوله ، واننا لو عدلنا من غذائنا لأمكننا تفادى كثير من ألوان المرض • ولا شك فى ان استمرار البحث فى المجال الغذائى خليق بأن يكشف لنا يوما عن الدور الذى تلعبه الأغذية المتباينة فى رفع المستوى الصحى • فلا يكاد يمر عام دون ان تتجلى أهمية نوع ما من الأملاح المعدنية أو الفيتامينات ، فيبادر الاخصائيون الى انتاج المستحضرات التى تتضمنه لاستخدامها فى العلاج • ولسوف يتمكن الأطباء ـ خلال النصف الثانى من القرن الحالى ـ من علاج حالات عديدة من التوعك بفضل المكتشفات الغذائية الجديدة • ونستطيع ان

---

(١) هذا أمر جد غريب ، ولكنه ممكن طبيا ، لأن الحيوان المنوى يظل حيا لفترة قصيرة بعد وفاة صاحبه !

نذكر ، بوجه عام ، ان اتباع الشهية الطبيعية فى اختيار ألوان الطعام فى الوجبات ، سيظل أفضل مسلك لفترة طويلة من الزمان ٠٠ **أى اننا لن نتمكن فى القرن الحالى من توجيه جسم الانسان الى ان يتقبل ، بدلا من الغذاء المألوف ، غذاء فى شكل أقراص أو فى شكل طاقة كهربائية بسيطة، وذلك لأن التعديلات الجسدية التى يتطلبها الاكتفاء بغذاء لا حجم له تحتاج الى وقت جد طويل !**

ومن المتناقضات الداعية الى العجب ، ان الانسان ـ رغم ما أحرز من تقدم فى ميدان الاختراع والابتكار ـ لا يزال مشغول البال بمشكلتين كانتا تشغلان أجداده منذ آلاف السنين ، وهما : المأكل ، والمسكن ٠ وأولى المشكلتين هى أهمهما وأشدهما استعصاء ! **فنحن اليوم ـ ومع ما بلغته الحضارة من رقى ـ نجابه مأساة ألوف من سكان الأرض يموتون فى كل عام جوعا ، وملايين من الأفراد يصيبهم الهزال والموت قبل الأوان ، بسبب سوء التغذية !** ٠٠ ومع اننا استطعنا ان نحول مادة ـ مثل الفحم ـ الى آلاف المستحضرات التى تتفاوت من الأسبرين الى الأسمدة ، ورغم توصلنا الى صناعة عقاقير ومنسوجات من خامات لا تمت الى نوعها بصلة ، نرانا لا نزال عاجزين حتى اليوم عن صناعة طن واحد من الغذاء !٠٠ فصناعات الأغذية القائمة فى عصرنا لا تعنى بتركيب الأطعمة من خامات غير غذائية ، وانما تنحصر فى تحويل الأغذية الطبيعية من شكل الى آخر ، أكثر استساغة ، وأرخص ثمنا ، وأسهل هضما !

لا خوف على الانسان ٠٠ من الموت جوعا !

◆ **والى** جانب ذلك ، نلاحظ اننا لا نزال نستمد الأغذية الطبيعية من موردين رئيسيين ، همسا الزراعة والصيد ٠ ومن هنا نسمع من آن الى آخر صيحات التشاؤم ، اذ ان مساحة

الأرض ومواردها الغذائية محدودة ، فى حين ان عدد سكان الكرة الأرضية يتزايدون بسرعة مطردة ، يضاعف منها التقدم العلمى والطبى والصحى فى المحافظة على حياة الآدميين بسرعة تفوق سرعة تقدم العلم فى زيادة الانتاج الزراعى والغذائى عامة ! .. على ان معظم الاحصاءات الخاصة بنقص الأغذية تقوم على عمليات حسابية ارتجالية .. **فليس المهم مساحة الأرض التى تنتج موادا غذائية فى الوقت الحاضر ، وانما المهم هى المساحة التى تستغل استغلالا كاملا ، والمساحة التى يمكن استغلالها لانتاج المواد الغذائية . ومن ثم فسوف نرى فى المستقبل القريب مناطق شاسعة من الأراضى البور تستصلح فتنقلب خصبة منتجة ..** وهناك مناطق شاسعة أخرى ، يبدو لنا اليوم استحالة انتاجها للأغذية ، كالمناطق القطبيةالمتجمدة، والمناطق التى لا يدوم الصيف فيها أكثر من شهر أو شهرين.. فان النظر الى المستقبل يوحى بأن من الممكن استغلالها ، اذ ان التقدم الفنى يبشر بأن الانسان سوف يتمكن من التحكم فى المناخ والجو ، كما ان التقدم العلمى يوحى بأشياء كثيرة تمكن من استغلال هذه المناطق، كتحسين الآلات الزراعية ،والتوصل الى انتاج أنواع من النباتات تستطيع مقاومة البرودة الشديدة أو الحرارة القاسية ، وامكان تحويل نباتات مهملة الى مواد تستساغ كغذاء آدمى ، واكتشاف مزيد من مبيدات الحشرات الزراعية

ومن التطورات المرتقبة - فى المستقبل القريب - لزيادة انتاج الأغذية :

١ - التوسع فى ابتكار وسائل مكافحة الآفات الزراعية ، والقضاء على الحشائش الطفيلية . **فقد قدرت الخسائر الناجمة عن عدوان الحيوانات والحشرات الضارة على محصول القمح العالمى بحوالى خمسة وستين مليونا من الأطنان سنويا !** والى جانب المواد والطرق المبتكرة التى تستخدم اليوم استخداما

فعالا فى القضاء على الآفات الزراعيــة ، نجد مبتكرات أخرى ميسورة للقضاء على الحشرات فى مخازن الأغذية ٠٠ والمستقبل يبشر بمزيد من النجاح فى هذا المضمار

٢ ـ انتاج أنواع من النبات والحيوان أفضـل من الأنواع الحالية ٠ وقد تقدمت الأبحاث فى هذا المجال منذ بداية القرن الحالى ، بفضل اتساع معلوماتنا عن الوراثة ٠ **ومن أهم ما قد يكشف عنه المستقبل انتاج أنواع من الحبوب تقوى على مقـاومة الأجواء الشديدة البرودة أو الحرارة ، مما يمكننا من استغلال الأراضى فى المناطق التى تسود فيهـا هذه الأجواء** ٠ ونفس الشىء يقال عن المنتجات الزراعية الغذائية الأخرى ٠ كما ان التقـدم فى علم الوراثة كفيل بأن يؤدى الى تحسين سـلالات الحيوانات التى تزودنا باللحوم والألبان والبيض

٣ ـ سيساعد التقدم فى ابتكار الآلات الزراعية على زيادة الانتاج الغذائى مع الاقتصاد فى الأيدى العاملة ٠ ولا شك فى ان المستقبل القريب سيشهد انقلابا جديدا فى فنون الزراعة ، يعادل الانقلاب الذى أحدثته الآلة التى تقوم بعمليتى الحصـد والدرس معا ٠٠ وليس ثمة شك فى أن تعميم الآلات فى كافـة العمليات الزراعيــة سيؤدى الى رفـع المستوى الاقتصادى والاجتمـاعى للشـعوب ٠ وستتوقف سرعة هذا التعميم على رأس المال المستغل، وعلى نطاق المشروعات الزراعيــة ٠ **ومن المرتقب فى المستقبل استخدام الطائرات الموجهة فى خدمة المناطق الزراعية الكبرى ، فتتولى نشر البـذور ، أو رش الحقـول**



بالمطهرات . ومن شأن هذا ان يؤدى الى نثر البذور فى آلاف الأفدنة فى أيام قلائل !

المستقبل يخفى فى طياته آمالا عريضة !

◆ **ويحدونا** الأمل فى ان يتيسر فى المستقبل انتاج كميات اضافية هائلة من الغذاء ، دون فلاحة . وأمامنا الآن ثلاث طرق رئيسية لذلك ، أجريت عليها تجارب ، وان لم تبشر أى منها ـ فى الوقت الحاضر ـ بزيادة تذكر فى المحصول الغذائى العالمى :

الطريقة الأولى : انتاج طعام مستساغ ، سهل الهضم ، من أغذية ظلت قاصرة ـ حتى الآن ـ على الحيوان ! ونحن اليوم نستخرج من « المرجرين » ـ وهى مادة غير مستساغة ـ موادا دهنية تستخدم فى غذاء الملايين من سكان الدول الصناعية ، كما استطعنا استخدام دهون حيوانية وزيوت نباتية لم تكن تستغل من قبل الا طعاما للحيوان .. **ومن الممكن معالجة « المرجرين » كيميائيا لتعويض ما فيه من نقص الفيتامينات فيصبح غنيا بها ، كالزبد تماما . كما ان من الميسور اضافة مركبات كيميائية الى الخبز لمضاعفة قيمته الغذائية !** .. كذلك يعمل الاخصائيون على انتاج أغذية غنية فى بروتيناتها ، من مواد ثانوية رخيصة . وقد أنتجوا فى ألمانيا طعاما من فول الصويا والخميرة والحبوب ، له كل ما للحوم من قيمة غذائية ، وان كان يمتاز عنها برخص ثمنه !

الطريقة الثانية : تنمية النبات دون حاجة الى تربة ، وذلك بأن يستغنى عن الأرض بمياه تحتوى على مواد معدنية . **وقد نجحت التجارب التى أجريت فى هذا المضمار ، وهى من شأنها ان تمكننا من التحكم تماما فى نمو النبات ، واستغلال المواد المعدنية المغذية بدرجة قريبة من الكمال .** كذلك يدرس الاخصائيون الآن نوعا من الزراعة لا يحتاج الى تربة ، وذلك بالسيطرة على أنواع من النباتات الفطرية ، فتزود بالعناصر

المغذية من البحر ، وبقدر كاف من أشعة الشمس ، مما يجعلها تتكاثر بسرعة ، منتجة بذلك كميات متراكمة من المواد الغذائية نستطيع بعمليات بسيطة تحويلها الى أطعمة مستساغة ٠٠ وكم هناك من نباتات بحرية دقيقة يمكن استغلالها فى هذا المجال

الطريقة الثالثة : تصنيع الغذاء ٠ فنحن نعلم ان السكر ـ مثلا ـ يتكون من الكربون والأيدروجين والأزوت والاوكسجين، وكلها عناصر تتوفر بكثرة فى الأرض والهواء ٠ وكذلك نجد ان الأغذية الأخرى لا تخرج عن انها مواد مكونة من عناصر معروفة ٠ **ولقد تمكن العلماء من تركيب السكر صناعيا من منتجات قطران الفحم !** أما جزئيات البروتين والدهن فما زالت صناعتها مستعصية على الكيميائيين ٠ على ان الخطوة التقدمية الكبرى المرتقبة ـ فى المستقبل ـ هى ان نتمكن من اجراء العمليات الكيميائية اللازمة للتصنيع الغذائى

وعلى ضوء هذه الاتجاهات جميعها ، نرى ان الخوف من حدوث مجاعة عالمية أمر لن يلبث ان يتلاشى فى المستقبل !

وفى العدد القادم نقرأ معا الفصل الذى ورد فى هذا الكتاب الشائق عن الحروب فى المائة عام التالية

عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمي
(التمثيلي.. والغنائي)

عزيزى القارىء ..

قدمت لك فى هذا الباب المسرحيات العالمية الآتية :

◆ خطايا الحب ◆ نزاهة الحكم ◆ سلاح المرأة ◆ فولبون ◆ جيوكندا ◆ كلام الناس ◆ مدرسة الفضائح ◆ سيرانو دى برجراك ◆ لعبة الحب والموت ◆ مروحة الليدى وندرمير ◆ فاوست ◆ أوديب الملك ◆ فى سبيل الحب ◆ وليم تل ◆ الأم ◆ الملك يلهو ◆ الجنس الآلى ◆ الابن الاكبر ◆ هرنانى ◆ ترويض النمرة ◆ الحياة نفاق ◆ أغلال الحب ◆ المنافق ◆ بيت الليل ◆ علموهم الحب ◆ زوج مثالى ◆ سالومى ◆ مدرسة الارامل ◆ برهان الحب ◆ لوسيد ◆ كيف نقع فى حبائلهن ◆ أحزان هان ◆ حلاق اشبيلية ◆ تشيترا ◆ كاليجولا ◆ هوراس ◆ حوادث سعيدة بالجملة ◆ الهاربة من الفضيحة ◆ رجل الاقدار ◆ جوديث ◆ نيكراسوف

واليوم ، أقدم لك مسرحية ساخرة من نوع جديد :



للكاتب الروماني القدير "ميهايل سيباستيان"



أنباء مثيرة .. وأخطاء مطبعية !

◆ « يكاد المريب يقول خذونى » !

ان الشخص الذى يثقل ضميره شعور بأنه لا يتبع القانون ولا المصلحة العامة والمعايير الخلقية فى تصرفاته ، يرتاب فى أى شىء ، وفى كل شىء .. حتى فى عبارة عابرة ، مليئة بالاخطاء المطبعية فى مقال بعيد كل البعد عن مجال نشاطه . وهذه هى العقدة التى تدور حولها المسرحية التى يقدمها « كتابى » اليوم اليك ، ولعلها أول مسرحية من الادب الرومانى الحديث تنقل الى اللغة العربية . وهى تكشف عن براعة الكاتب المسرحى الرومانى « ميهايل سيباستيان » ومقدرته على تدبير المفاجآت ، وحبك الأحداث ، مع نشر روح الفكاهة فى كل مراحل مسرحيته

وقد ولد سيباستيان فى سنة ١٩٠٧ برومانيا ، وبدأ يلمع فى سنة ١٩٣٨ ، ككاتب مسرحى موهوب ، يمتاز بالابداع فى صوغ الحوار فى مسرحياته . وقد كتب هذه المسرحية - واسمها الأصلى « أنباء مثيرة » - للسخرية من الفساد الذى كان يسود رومانيا قبيل الحرب العالمية الثانية ، ولكنه لم يستطع نشرها قبل سنة ١٩٤٣ .. وظل نشاطه الادبى معطلا حتى أغسطس سنة ١٩٤٤ ، حين تداعت القيود التى كانت تكبل حرية الرأى فى بلاده . ولكنه لم يلبث ان مات بعد عامين ، وهو فى أوج مجده الادبى !

الفصل الاول

◆ تقع حوادث الفصل الأول فى ادارة تحرير صحيفة « صيحة النفير » ، وفى حجرة سكرتير التحرير بالذات .. وخلال النوافذ المطلة على الشارع ، ينبعث نداء باعة الصحف : « صيحة النفير ! صيحة النفير ! عدد خاص ! تصريحات مثيرة ! » .. والحجرة أشبه ما تكون بمقصورة فى قاعة أعدت للمحررين . ونرى فى هذه القاعة « فواكو » - وهو أحد

مساعدى سكرتير التحرير - جالسا الى مكتب وقد أسند رأسه الى ذراعيه ، واستغرق فى النوم ، حتى اذا أقبل « نيتا » الخادم ، يوزع نسخ الصحيفة على مكاتب المحررين ، استيقظ «فواكو» متسائلا : « هل ظهرت الصحيفة ؟ »

نيتا : لقد أحضرها الساعى من المطبعة لتوه ٠٠ فهى لا تزال ساخنة ! يا لرائحتها ! ٠٠ **ان لهذه الصحيفة رائحة كريهة تختلف عن رائحة حبر الطباعة !** فقد عملت طيلة عمرى فى المطابع ٠٠ ما عرفت قط صحيفة لها هذه الرائحة ٠٠ ان زوجتى لا تستطيع ان تنام طالما كانت « صيحة النفير » فى البيت !

فواكو : أما ساءلت نفسك مرة : علام تعيش هذه الصحيفة؟ ٠٠ ان لها وجودا على أية حال ، فبأية معجزة ؟ من الذى ينشرها ، ومن الذى يقرأها ، ومن الذى يدفع نفقاتها ؟

وندرك من حديثهما ان الصحيفة كاسدة ، وان ادارتها لاتدفع أجرة المبنى الذى تشغله ، ولا أجور الطباعة وعمل « الكليشيهات » ، ولا مرتبات المحررين ٠٠ « ومع ذلك فهى لا تزال تصدر ! »

ويقبل اذ ذاك زائر متردد ، بادى الخجل ، فيتلفت حوله فى حيرة ، ثم يتقدم الى فواكو ويقول : « اسمح لى بأن أقدم نفسى ٠٠ اسمى اندرونيك ٠٠ الأستاذ اندرونيك ، أستاذ التاريخ» ٠٠ وكأنه كان يتوقع ان يثير اسمه اهتماما خاصا ، فلما اكتفى فواكو بمصافحته ، قال له : « لقد كتبت مقالا » ، فيسأله فواكو عما اذا كان يريد نشره

اندرونيك : لا ، على العكس ٠٠ أود ٠٠ بل أوثر لو انه لم ينشر !

فواكو : حسنا ، ان النشر غير اجبارى كما تعلم

اندرونيك : أعلم هذا ، ولكن الفرصة قد فاتت ٠٠ فهو قد نشر بالفعل !

ويدهش فواكو اذ يعلم ان المقال نشر فى الصحيفة ، وفى

صباح ذلك اليوم نفسه ·· ويخرج الأستاذ « اسكندر اندرونيك » ـ المحاضر بالجامعة ـ نسخة من الصحيفة من جيبه ، ويشير الى المقال ، فيهتف فواكو : « عجبا ! اننى لم أره ! » ·· ويقرأ العنوان : « اسكندر الأكبر فى ميديا ـ بقلم اسكندر اندرونيك »

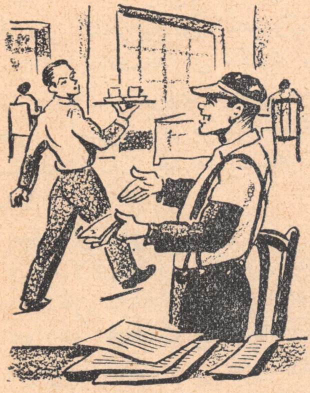
اندرونيك : الذى هو أنا !

فواكو : أنت اسكندر الأكبر ؟

اندرونيك : لا ، بل اسكندر اندرونيك ·· المؤلف !

ويعرب الزائر عن رغبتـه فى أن يرى رئيس التحرير ، فيقول فواكو : « وكذلك أنا ! » ·· فان رئيس التحرير لم يكن يتردد على الصحيفة الا لماما ، وحين يواتيه مزاجه ! ·· لكن اندرونيك يصر على رؤيته لأمر خطير ، فينصحه فواكو بأن يقابل السيد « ستيفانيسكو » سكرتير التحرير ، الذى يرتقب حضوره بعد قليل ·· وفجأة ، تواتى فواكو فكرة ، فيقول له : « لعلك ·· لعلك جئت من أجل أتعابك ·· نقود فى مقابل المقال ؟ ·· اذا كان الأمر كذلك ، فلا حاجة بك الى ان تتعب نفسك ، بل اترك عنوانك ، وسنرسلها لك مع أحد السعاة » ·· ثم يخال ان الزائر فى ريب فيقول له : « قد يكون المبلغ غير كبير ·· ألفا أو ألفين ·· » ، ولا يتم الجملة ، اذ تواتيه فكرة أخرى ، فيقول : « اسمع يا أستاذ ·· لكى نجنبك اضاعة الوقت فى الرسميات ، اترك لنا مائة « لى » (وهى عملة رومانية) مقابل التمغة والضرائب وما اليها ، وستجد المبلغ معدا لدى الصراف اذا ما عدت فى فرصة أخرى »

ويدفع اندرونيك المبلغ شاكرا ، فما ان ينصرف حتى يلوح فواكو بالنقود لساقى مقصف الصحيفة الذى يسرع بتقديم القهوة اليه بعد ان كان يأباها عليه ! ·· وفى تلك الأثناء يفد « بومبليان » ـ أحد محررى الصحيفة ـ فيطلب ورقا ويعكف على الكتابة ، كما يصل « ستيفانيسكو » ـ سكرتير التحرير ـ



فينتقد العــدد الأخير من الصحيفة، ولكن فواكو يهون عليه قائلا : « **لاتبتئس ، فان أحدا لايقرأها !** » ·· فيقول بومبليان : « لاتغال ! لقد رأيت اليوم رجلين ·· اثنين ، يمسك كل منهما بصيحة النفير ! » ·· ويبدى فواكو دهشة ، بينمـا يقول ستيفانيسكو : « عجبا ! لعلهما من الأقاليم ! »

وهنا يتساءل فواكو عن عدد النسخ التى تطبع من الصحيفة يوميا ، فيقول سكرتير التحرير انها ثلاثون ، ولكن بومبليان يقــول : « ألف وثمانمائة ·· أو ألف وتسعمائة » ·· أما ما يباع منها بالفعل ، فيقدره بسبعمائة أو ثمانمائة ·· واذ ذاك يقول فواكو : « أو هذا ما نضيع وقتنا من أجله ؟ »

ستيفانيسكو : بل هناك أشياء أخرى ·· بوجه خاص !

ويشير الى نبأ فى احدى صفحات العدد الأخير ، ويســأل بومبليان : « كم تقاضيت من أجل هذا النبأ ؟ » ·· وكان النبأ ينطوى على ثناء على أحد رجال الصناعة ، ولكن بومبليان يتظاهر بالعفة والشمم ، ويحتج على ما فى سؤال سكرتير التحرير من اهانة ، فيصيح هذا : « بل انك أنت الذى تهينننى · أو تظن اننى وأنا فى هذه السن ، وبعد ثلاثين عاما فى الصحافة ، لا أعرف كيف أقرأ وما يختفى وراء هذا الذى أقرأه ؟! ·· لا يزال ينقصك المران ·· **اقرأ ما يكتبه رئيس التحرير · هذا هو الفن ! انه عندما يقصد أمرا يسعى اليه خلسة ، فلا يفهم مقصده سوى أولئك الذين يعنيهم بحديثه !** ·· ولكن ، ما هذا يا فواكو ؟ ·· من أين جاء هذا ؟ » ·· ويشير الى مقال «اسكندر

الأكبر» ، فلما يعرب فواكو عن جهله بمصدر المقال ، يبادر سكرتير التحرير الى التليفون فيطلب الى رئيس قسم الجمع بالمطبعة ان يصعد الى مكتبه ، ويسأله - عند وصوله - عن مصدر المقال . وبعد تجاهل ومراوغة ، يقول الرجل ان رئيس التحرير أمـره بأن يرجىء مقالا كان معدا للنشر عن أسـعار الشوفان ، فلم يجد ما يضعه بدلا منه سوى مقال « اسكندر هذا !

ستيفانيسكو : ولكن ، من أين اقتنصته ؟

وبعد لأى يضرب العامل جبهته براحته ويهتف : « **تذكرت .. انه من مجلة «التاريخ القديم» ، فهى تطبع عندنا ، ولا بد ان موادها اختلطت بموادنا خطأ !** » .. واذ يلومه سـكرتير التحرير ، يجيب بأن عجز الادارة عن دفع الأجور هبط بعدد العمال الذين يساعدونه الى أقل من عشرة ! .. وما ان ينصرف الرجل ، حتى يأتى اندرونيك ، فيسأل سكرتير التحرير عن مقـاله عن « اسكندر الأكبر » ، وكيف نشر فى « صيحة النفير » ، مع انه كان معدا لمجلة التاريخ القديم .. ويقـول : «انه مقال علمي .. ليس مكانه فى صحيفة يومية تعنى بالأخبار وبالسـياسة .. انه لأمر محير ، بل خطير ! » .. ويعلل الخطورة بأن الناس خليقون بأن يرتابوا فى انه يروج لاسمه خارج الدوائر الجامعية . ثم يطلب أستاذ التاريخ الى سكرتير التحرير ان ينشر ان المقـال نشر نتيجة خطأ « يدعو الى الأسف » !

ستيفانيسكو : لا .. أسف من ؟ ألا يخطر ببالك انالأسف خليق بالصحيفة ، وبقرائها الذين اضطروا الى قراءة مقـال طويل ، ممل ، ردىء الأسلوب ، ملىء بالنظريات والآراء غير الدقيقة ، بل الزائفة ؟ .. خذ بنصيحتى ياأسـتاذ : لننس الموضوع ! .. **ان الصحيفة لا تعيش أكثر من يوم واحد ، بل صباح واحد ، بل ساعة واحدة .. ان الصحيفة تموت بعد خمس**

دقائق من قراءتك اياها !

اندرونيك : ومع ذلك فاننى أعتقد ان الكلمة المطبوعة ..

ستيفانيسكو (مقاطعا) : انك لم تعش ثلاثين عاما فى مكاتب التحرير والمطبعة كما عشت أنا ! .. **انك تعتقد ما تعتقده لأن يديك لم تتلوثا بحبر الطباعة مثل يدى .. لأنك لم تسمع مثلى هدير آلة الطباعة يدوى كالطاحون فى أذنيك .. لأنك لم تشهد مثلى ملايين الأطنان من الورق تبدد لغير ما غاية ! ..**

وفى صباح غد ، بل فى مساء اليوم ، لن يكون فى بوخارست ، ولا فى رومانيا ، ولا فى العالم كله ، شخص يتذكر ان الأستاذ اندرونيك نشر مقالا - بغير رغبته - فى صحيفة نشرته بدورها دون ان تفطن !

وأخيرا ، يتبين أن الذى كان يقض راحة بال اندرونيك ، هو ان المقال كان محشوا بأخطاء مطبعية ، يقرأ مثالا منها : « وسنبين فى مناسبة أخرى - ولدينا الأدلة والوثائق التى نفضل ان لانكشفها الآن - انه من بروفتاسيا الى كابول ، كانت ثمة خطوات فى خط سير بطلنا ، لم تلق بعد حظا كافيا من الدراسة . أفتعرف ما الذى وضع بدلا من بروفتاسيا وبدلا من كابول ؟ » .. ولا يجد سكرتير التحرير ما يخلصه من الأستاذ سوى ان يتقبل منه ورقة أثبت فيها تصحيح الأخطاء ، ويضعها على مكتبه ، ثم ينهمك فى عمله بينما ينصرف اندرونيك ..

* * *

◆ **ويفد** رئيس التحرير الى غرفة ستيفانيسكو ، فيجد وريقة إندرونيك على المكتب . وما ان يلقى عليها نظرة حتى يمزقها ويطوح بها الى سلة المهملات . ثم يلتفت الى بومبليان ، فيتبين انه كان منهمكا فى كتابة حملة على « برانيسكو » - وزير المعارف - من أجل تعديل أجراه فى نظام شهادة اتمام الدراسة

الثانوية ٠٠ ويقول ستيفانيسكو للمحرر : « لعلك تعرف انه رئيس التحرير على شقاق مع الوزير ! »

رئيس التحرير : انك تبالغ ٠٠ ثم ان الصحيفة محايدة كما تعلم !

ستيفانيسكو : أتراك تصالحت مع برانيسكو ؟

رئيس التحرير : لقد قابلته أمس بشأن بعض الأعمال

ستيفانيسكو : هذا يغير الموقف ٠٠ يجب ان نكون منصفين يا بومبليان !

ويتناول رئيس التحرير المقال فيحذف بعض الكلمات ،ويغير بعضا آخر ، فاذا الحملة قد انقلبت الى اطراء !

وهنا تقبل فتاة تسأل عن الأستاذ اندرونيك ، ظنا منها انه يتردد بانتظام على الصحيفة ٠٠ فقد قرأت مقالا باسمه وودت ان تسأله بعض ايضاحات عنه ٠ وتستطرد « ماجدا » — وهو اسم الفتاة — قائلة لسكرتير التحرير : « لقد كان من الحقائق المسلم بها حتى الآن ان اسكندر رحل من بروفتاسيا الى كابول فى شتاء سنة ٣٣٠ — ٣٢٩ قبل الميلاد ، ولكن الأستاذ اندرونيك ذكر ان الرحلة كانت فى شتاء سنة ٣٢٩ — ٣٢٨ ٠٠ وهو فارق جد مهم ٠ ان الأستاذ اندرونيك يزعم بذلك ان اسكندر الأكبر كان فى (ميديا) فى سنة ٣٣٠ ، فى ذكرى بارمينيو ٠٠ وانه اشترك فى الاغتيال ٠٠٠ »

ويضيق ستيفانيسكو بهذا الحديث الذى لم يكن يفقه منه شيئا ، فيثور متهما الزائرة بأنها تضيع وقته ٠٠ ثم يسألها : « فيم اهتمامك يا آنسة باسكندر الأكبر ؟ »٠٠ ويذهل حين تجيبه ببساطة بأنها تعرفه : « اسكندر الأكبر ٠٠ أجل ، أعرفه ٠٠ أعرفه شخصيا ! ٠٠ اننى رأيته ، ولا أزال أراه أحيانا ! ٠٠ انظر ! (يتغير صوتها ولهجتها) اننا الآن فى يونيو سنة ٣٢٣ ٠٠ فى ٢ و ٣ و ٤ يونيو ، فى ليالى الصيف الحارة بآسيا ٠٠ ولا تزال حرارة النهار كامنة فى الخيام ، حيث

رقد أربعون ألف رجل وهم ممسكون بسيوفهم ٠٠ **ليس هناك سوى رجل واحد مستيقظ ٠٠ انه فى الثالثة والثلاثين من عمره ، وقد هزم نصف هذا الكوكب ، دون ان تتلوث يداه ٠٠ اليدان الطويلتان ، البضتان ، الطافحتان بالشباب ! ٠٠** اقترب منه ٠٠ ان يديه جد ساخنتين ، وجبينه دافىء ، وشفتيه شاحبتان ! »

ستيفانيسكو (وقد استبد به القلق) : لعلك فى صحة غير طيبة !

ماجدا (تمكث فى أحلامها لحظة ، ثم تطلق ضحكة غير متكلفة) : هل أخفتك ؟

ستيفانيسكو : لو انك كنت ابنتى لما تركتك تسيرين فى الشوارع ورأسك بين السحب !

وتنصرف الفتاة وهى تضحك كطفلة غريرة ، بينما يعود رئيس التحرير وفى يده مقاله الافتتاحى ، فيسأله ستيفانيسكو : « هل قرأت مقال جريجوريو ؟ ٠٠ انه شاب بارع ، ملىء بالأفكار »

رئيس التحرير : لا حاجة بي الى البارعين ، ولا الى أفكارهم! ٠٠ ان الأفكار تقتل أية صحيفة !

ستيفانيسكو : ولكن ٠٠ ما الذى أستطيع ان أفعله بهيئة تحرير لم يتقاض أفرادها مرتباتهم منذ ثلاثة أشهر ؟ ٠٠ انهم لم يعودوا يطيقون صبرا !

فينصحه رئيس التحرير بأن يغمض عينيه ويترك المحررين يدسون على الجريدة من الأخبار ما يستطيعون ان يتقاضوا عنه ثمنا ممن تدور حولهم هذه الأخبار ! فيقول سكرتير التحرير : « لست أدرى الى متى سنستطيع ان نمضى فى اصدار الصحيفة ؟ ٠٠ لقد رفضت ورشة الحفر ان تصنع أى كليشيه ٠٠ وأخشى ان يكف أصحاب المطبعة عن طبع الصحيفة ٠ اننا فى حاجة الى مال ! »

رئيس التحرير : بل اننا فى حاجة الى نبأ مثير ٠٠ الى قنبلة ٠٠ الى نبأ ساخن ٠٠ ساخن جدا ٠٠ مثير ٠٠ فضيحة ٠٠ جريمة ! ان هذا كفيل باجتذاب القراء وزيادة رواج الصحيفة !

ويضطر سكرتير التحرير الى ان يهبط الى المطبعة ليشرف على ترتيب بعض المواد فى الصفحات ٠ ويظل رئيس التحرير واقفا يفكر ، واذا ببومبليان يندفع الى الحجرة قائلا ان « بوكسان » ، المالى الكبير وصاحب المصانع والشركات العديدة، قد أقبل ٠ فيهتف رئيس التحرير : « جريجور بوكسان ؟ »

بومبليان : بشخصه ! ألا تصدقنى ؟ أو لا ترانى أعرف بوكسان ؟

ويقبل بوكسان ، فاذا به رجل رشيق ، مهيب المنظر ، فى الخمسين من عمره ٠ ويخف رئيس التحرير الى استقباله : «هل جئت لترانى يا عزيزى السيد بوكسان ؟ ٠٠ يا للمفاجأة ! لماذا أتعبت نفسك ؟ لماذا لم تتصل بى تليفونيا ، فكنت أسعى اليك ؟ »

بوكسان : اسمع ، دعنا نتكلم بصراحة ٠٠ لقد جئت بشأن المقال الذى ظهر فى صحيفتكم اليوم

رئيس التحرير : أى مقال فيها ؟

بوكسان : وهل هناك كثير ؟ ٠٠ لقد كان فى صحيفة اليوم مقال ممتع !

رئيس التحرير : مستحيل ! هل تجاملنى يا سيد بوكسان ؟ ٠٠ لا أكاد أصدق ٠ لقد قرأت الصحيفة من أولها لآخرها ٠٠ ثمانى صفحات محشوة باللغو !

بوكسان : وبين اللغو ، وفى تمويه بارع ، تحفة من تحف النصب والاحتيال ! ٠٠ وهذا ما جئت من أجله ، فأنا لا أكترث للقراصنة اذا هاجمونى علانية ، وانما أهتم اذا انقضوا على من الخلف ! ٠٠ **لنتكلم بصراحة كأى لصين شريفين ٠٠ ما الذى تريد ؟ وكم تريد ؟**

ولا يصدق « بوكسان » الدهشة التى تتبدى على محيا رئيس التحرير ، ويأبى ان يسلم بأن الرجل كان يجهل أمر المقال الذى جاء من أجله ٠٠ ويقول رئيس التحرير : « لا بد ان الأمر التبس عليك ، فلست أدرى ما الذى تقصده ٠٠ بل اننى سمعت بالأمس فقط عن مشروع « كارون » ، فبادرت لفورى باصدار الأمر بابعاد كل نبأ يمس الحبوب والغلال ٠ وقد كان هناك مقال عن أسعار الشوفان ، فرفع من مكانه بعد ترتيب الصفحات ٠ وأصارحك بأننى فعلت ذلك لغاية خاصة ٠٠ فقد شعرت بأنك تؤثر ان لا يمس هذا الموضوع لفترة تتراوح بين عشرة أيام وخمسة عشر يوما ، أى ريثما توقع العقود ، فكنت أعتزم ان أزورك بعد ظهر اليوم »

بوكسان : لتطلب مبلغا معينا من المال ؟

رئيس التحرير : انك مغرم بالعبارات المستهجنة ! ٠٠ ولكننى كنت موقنا من انك لن تثير أية مصاعب أو متاعب !

بوكسان : ولكى تضمن ذلك ، شئت ان تنذرنى ٠٠ بل هددتنى بأنك جمعت وثائق وأدلة ، وبأنك على استعداد لنشرها فى مرة أخرى (يتناول نسخة من الصحيفة ويقربها من عينى رئيس التحرير) ما هذا ؟ ٠٠ استمع الى هذه الفقرة : « وينتظر اسكندر الأكبر عاما آخر ثم يوجه ضربة جديدة ، لا لأنه اوتى روحا تواقة الى المخاطر ، وانما لأنه كان معنيا دائما بعلاج مشكلة الغلال ، فقد كان مضطرا الى تدبير القوت لعدد كبير من جياد فرسانه ٠٠ ولو انه استطاع ، لما توانى عن تدبير احتكار للشوفان ٠٠ » ٠٠ ألا ترى الأمر واضحا ؟

رئيس التحرير : أتعنى ان هذه ايماءة الى مشروع كارون ؟

بوكسان : أتسميها ايماءة ؟ ٠٠ انها وخزة مباشرة ! ثم اصغ الى هذه الفقرة : « وسنبين فى مناسبة أخرى ــ ولدينا الأدلة والوثائق التى نفضل ان لا نكشفها الآن » ٠٠ فى مناسبة أخرى ، وأدلة ووثائق ! ٠٠ « انه من بروتاه الى كارون

كانت ثمـة خطـوات فى خط سير بطلنـا ، لم تلق بعد حظا كافيا من الدراسة » ٠٠ تهديد صريح : ادفع والا كشفت كل شيء ٠ أليس كذلك ؟

رئيس التحرير (يصغى طيلة الوقت فى حيرة واضحة ، ثم يتأمل المقال فى اهتمام) : كلام فارغ ٠٠ انها غلطة !

بوكسان : بل هى أبسط من هذا ٠٠ مؤامرة احتيال ! ٠٠ ولكن الذى لا أفهمه هو : من أين لك بالمعلومات عن مشروع بروتاه ؟

ويدهش رئيس التحرير ، فهو لم يسمع بكلمة « بروتاه » من قبل ، ولكن المالى الكبير يقول : « **لقد ظلت أوراق المشروع في خزانتى عاما بأكمله ، وكنت أظن أن أحدا لايعلم شيئا عنه٠ ولهذا جئت ٠ ما الذى تعرفه ، وما مدى معرفتك ، وكم تريد ثمنا لما تعرف ؟** » ٠٠ ولكن رئيس التحرير يظل فى حيرته ودهشته ، فيظن بوكسان ان الرجل يرفض المساومة ، ولكن هذا يصيح : « بل اننى أرفض ان أصدق ! ٠٠ اننى أشعر بأنك تستدرجنى بمقال سخيف في التاريخ ٠٠ مقال عن « اسكندر الأكبر » كتبه شيطان ٠٠ (ينظر الى اسم المؤلف) اسكندر اندرونيك ٠٠ اننى لا أعرف من يكون »

بوكسان : أتريدنى على ان أصدق انك لا تعرفه ؟ ٠٠ انك تمضى فى لعبة أخطر مما تصورت ، ولكننى أحذرك ، فاننى أعرف كيف أحارب ! ٠٠ لذلك أرجو ان تفكر فى الأمر ، وسأكون فى مكتبى فى الساعة التاسعة من صباح غد !

وينصرف المالى الكبير ، فيظل رئيس التحرير مستغرقا فى التفكير وهو يردد : « بروتاه ٠٠ بروتاه » ، ثم يستدعى بومبليان ويسأله عما اذا كان يعرف اسكندر اندرونيك ،فينكر هذا معرفة أحد بهذا الاسم ٠٠ ويفد « فواكو » ، فيوجه اليه رئيس التحرير عين السؤال ، فيجيبه فواكو : « لقد كان هنا اليوم ٠٠ جاء يطلب مقابلتك ، لأمر وصفه بأنه غاية فى الأهمية!

•• وقال انه أستاذ »

رئيس التحرير : وأى أستاذ ! ان بوسعه ان يعلمنا جميعا ! •• يجب ان نعثر على هـذا الاندرونيك اليوم ، مهما يكن الثمن !

ويعود سكرتير التحرير الى الغرفة فيبادره رئيس التحرير قائلا : « لقد وجدتها •• القنبلة ! •• انها هنا •• فى أبعد الأماكن عن بالك •• فى صحيفتنا » •• ويطلعه على مقال « اسكندر الأكبر » ، ثم يقول : « لسوف تتصدر صحيفتنا أنباء خطيرة ! » •• فيقول ستيفانيسكو فى دهشة : « اسكندر الأكبر •• فى أخبار آخر لحظة !؟ »

الفصل الثانى

• **وينقلنا** الفصل الثانى الى مسكن الأستاذ اسكندر اندرونيك ، وقد وقفت خادمته « آنا » فى وسط حجرة مكتبه تنصت الى صوت مخدومها خلال المذياع ، وهو يلقى محاضرة اذاعية عن اسكندر الأكبر • وتحضر « ماجدا » فى تلك الأثناء لتسأل عن الأستاذ ، فتستمهلها الخادم حتى تنتهى المحاضرة ، ثم تشير الى المذياع وتقول : « اذا كان هناك •• فكيف يكون هنا ؟ » •• وتهم الفتاة بالانصراف ، ولكن الكتب ـ التى كانت الغرفة تكتظ بها ـ تسترعى انتباهها ، فتستغرق فى تأملها • وفى تلك الأثناء يصل رئيس التحرير ، فتنبئه « آنا » بأن مخدومها ليس فى المسكن ، ولكنه ينحيها عن طريقه ويقتحم غرفة المكتب ، فما ان يرى ماجدا حتى يظنها زوجة اندرونيك أو ابنته ، ولكن الفتاة تجيبه بأنها تلميذته •• واذ ذاك يتجاهلها ويتأمل ما على مكتب الأستاذ من أوراق ، غير حافل باحتجاجات الخادم ، فتقول له ماجدا : « يخيل الى يا سيدى انك تبحث عن بعض وثائق هامة •• جد هامة ! »

رئيس التحرير (يحدجها بنظرة فاحصة) : هل تعرفين شيئا ؟

ماجدا : أجل ٠٠ أعرف ان الأستاذ حين بارح المسكن حمل معه حافظة أوراق ، بعد ان أودعها بضع أوراق ، وأحكم اغلاقها ، وفحص القفل مرات ٠٠ وانه سيذهب الى الجامعة بعد انصرافه من دار الاذاعة ، فان عليه ان يلقى محاضرة هناك من الساعة السادسة حتى السابعة ، فخير لك ان تذهب الى هناك مباشرة !

ويهرع رئيس التحرير خارجا ، فتبدى الخادم اعجابها بالطريقة التى تخلصت بها الفتاة من الزائر الجرىء ٠ ولا يلبث ان يصل اندرونيك ، فتبادره « آنا » بأن سيدا جاء لمقابلته ثم بارح الدار وأبى ان يذكر اسمه ، فيقول : « لعله السيد الذى صادفته على السلم ، منصرفا فى عجلة٠٠ حسنا ! » ٠ وينصرف الى الاهتمام بالزائرة ، التى تذكر له أنها كانت تلميذته فى الفترة الأولى من العام الدراسى ، فيهتف : « آه ، تذكرتك ٠٠ لقد كتبت بحثا فى الخريف عن « الاتيكيت فى بلاط اسكندر الأكبر » ، وكان بحثا جيدا حقا » ٠٠ **وتصارحه الفتاة بأنها ما تخلفت عن حضور محاضراته الا لأن لهجته فى الحديث عن « اسكندر الأكبر » كادت تفقدها عقلها ، فهى تحب « اسكندر الأكبر » ولا تطيق أى نقد لسيرته أو أى خطأ ينسب اليه ! ٠٠ أجل ، كانت تتمثل تلك الشخصية التاريخية في خيالها ،وتهيم بها في وجد حقيقي مشبوب ، حتى لتصورها لها أوهامها كما لو كانت موجودة على قيد الحياة !**

وتذكر الفتاة للأستاذ انها جاءت لتناقشه فيما أورده فى المقال الذى نشر فى صحيفة « صيحة النفير » ، فهى تأبى ان يورد معلومات توحى بأن اسكندر الأكبر اشترك فى قتل « بارمنيو » ، لأنه لم يكن فى (ميديا) فى سنة ٣٣٠ قبل الميلاد ، على عكس ما زعم الأستاذ فى مقاله

ماجدا : لماذا تكرهه ؟ لماذا تحقد عليه ؟

اندرونيك : أكرهه ؟ ٠٠ ليس من حقى ان أكره أحدا ٠٠ انما أنا عالم أبحث عن الحقيقة وأحاول ان أعثر عليها ٠٠ ولدى الأدلة على ما قلت عن اسكندر

ويخرج أوراقا من أحد أدراج مكتبه ، يقدمها اليها ، ولكنها تعرض عنها ، وتقول فى شمم : « **لن تستطيع ان تطفىء تألقه ! انه أقوى وأكثر حيوية وجمالا من ان تقوى على اطفاء بريقه !** » ٠٠ ويشير اندرونيك الى أكداس من الكتب التى ألفها عن اسكندر الأكبر ، متتبعا جميع خطواته من طيبة الى طروادة ، ومن اليونان الى آسيا ٠٠ كانت سيرة ذلك البطل التاريخى تستهويه وتستولى على عقله فلا يملك ان يتجه فى دراساته أية وجهة أخرى ٠ ويقول ان أبحاثه أكدت له ان حملة اسكندر الأكبر لغزو آسيا كانت مليئة بالأخطاء ، ثم يردف : « **لكم أتمنى ان أرتاد كل الطرق التى سلكها اسكندر فى هذه الحملة** » ٠٠ ولكن مشروعا كهذا يحتاج الى معدات ، والى مال ، والى سنوات تستغرقها الرحلة !

ويقتحم رئيس التحرير المكان فى تلك اللحظة ، زاعما انه جاء بنفسه اهتماما منه بالزيارة التى « تكرم » العالم التاريخى فأداها له فى ذلك الصباح ، ثم يرجو الأستاذ ان يسمح له بأن يحدثه على انفراد ، ولكن اندرونيك يؤكد ان وجود «ماجدا» قد يساعدهما ، اذ ظن ان رئيس التحرير جاء يناقشه حول المقال ٠ أما رئيس التحرير ـ الذى كان ذهنه منصرفا الى التفكير فيما تبينه من حديث « بوكسان » معه فى الصباح ـ فيظن من ناحيته أن « ماجدا » على علم بمشروعات المالى الكبير ومهاجمة أستاذ التاريخ له خلال سطور مقاله التاريخى ! ٠٠ ويمهد رئيس التحرير لهدفه بعبارات كلها ملق ومداهنة ، فيقول : « **كم من مرة تمنيت لو ان اسكندر اندرونيك ساهم فى تحرير صحيفتنا ، وكافح معنا ! ٠٠ انكم معشر العلماء الذين**

تعيشـون بين دفات الكتب ، تنظرون فى ازدراء الينـا ، نحن معشر المحـاربين فى الصفوف الأولى - صـفوف الصحافة اليومية - بدلا من ان تنضموا الينا فنعمل معـا على ان نرفع مستوى الرأى العام ! »

ويدهش اندرونيك وتتولاه الحيرة ازاء هـذا الاطراء الذى يرفعه الىدرجة لم يكن يحلم بها ٠٠ بينما يستمر رئيس التحرير قائلا : « اننى أرشدك الى المكانة ، الى الشهرة ، الى السلطان ! ٠٠ ان لديك أمورا عظيمة يجب ان تقال ٠٠ يجب ان يدوى صوتك الى أبعد الآفاق !٠٠ أتعرف ان مقال اليومأثار الدهشة وأيقظ الضمائر ؟ أتعرف كم من الناس يتطلعون الآن اليك ، ويناشدونك ان تتكلم ؟ ٠٠ لقد ذكرت فى مقالك الذى نشر اليوم أمورا جـدية خطيرة ، وأشرت الى ان لديك أدلة ٠٠ فأعطنيها لأنشرها ! »

ماجدا : لا ٠٠ انها تطعننى فى الصميم !

رئيس التحرير : أرجوك يا آنسة ، ليس من شأنكالتدخل. اسمع يا أستاذ : لقد مسست فى مقال اليوم أمورا ذات أهمية قصوى ٠٠ لقد كتب المقال ببراعة فائقة ، ومع انه لم يتضمن سوى عبارات موجزة ، الا ان الباقى يبدو واضحا بين السطور **٠٠ والذى أريده هو ان تعود الى الموضـوع ٠٠ وفى الحال . اننى أضع صـحيفتى بأسرها رهن تصرفك ، بل اننى على استعداد لأن أثير أكبر ضجة حول الموضـوع ٠٠ اذا كانت الأدلة التى لديك دامغة !**

ماجدا (لاندرونيك) : لا ، لن تعطيه شيئا ٠٠ (للزائر) لن تبرح هذا المـكان ورقة واحدة ما دمت أنا موجودة ٠٠ قد لا يكون لى حق ، ولكن على واجبا ، هو ان أمنع الفضيحة الادبية التى تدبرانها !

رئيس التحرير : فضيحة أدبية ؟! ٠٠ انك تضحكيننى ! فضيحة أدبية ضد أكبر لص فى العالم ؟

وتثور ماجدا اذ تظن ان اللقب منصب على « اسكندر الأكبر » ، فيحـاول اندرونيك ان يخفف من الوطأة قائلا : « لا نستطيع الآن ان نستخدم الكلمات الضخمة جزافا ٠٠ مثل لص ! » ، ولـكن رئيس التحرير يذكره بما أورده فى مقاله : « ولدينـا الأدلة والوثائق التى نفضل ان لا نكشـفها الآن » ، ويقول : « ولكننى أفضل ان أكشفها الآن ٠٠ بل أطالبك بها ، وستجد « صيحة النفير » فى يد كل فرد غدا ، ولن تنقضى ثلاثة أيام حتى يكون اسم اسكندر اندرونيك على كل لسان !

اندرونيك : لست أفقه شيئا ٠٠ لست أصدق ٠٠ لا أستطيع ان أصدق ٠٠ امهلنى ريثما أفكر على الأقل

رئيس التحرير : لعلك ترتقب عرضـا آخر ، فدعنى أنبئك صراحة بأن عليك ان تسألنى رأيى أولا ٠ الساعة الآن السادسة الا عشر دقائق ، ولا بد من ان أتسلم منك المقال بعد ساعتين ٠٠ وسأحضر بنفسى لاستلامه !

★ ★ ★

◆ **وينصرف** دون ان يصغى لاحتجاجات ماجدا أو اعتراضات اندرونيك ٠ وما ان يختفى رئيس التحـريـر ، حتى يطمئن اندرونيك تلميذته الى انه لن يقبل العرض ، وسـيظل يقصر مقالاته على مجلة « التـاريخ القديم » ، وان كان قد سئم ان يقضى عمره فى القاء محاضرات على نفر ضئيل من الطلبة ! ٠٠ وتبدى ماجدا عطفها على موقفه وحيرته ، ثم تدعوه الى نزهة على الأقدام يروح فيها عن نفسه ٠ ولكن « بوكسان » يصل قبل ان ينطلقا ، فيبادر قائلا : « انك تعرفنى ولا بد » ، ثم يردف حين يرى الدهشـة على أسارير اندرونيك : « اننى جريجـور بوكسـان ٠٠ ألم تسمع هـذا الاسم من قبل ؟ » ٠٠ ويقلب منفضة السجاير الموجودة على المكتب فيريه الاسم على ظهرها ،

ويشير الى « النشافة » فاذا اسم « مصنع بوكســان للورق » عليها ٠٠حتى الزر الذى فى سترته من مصنع يمتلكه بوكسان : « **لا شىء فى المدينة كلها الا وعليه اسمى ٠٠ أساس البيت من مصنع بوكســـان للأسمنت ٠٠ الحذاء من مصنع بوكســـان للجلد ، الأســفلت من مصنع بوكســان للأسفلت ! ٠٠ فهل مازلت على جهلك بى ؟ ٠٠ لقــد جئت لأتحدث اليك مباشرة ، وفى ايجاز ، فهذا ديدنى فى علاج مسائلى ٠٠ كم تريد ؟ ٠٠ كم من النقود تريد ؟** »

اندرونيك : لست أدرى ما الذى ترمى اليه ٠٠ أهى منحة لمعهد التاريخ القديم ، الذى أتولى رئاسته ؟

بوكسان : لا بأس بهذه الصيغة ! ما أبرعك !

ويندفع اندرونيك الى شكر المالى الكبير ، وقد اشتد به التأثر ، ولكن بوكسان يفقد صبره ، فيقول : « لقد قرأت مقالك فى هذا الصباح » ٠ ويدهش اندرونيك من ان رجل المال والأعمال يعبأ بمقـــال تاريخى ، فيقـــول بوكسان : « أو ليس لى أن أقوم بما لم أقم به من قبل ؟ أمحرم على أن أتجر فى الغلال مثلا ؟ ٠٠ أممنوع أنا من ان أتجر فى الشوفان ٠٠ أو ما سميته فى مقالك احتكار الشوفان ؟ »

اندرونيك (وقد هزه ان يذكر الرجل مقاله) : أراك تتذكر عبارتى !

بوكسان : أجل ، ولك ان تهنىء نفسك عليهـــا ٠٠ كانت غمزة ناجحة !

اندرونيك : لقد أدركت انها عبارة قوية تحتاج الى مزيد من الايضاح ٠٠ وقد وعدت ٠٠٠

ويقاطعه بوكسان قائلا أن لاداعى لما يبغى من ايضـــاحات ، ولكن اندرونيك يقول : « ان الشوفان الذى أقصده ليس بالنوع المعروف فى الغلال العادية ٠٠ اذ ان هذا النوع لم يكن معروفا فى أيام اسكندر الأكبر ٠٠ لقد كنت أقول فى المحاضرة التى

أذعتها ٠٠٠ » ، وهنا يكاد بوكسان يصعق ، فيصيح : « هل تحدثت بالراديو أيضا ٠٠ أيها التعس ؟! ٠٠ أى مؤامرة للنصب والاحتيال هذه ؟ »

ويحتج اندرونيك ، ولكن بوكسان يفقد أعصابه ، ويمسك بخناقه ، ويصيح : « أيها الوغد ! أتجرؤ على ان تقيس نفسك بى ! ٠٠ لا بد اننى جننت ٠٠ أجل ، كان جنونا ان آتى فأعرض عليك مالا بدلا من ان أمحوك من الوجود ! ٠٠ ألا كف عن هذا التجاهل السخيف وتكلم ٠٠ كيف علمت بمشروع بروتاه ؟ »

اندرونيك : لست أفهم ٠٠ اننى أرجوك ٠٠ أتوسل اليك ان تفصح !

بوكسان (يتناول الصحيفة من جيبه ويقرأ) : « وسنبين فى مناسبة أخرى ٠٠ انه من بروتاه الى كارون ، كانت ثمة خطوات فى خط سير بطلنا لم تلق بعد حظا كافيا من الدراسة» ٠٠ أو مع ذلك تقول انك لاتعرف بروتاه ؟

اندرونيك : انها ليست بروتاه ، وانما بروفتاسيا ٠٠ وليست كارون، وانما كابول٠٠ أخطاء مطبعية !



ويثور بوكسان اذ يظن أن اندرونيك يغرر به ويخدعه ، حتى بعدأن يريه الأستاذموقع بروفتاسيا على الخريطة ٠ وعندما يوشك بوكسان ـ فى النهايةـ أن يقتنع بسلامةموقف اندرونيك وصدق لهجته ، تقفز ماجدا ـ وكانت تستمع فى صمت الى الحديث ـ فتقول للمالى الكبير : « **خليق بك أن**

تسألنى عنه ‥ انه شرير ، محتال ، وانك لساذج أمامه ‥ أخطاء مطبعيــة ؟! ‥ ها ! ‥ أو تصــدقه ؟ » ‥ ويذهل اندرونيك لهذا الهجوم العنيف من تلميذته ، ولكن الفتـــــاة تسأله متحدية : « من الذى كان هنا منذ أمد وجيز ؟ » ‥ ويعترف اندرونيك بأن رئيس تحرير صحيفة « صيحة النفير » كان فى زيارته ، فيصيح بوكسان : « كفى ‥ لقد عرفت كل شىء » ‥ وينصرف غاضبا وهو يقول لأندرونيك : « سألقنك درسا لن تنساه ‥ انك رجل مقضى عليه بالدمار ! »

ويتحول اندرونيك فيعنف فى لوم ماجـدا ـ بعد انصراف المالى الكبير ـ ثم يقول لها : « لا تنسى انك ستؤدين امتحانك أمامى ‥ وقد ترسبين ! »

ماجدا : وأنت أيضا كنت تؤدى امتحانا أمامى منذ لحظة ‥ امتحان الحيـــاة ! ‥ وقد رسبت فيـــه ، لأنك طفل ! ‥ لولا تدخلى فى الوقت المناسب لمزقك هذا الرجل ! ‥ انه يريد شيئا معينا ‥ هو وذلك الصحفى يسعيان الى الشىء ذاته !

اندرونيك : أرى اننى فى مغامرة معقدة عجيبة !

ماجدا : أجل ‥ انها مغامرتك الأولى ، فهل أنت خائف ؟

الفصل الثالث

◆ **وينقلنا** الفصل الثالث الى غرفة أنيقة فى مكتب بوكسان ‥ واينما وجهت بصرك خلال النافذة ، رأيت لافتات مضيئة تعلن عن مصانع ومؤسسات بوكسان . ونرى سكرتيرة المـــالى الكبير منهمكة فى تتبع خطوات « برانيسكو » ـ وزير المعارف ـ فى كل مكان ، بالتليفون ، لأن مخدومها يريد مقابلته فى ذلك المساء . وفى الساعة الحادية عشرة الا خمس دقائق ، يفد « كينك اجوبيان » ، صاحب دار الطبـــاعة التى تطبع فيهـــا صحيفة

« صيحة النفير » ، فيبادره بوكسان قائلا : « أحب ان تخبرني يا سيد أجوبيان ·· هل تبيعني دار الطباعة ؟ » ·· ولا يمهل الرجل حتى يفكر ، بل يتلو من ورقة أمامه بيانات تنم عن ان الدار غارقة في الديون ، وآلاتها ليست بحال جيدة ·· ويحاول اجوبيان ان يبالغ في سعرها ، ولكن بوكسان يقول : « انني أعرف الرقم الصحيح ·· مليون ومائتان وأربعون « لي » ·· منها مائتان وأربعون لم تدفع بعد ·· فما قولك في انني أعرض عليك أربعة ملايين لي ثمنا للدار ؟ »

ويبهت اجوبيان ، ولا يكاد يصدق أذنيه ·· ولا يسعه سوى ان يقبل ، فيخبره بوكسان بأن عقد البيع معد ، وانه سيجد لدى السكرتيرة اذنا مصرفيا بالثمن ، على شريطة ان يذهب لفوره ــ في سيارة بوكسان ــ الى المطبعة فيسرح عمالها ويغلق أبوابها · ويتردد اجوبيان ، اذ انه كان ملتزما بطبع « صيحة النفير » · ولكن المالي الكبير يذكره بأن الصحيفة مدينة له بأربعمائة وثمانين ألف لي ، وان اتفاقه معها يبيح له ان يتوقف عن الطبع عندما يتأخر أصحابها في تسديد حسابهم لأمد طويل ، ثم يقول : « ومع ذلك فأنا المسئول ! »

اجوبيان : أرى من الخير ان ننتظر للصباح ·· لماذا تصر ؟

بوكسان : انني عندما أدفع من مالي ، لا أقدم حسابا لأحد · فهل تقبل الصفقة أو ترفضها ؟ ·· نعم أو لا ؟

ويهرع اجوبيان لتنفيذ رغبة الرجل ، بينما يقبل «برانيسكو» وزير المعارف ·· كان العمل قد أرهقه ، فاستقل سيارته الى قرية هادئة ، ولكنه لم يكد يبلغها حتى وجد نبأ من العاصمة بأن « بوكسان » يبحث عنه ، ومن ثم عاد ادراجه فورا ·· ويقول الوزير : « وهأنذا قد عدت توا ·· **أرأيت كيف أحفل بك ، مع انك لا تعبأ بي ، والا ما تركتني في وزارة المعارف ·· ليس عليك سوى ان تقول كلمة واحدة ، فاذا بي أتولى وزارة أخرى ·· كالمالية ، أو الصناعة ، أو النقل ·· كل هذه وزارات**

جدية ، فيها عمل لى ٠٠ ولك ! »

ويعده بوكسان بأن يفكر فى الأمر ، ثم يقول له انه ما دعاه الا لمسـألة تتعلق بأستاذ للتاريخ فى كليــة الآداب يدعى « اسكندر اندرونيك » ٠٠ ويفكر برانيسكو برهة ثم يقول : « آه ، تذكرته ٠٠ انه ليس أستاذا ، وانما محاضرا ٠٠ لا حاجة بك الى ان تقول كلمة أخرى ٠٠ ان كرسى الأستاذية شاغر ، وسأعينه فيه غدا ! »

بوكسان : لا ٠٠ ولكنك ستفصله عن الجامعة غدا !

وكانت هذه مشكلة ٠٠ فان الترقية سهلة على الوزير ، أما الفصل فمن أصعب الأمور ! ٠٠ ويقول برانيسكو : « ألم أقل لك ان هـذه أتعس وزارة ؟ ٠٠ ان يدى مغلولتان ، فالجامعـة مسـتقلة ، والمجلس ٠٠٠ » ، ولا يتم حديثه ، لأن بوكسـان يقاطعـه قائلا : « اذن فأنت لا تسـتطيع ٠٠ أهذه كلمتك الأخـيرة ؟ » ٠ ويرفع سماعة التليفون ، ويدير رقمـا ، ثم يقول : « هل السيد ايكيم موجود ٠٠ أجل ، ايكيم الوزير ! » ٠ وهنـا تنهار مقـاومة برانيسكو ، فيختطف السماعة من يده ويردها الى مكانها قائلا : « كيف تقدم على تصرف كهذا ؟ ٠٠ أو لا تدع لى وقتا أفكر فيه ؟ »

بوكسان : ليس لدى وقت !

ويفـكر برانيسكو فى حل اثر حل ، حتى يهتـدى أخيرا الى ان بوسعه ان يوفد بعض أعوانه ليثيروا شغبا أثناء أولى محاضرات اندرونيك فى اليوم التـالى ، ثم يحولون الشغب الى عراك وثورة ، فتضطر وزارة المعـارف الى التـدخل لحفظ النظام ، ويفصل اندرونيك علاجا للموقف !

ويخلو المـالى الكبير الى سكرتيرته بعـد انصراف الوزير ، فيقول لها : « ان الذى لا أكاد أفهمه حتى الآن ، هو ان ملف مشروع بروتاه فى خزانتى منذ عام ، ولم يبرحها قط ، ومع ذلك فهناك من هو على علم بالمشروع ٠٠ كيف ، ولماذا ؟ »

السكرتيرة : أما كيف فهذا ما لا أدريه ! وأما لماذا ، فلأن هذا الشخص يريد مالا !

بوكسان : لقد عرضت عليه نقودا فرفض ، وأنا أخشى الذين يرفضون ، لأننى لا أفهمهم .. **اننى أبتاع من يعترض طريقى ، أو أحطمه ! .. اننى كمروض الأسود : فهو دائما قوى طالما كان السوط فى يده ، ولكن .. ما ان يخدشه أسد ، حتى تنقض عليه بقية الأسود فتمزقه ! .. أترين هذه الأنوار التى تسطع باسمى فوق المدينة .. لقد تولانى الخوف اليوم من ان تخبو الى الأبد !**

ويفد رئيس تحرير « صيحة النفير » فى تلك اللحظة ، فيبادر قائلا : « اسمع يا بوكسان .. لقد كان اليوم عصيبا لكل منا .. ولقد ظللت طيلة يومى أناضل ، وأجرى ، وأبحث ، فليس من السهل ان ينازل المرء شخصا مثلك » .. ويحاول ان يوهمه بأنه حصل على الوثائق والأدلة ، ثم يشرع فى مساومته على عدم نشرها ، ولكن بوكسان يجيبه فى هدوء : « ولكنها لن تنشر .. ولن تصدر « صيحة النفير » بعد اليوم .. اننى ألغيتها ! » .. ويحاول رئيس التحرير ان يضحك ، ولكنه لا يلبث ان يصدم حين يعرف ان المالى الكبير قد ابتاع المطبعة وأمر باغلاق أبوابها فورا ..

رئيس التحرير : أو تعرف مدى الضجة التى أستطيع ان أثيرها اذا ما أعلنت فى كل مكان ان جريجور بوكسان قضى على « صيحة النفير » بيديه ، لأنه خائف منها ؟! .. ثم ، هل نسيت اندرونيك ؟

بوكسان : زميلك فى المؤامرة ؟!

رئيس التحرير : انه أمهر وأخطر من ان يتخذ له زملاء ، فهو يعمل وحده . ألا دعنى أكن صريحا ، فأنا كأى مقامر عادى ، أطرح أوراقى على المائدة .. فلست أملك ما أخشى ان أخسره ! .. لقد كنت أكذب عندما زعمت ان الوثائق فى جيبى .. كل

شىء فى يدى اندرونيك ، وانه لوغد ، صعب المراس ! ان تحت قناع العالم الأمين يكمن أفاق عظيم ! ٠٠ لقد كنت على موعد معه فى الساعة الثامنة ، فاذا به قد اختفى ٠٠ تلاشى تماما من المدينــة ! ٠٠ اذا كنت قد تخلصت منى ، فماذا تراك صــانعا معه ؟ ٠٠ **انك قد ألفت منازلة المحتالين والأفاقين والأشرار ، ولكن صراع العلماء ذوى الآراء والخيال أقسى وأصعب !**

ويهم بالانصراف ، فيستوقفه بوكسان ويسأله : « أتريد ان تصدر صحيفتك فى صباح غد ؟ » ٠٠ ويعرض عليه استعداده لأن يبيعه دار الطباعة ، فيقول الصحفى : «ومن أين لى المال؟» ، ولكن بوكسان يقول : « ليست هذه بالمعضلة ٠ سأبيعك الدار بعشرة ملايين لى ، ولن تدفع مليما ، وانما ستوقع ســـندات (كمبيالات) بالمبلغ ٠٠ ولكنك لن تكون مطالبا بتسديدها ، بل سأحتفظ بها فى خزانتى كضمان ٠٠ أفهمت ؟ » ٠٠ ويفهم رئيس التحرير ! ٠٠ ويوقع السندات ٠ وعندما يصل أجوبيان ليطمئن المالى الكبير الى انه أغلق أبواب المطبعة ، يفاجئه رئيس التحرير فيأمره بالعودة الى فتح الأبواب ، واستدعاء العمال ٠٠ لأنه أصبح صاحب الدار !

★ ★ ★

◆ **ويجلس** الحليفان — المــالى ورئيس التحـــرير — يدبران خطتهما ٠٠ ولكن ماجدا تصل فى تلك الأثناء ، فينسحب رئيس التحرير الى غرفة داخلية قبل ان تلج الفتاة مكتب بوكسان ، فتبادره معتذرة عن تدخلها العنيف فى النقاش الذى دار بينه وبين اندرونيك فى النهار ، قائلة انها تخشى ان يؤدى الخـــلاف الذى حدث الى نكبة تحيق به قبل سواه ٠٠ « لقد كنت أتمشى فى الطرقات لأروح عن نفسى ، حين وجدتنى أمام هذا المبنى ٠٠ ما أعظمه ، وما أكثر تعدد طبقاته ! ٠٠ وفجأة ، خيل الى ان المبنى الضخم يترنح ويوشك ان ينهار » ٠٠ وتفلح الفتاة

فى ان تزعزع ثقة المالى الكبير فى نفسه ، واطمئنانه الى سلطانه فى القضاء على غريمه « اندرونيك »

بوكسان : اننى أريد ان أعرف : من أنت ؟ وما الذى كنت تفعلينه فىمنزل الاستاذ ؟ وما الذى تريدينه الآن ؟ آه ، فهمت ٠٠ أأنت عشيقته ؟ ٠٠ أو كان انفجارك اليوم أمامى انتقاما منه لأنكما على شقاق ؟

ماجدا : الى حد ما ٠٠ انك لا تعرفاندرونيك ، فهو خطر ٠٠ **اذا انطلق من عقاله أصبح جبارا ، قاسيا ، عنيفا ، يستهين بكل شىء ٠٠ انه كالاعصار !**

بوكسان : انك تخيفيننى !

ماجدا : ما جئت الا لأخيفك ! ٠٠ لقد عرفت من البداية ان اندرونيك على علم بكل صغيرة وكبيرة فى مشروع بروتاه ، وان لديه وثائق عنه ، كما انه على استعداد لأن يفضح كل شىء ! ٠٠ **ولعله كان على استعداد أيضا لأن يرجع عن ذلك ، لولا انك سعيت اليه ، فأدرك ان بوسعه ان ينتزع منك أكثر مما جئت تعرض ، اذا هو ناضل ٠٠ ومن هنـــا كان تجاهله وتظاهره بأنه لم يفهم ما جئت تحدثه عنه ! ٠٠ ان كلا منكما لا يعرف الآخـر ، ولكننى أدرك انكما شـديدا العنف ، وان الصراع خليق بأن يكون فظيعا !**

وتذكر له ان اندرونيك شرع يكتب بالفعل عن موضـــوع الغلال واحتكارها ، وان ما يكتبه ليس مجرد مقال ، وانما هو كتــاب كامل ، وانه لذلك لن يذهب الى الجامعـــة ولن يلقى محاضراته ٠ ويجزع بوكسان ، اذ ان عدم ذهاب اندرونيك الى الجامعة معناه فشل خطة اثارة الشغب تمهيدا لفصله ٠٠ وهى الخطة التى كان يعتمد عليها للقضاء على اندرونيك ! ٠٠ وفى براعة ، تتحول ماجدا الى الحديث عن شغف اندرونيك باسكندر الأكبر ، وطموحه الى ان يقوم بحملة علميـــة ٠٠ ويسألها بوكسان : « ما الذى ترمين اليه ؟ »

ماجدا : اننى أعرض عليك الطمأنينة ٠٠ سكينة البال وهدوء النفس ٠٠ فلو كنت مطمئنا لما وجدت فى مكتبك فى مثل هذه الساعة من الليل

بوكسان : ألديك غرض شخصى ؟

ماجدا : انك كثير الأسئلة ٠ كل ما أستطيع قوله ، هو اننى أريد ان يبرح اندرونيك البلاد ، وان يرحل بعيدا معى !

بوكسان : أهناك امرأة أخرى تنازعك اياه ؟

ماجدا : ألم أقل انك كثير الأسئلة ؟٠٠ ألا ترى من ناحيتك ان الجو يغدو أكثر ملاءمة لك لو انه رحل صباح غد الى آسيا فى حملة تستـــغرق ثلاثة أعوام ؟ ٠٠ هذه الرحـــلة هى الحل الموفق !

ويدرك هدفها ، فيكتب رقما على وريقة ، ولكنها تضيف الى الرقم صفرا الى اليمين ، فيقول : « هذا كثير جدا ! » ٠٠ ولكنها تجيب : « أهو كذلك بالنسبة لما ستتنعم به من هدوء بال ؟ » ٠٠ وهكذا تمهد الجـو ، ثم تدعو اندرونيك الى مكتب المـالى الكبير ، وينضم رئيس التحرير الى الاجتماع ٠٠ ويتبادل المالى الكبير المجاملات مع اندرونيك الذى لا يتكلم الا بحرص ، ووفقا لما تلهمه نظرات ماجدا وحركاتها ٠ على ان بوكسان لا يلبث ان يقول فى لهجة حاسمة : « أتعـــتزم الرحيل ؟ » ٠٠ فيقـــول اندرونيك : « ان هذه الرحلة هى الحلم الأكبر فى حياتى »

بوكسان : اذن فارحل ٠٠ لقد وضعت تحت تصرفك كل ما تحتاج اليه

ويتحدث اندرونيك عن أمانيـــه فى كشف غوامض حيـــاة « اسكندر الأكبر » ، فيظن المالى الكبير انه يشير بذلك الى ان رحلته تتطلب مزيدا من المال ، فيقول : « دعنا من كل هذا ٠٠ لا حاجة بك الى اقناعى ، فقد رصدت لك المال الكافى ، فمتى ترحل ؟ » ٠٠ ويأتى الجواب من ماجدا : « غدا ٠٠ فى أسرع وقت ! »

اندرونيك : هو ذلك ، ولكن هناك أمرا أريد ان أعرفه ٠٠ بل يجب ان أعرفه ٠٠ ما هو « بروتاه » ؟

ويصيح بوكسان ورئيس التحرير وماجدا دهشة للمفاجأة ! ويتهم الأولان اندرونيك بأنه يتصنع الغباء ، ولكن ماجدا تقول : « أتريد ان تعرف معنى الكلمة ؟ ٠٠ ان « بروتاه » جمعية كان السيد بوكسان يتوق الى انشائها منذ وقت طويل، وقد تمكن أخيرا من ذلك ٠٠ أو لم تفهم بعد ؟ ٠٠ انها مؤلفة من المقاطع الاولى من كلمات : جمعية ترقية دراسات التاريخ القديم ! »

اندرونيك (فى دهشة ساذجة) : ما أغرب هذا الأمر !

بوكسان (فى اغتباط) : حقا ؟ ٠٠ انك لنابغة يا آنسة ماجدا !

وينادى المالى الكبير سكرتيرته ثم يأمرها بأن تعد فى اليوم التالى قانونا ونظاما للجمعية ، وبأن تضع على رأس مجلس ادارتها « الأستاذ اسكندر اندرونيك » ٠٠ ويهتف رئيس التحرير : « وهذه قنبلة اخبارية جديدة للصحيفة ! »

وهكذا ، لم ينس الصحفي « القنابل المثيرة » التى تروج لصحيفته ٠٠ رغم كل الظروف !

خلف النوافذ المغلقة



عباقرة الإنسانية
فى حياتهم الخاصة

عزيزى القارىء ..

فى الاعداد الستة الاولى من «كتابى»، قدمت لك فى هذا الباب قصة الحياة الخاصة لفيكتور هوجو ، كما كتبها أديب من أسرته وذوى قرباه هو «ليون دوديه »

ثم قدمت لك فى نفس الباب « اعترافات جان جاك روسو » ، وهو الكتاب الذى فتح فى الادب «الشخصى» فتحا جديدا ، اذ كان أول كتاب يتحدث فيه أديب عن نفسه « فيشرح »عيوبه قبل حسناته بصراحة وجرأة لم يكن للناس عهد بهما من قبل

وبعد ذلك قرأت معى « تشارلس ديكنز وملهماته » . وفى الاعداد من ١٨ - ٢٦ قرأت قصة حياة الأديبة والملهمة الخالدة جورج صاند ، بقلم الاديب العالمى « أندريه موروا » ، ثم قصة حياة ومأساة الفنان الفرنسى الخالد « هنرى دى تولوز لوتريك » ، رسام « الطاحونة الحمراء » ، وغرام «جيته» الأخير ، فمذكرات أغا خان ، وأخيرا « نابليون العاشق »

واليوم ، أصحبك الى جولة جديدة فى هذا الباب الشائق :



بايرون.. الإيطالى!

الشاعر الذى انتزع من المطالب بعرش انجلترا.. زوجته!

للمؤرخ القصصى "ف. ماتانيا"

الشاعر الذى طهره الحب من الدنس !

◆ قال شاعر عربى قديم ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء ، أى مفسدة ! ٠٠ وقد كان الكونت « فيتوريو ألفييرى » شابا جميلا ، وكان ثراء أسرته يعفيه من العمل ، ومن ثم كان مرشحا للفساد ، اذ خاض غمار غراميات حافلة ٠٠ وعندما تزاحمت التجارب والذكريات فى نفسه ورأسه ، بدأ يتجه الى الادب ، فيؤلف التمثيليات والقصص ، ويقرض الشعر ٠ ثم التقى بغرامه الحقيقى ، الذى رفعه فوق أدناس النزوات ، والذى أوحى اليه بأجمل انتاج خلد اسمه فى تاريخ الأدب الايطالى ٠٠ وكانت الفاتنة التى أحبها زوجة أمير يطالب بعرش انجلترا٠ فتعال نقرأ معا قصة هذا الغرام الفذ ، وقصة صاحبه ، كما كتبهما المؤلف المؤرخ الرسام : « ف٠ ماتانيا » ، الذى قدم لك « كتابى » فى أعداد سابقة عددا من روائعه التاريخية

كازانوفا وبايرون ٠٠ فى شخص واحد !

◆ **كان** أنيقا ، مليحا ، مترفعا ، مشبوب العواطف ٠٠ ومن ثم فانه سلك حياة لاهية عابثة ، وكانت له مغامرات لا تقل عن مغامرات مواطنه الايطالى « كازانوفا » ، حتى انه انتزع من أمير كان يطالب بعرش انجلترا ٠٠ زوجته الأميرة الحسناء !

وكان – رغم نبل أصله وكرم منبته – مستهترا ، يعيش فى الحياة بلا هدف أو رسالة اللهم الا ارواء عواطفه ! ٠٠ **ثم تفاعلت التجارب التى صادفها فى الحياة مع المشاعر الحساسة التى كانت تضطرم بين جوانحه ، فاذا التفاعل ينتج منه شاعرا مطبوعا ، استطاع ان يظفر لنفسه ، فى دولة الشعر بايطاليا ، بنفس المكانة التى ظفر بها « بايرون » فى الشعر الانجليزى ، حتى لقد وصفه بعض النقاد بأنه « بايرون الايطالى » ! ٠٠** ولكن الخبرة الممزوجة بالأحاسيس المرهفة والذكاء المشبوب لم

تقف به عند حد الشعر ، بل حملته الى دنيا القصص والمسرح ، فألف قصصا ومسرحيات زادت من رسوخ اسمه فى التاريخ !

ذلك هو الكونت فيتوريو ألفييرى !

ولو اننا رجعنا الى مذكرات هذه الشخصية الطريفة ، لوجدناها تبدأ بهذه العبارات : « ولدت فى (آستى) باقليم بييدمونت ، فى ١٧ يناير سنة ١٧٤٩ ، لأبوين أرستقراطيين ، مثريين ، كريمين ٠ وانى لأذكر هذه الصفات الثلاث بالخط العريض ، لأبين ما آثرنى به الحظ ٠ فان نبل أصلى مكننى من ان أزدرى النبل وأربأ أن يكون الصفة الوحيدة للمرء ، ومن أن أكشف سخافات طبقة النبلاء ورذائلها ومساوئها دون أن أتهم بأننى أصدر فى نقدها عن حسد ٠ والأمر الثانى اننى استطعت عن طريق الثراء ان أظل حرا ، لم أوصف بخدمة أى انسان أو أى غرض سوى الحقيقة ٠٠ أما ثالث الأمور ، فيتمثل فى ان كرم أهلى قد وقانى من أن أخجل يوما من أصلى ! »

ثائر ٠٠ منذ الصغر !

◆ **ولم** يكن « ألفييرى » قد تجاوز الطفولة بعد، عندما كشف عن أولى مظاهر الثورة والتمرد فى نفسه ٠ فقد اعترض فى عنف على نظام التربية والتعليم الذى فرض عليه ، وأبدى عداء جامحا ـ لازمه طيلة حياته بعد ذلك ـ ضد الرهبان الذين كانوا اذ ذاك يحتكرون مهنة التعليم ٠ وكان مجرد تذكره لأيام الدراسة مبعث هم له ، وكأنما كانت هذه الذكرى كابوسا يجثم على صدره

وعندما تجاوز ألفييرى العاشرة ، نما جسمه حتى تجاوز سنه ، فاذا به طويل القامة ، نحيل الجسم ٠٠ وفى تلك السن ، أراده أهله على ان يتلقى دروسا فى الرقص تؤهله للظهور فى المجتمع ، فاذا به ينفر من تلك الدروس ويكرهها ٠٠ **وكان أستاذه هو السبب فى ذلك ، اذ كان فرنسيا « مخنثا ، تغلب**

عليه طراوة الأنوثة ·· مغرورا ، وقحا » ! ·· وقد عزا ألفييرى فى مذكراته الى هذا الرجل ، بدء تسلل كراهيـة الفرنسيين عامة الى قلبه ·· وهى كراهية لازمته طوال عمره دون ان تهن حدتها أو تخبو جذوتها !

يكره باريس ·· ولويس الخامس عشر !

◆ **وعندما** بلغ ألفييرى الرابعـة عشرة من عمره ، تفتحت أمامه أبواب حياة جديدة ، اذ أقبل على ممارسة رياضة ركوب الخيل وتعلق بها حتى غدت هواية متسلطة لم يفقها فى التسلط على نفسـه ـ طيلة حيـاته ـ سوى هواية الظفر فى الحب ، وهواية الفوز بالمجد الأدبى ·· وهما هوايتان تولدتا فى نفسه فيما بعد !

وقضى ألفييرى ردحا من الزمان فى اللعب والخمول والحيـاة الطلقة التى لا هدف لها ولا غاية ، وفى محاولات للدراسـة لم تلق توجيها صالحا يجعلها مجدية · ثم تاقت نفسه الى الأسفار ، فبدأ فى سنة ١٧٦٦ رحلة طمع من ورائهـا فى ان يتخلص من رتابة الحياة ، ومن الفراغ الذى كان يضجره ويثقل عليه

ومن نابولى رحل الى روما ·· ومن هذه الى بولونى ، ثم الى البندقية ·· وانتقل من هذه الى الريفييرا ، فمرسيليا ·· **ثم انتهى به المطاف الى باريس ، فاذا به يصدم بما وجده من تقلب جوها ، وقذارة بيوتهـا ، وجهامة مجتمعها ، وانعدام الأمانة والشرف لدى من احتك بهم من أهلهـا ، واسفاف نسائهـا فى تلطيخ وجوههن بالأصباغ والمساحيق ·· هكذا سـجل فى مذكراته ! ·· وكان أكثر ما ساءه من فرنسا هو ملكها ! ··** فقد قدمه سفير (بييدمونت) الى بلاط لويس الخامس عشر ، فكتب الشاب فى مذكراته أثر هذه المناسبة فى نفسه : « بالرغم من اننى علمت مقدما ان لويس الخامس عشر لم يكن يتـكلم الى أجانب قط ـ وهى عادة لم أستأ عندما أنبئت بها ـ الا اننى

لم أقو قط على ان أهضم مسلك الملك المتعالى المتأله ، وقد راح يتفحصنى من رأسى الى قدمى ، دون ان يبدى أى شعور على الاطلاق ! »

غرام فى هولندا .. ينتهى بالفشل !

◆ **وبعد** فترة من الزمن ، ألقى الرحالة الهائم عصا ترحاله فى انجلترا . فاذا لندن تروق له بعض الوقت ، اذ وجد فيها جوا اجتماعيا يختلف عن ذاك الذى ألفه فى أوربا .. ولكن الحنين الى الأسفار لم يلبث ان عاوده ، فرحل الى هولندا ، حيث أصابته سهام كيوبيد للمرة الأولى . فقد كان حتى ذلك الحين ينأى بنفسه عن المغامرات الغرامية ، وان لم يعفه هذا من ان يظفر بين آن وآخر بنجاح غير منشود ولا مقصود فى ميدان الهوى !

على ان المغامرة التى صادفته فى هولندا اختلفت عما عداها فى انها وجدت هوى من قلبه .. فلم تكن مجرد عبث عابر ، وانما تعلق فؤاد ألفييرى بحب امرأة متزوجة ! وكان غراما محفوفا بالمصاعب والعقبات ، انتهى بفشل تصدع له قلب الشاب ، فعاد الى وطنه ينشد السلوى فى متابعة الدراسات الأدبية .. على ان أحدا لم يكن ليتصور ان هذا الشاب سيسكب ــ بعد سنوات قلائل ــ تجاربه فى قصائد رائعة تتألق فى سماء الشعر الايطالى !

وقبل ان يستتب لألفييرى المقام فى وطنه ، فوجىء بأبويه يختاران له زوجة ، دون ان يتعرفا رأيه أو عواطفه ، فلم يجد بدا من العودة الى الأسفار ، يلوذ بها من هذا الزواج الذى كاد يفرض عليه رغم ارادته.. وارتاد فى هذه المرة ألمانيا والدانيمرك وروسيا !

وأخيرا ، بلغ ألفييرى لندن ، فطاب له المقام ، وعاد الى الاندماج فى الحياة الاجتماعية ، لا سيما وان لقبه الارستقراطى،

وجمال طلعته ، ونبل مظهره ، جعلته موضع ترحيب أينما ذهب .. وسرعان ما صار نجما لامعا فى حفلات الطبقة الراقية ، وتهافتت الحسان على الشاب الايطالى ذى الحسب والثراء والملاحة ، يتقربن اليه ، وينشدن وده

.. وغرام فى لندن .. ينتهى بالفضيحة !

◆ **على ان** ألفييرى لم يبهر بما كان يحف به من جمال ، حتى التقى يوما – فى قصر صديقه الأمير « ماسيرانو » – بملكة الجمال فى المجتمع الانجليزى فى ذلك الحين .. وهى الليدى « بينيلوب » ، ابنة « ايرل ريفرز » ، وزوجة «اللورد ليجونير» .. وكانت شابة فى ميعة الصبا وروعة البهاء ، قسرها أهلها على الزواج من رجل فى سن أبيها !

وذهل ألفييرى للجمال البارع الذى بهر عينيه .. وسرعان ما تدله فى هوى الشابة الفاتنة ، كما أغرمت « بينيلوب » به . وأخذا يلتقيان يوميا فى دار « الاوبرا » أو المجتمعات أو المتنزهات ، فيسعى كل منهما الى الآخر ، رغم العقبات التى كان العرف الاجتماعى يقيمها فى طريقهما ! .. **ولكن هذه اللقاءات لم تعد ترضى القلبين الجامحين ، المفعمين بجرأة الشباب واندفاعه . فما لبث غرامهما ان انقلب الى لعبة خطرة ، اذ أقبل « ألفييرى » على المجازفة والتسلل الى قصر اللورد ليجونير .. واستهوت هذه اللعبة الفاتنة الشابة ذات الطبيعة الهوجاء المتمردة ، فأصبحت تبتسم لمغامرات عاشقها ، وتعبس اذا بدرت منه بادرة تنم عن حذر !**

وجاء الصيف ، فرحلت « الليدى » الشابة الى قصر زوجها فى الريف .. ولكن بعد الشقة لم يثن الشاب عن موافاة حبيبته ، فكان ينطلق من لندن على صهوة جواده ، حتى اذا أشرف على القصر ، ربط الجواد الى شجرة متوارية فى منعرج الطريق ، وتسلل خلال الادغال ، متسلقا الأسوار ، مقتحما

المنافذ ، حتى يصبح بين جدران مخدع حبيبته .. وأصبح هذا المخدع معبدا يقدم فيه العاشقان من نفسيهما وعواطفهما المتأججة قرابين للهوى !

فى غياب الزوج .. تحلو الخيانة !

◆ **على ان** كل سر مصيره الى افتضاح ، مهما طال به الأمد .. اذ لم تلبث الهواجس أن ساورت ليجونيير . وأحس ألفييرى بذلك ، فلم يزده شك الزوج الا ايغالا فى الجرأة ، رغم ان نفسه عفت – فى الوقت ذاته – الى رد فعل يضع حدا لتلك العلاقة التى جعلته يعيش متوتر الأعصاب ، من جراء المخاطرات التى كان يخوضها ليروى نزواته العاطفية !

وفى احدى المناسبات القومية ، تقرر أن يقام عرض عسكرى كبير فى لندن ، فى صباح أحد أيام الاثنين .. وكان لا بد للورد ليجونيير من ان يحضر هذا العرض بحكم مركزه ومكانته . لذلك آثر ان يغادر قصره الريفى فى يوم الأحد ، ليبيت فى لندن ، ثم يتأهب للمناسبة فى الصباح التالى ..

ولم يكن العاشقان ليفوتا على نفسيهما هذه الفرصة ، مع ان ألفييرى كان فى حال لا تسمح له بالحركات العنيفة – كالقفز فوق الأسوار – اذ كان مصابا فى احدى كتفيه برضوض ، اثر سقوطه عن صهوة جواده . ومن ثم فانه ارتدى ثيابه بعناء – فى أصيل يوم الأحد – واستأجر عربة ، لأنه لم يقو على امتطاء فرسه ، وانطلق فى طريقه الى (ستراثفيلدساى)

وغادر ألفييرى العربة قبل ان تبلغ به القصر بمسافة مناسبة ، ثم سعى تحت جنح الظلام حتى وصل الى حديقة قصر محبوبته . وشد ما كانت دهشته حين ألفى الباب الخلفى للحديقة مغلقا ، على عكس ما كان يرتقب . ولكن هذا لم يثنه عن غايته ، فلم يتردد فى ان يتسلق سياج الحديقة ، رغم آلام كتفه ..

مبارزة .. بين الزوج والعشيق !

◆ وألفى ليدى ليجونيير فى انتظاره فى مخدعها .. ودهشت بدورها حين علمت ان الباب الخلفى للحديقة مغلق ، اذ انها كانت قد فتحته بنفسها وتركته مفتوحا لتيسير تسلل عشيقها اليها .. فمن الذى أغلقه اذن ؟

على ان العاشقين لم يشاءا ان يفسدا بهجة لقائهما بالانسياق وراء الهواجس والأفكار القاتمة ، فما لبثا ان طرحا عن ذهنيهما لغز الباب المغلق ، وانصرفا الى غرامهما حتى مطلع الفجر ، فتسلل ألفييرى من القصر ، وهو موقن من ان أحدا لم يلمحه .. ولكنه مع ذلك أحس بشىء من القلق يداخله ، دون ان يدرى مأتاه أو مبعثه !

الا ان القدر كان يعد له مفاجأة اختار لها أمسية اليوم التالى .. ففيما كان ألفييرى فى دار الأوبرا الايطالية ، سمع شخصا يناديه من خارج مقصورته ، فأسرع الى فتح بابها ، وخرج الى الردهة .. واذا به وجها لوجه أمام الزوج الذى داس حرمته وعبث بعرضه .. وكان يحمل سيفه فى يده ، غير مشهر !.. وما ان رأى اللورد ليجونيير الشاب الايطالى ، حتى بادره قائلا : « لقد اعترفت لى زوجتى بكل شىء .. فهل أنت على استعداد ؟ »

ولم يحتج ألفييرى الى من يفسر له ما كان وراء هذا السؤال .. ولم ير أمامه مجالا للجدال ، فآثر ان يتبع الزوج الطعين فى صمت ، حتى اذا غادرا دار الأوبرا ، يمما لفورهما شطر متنزه عام قريب . وهناك حاول ألفييرى ان يفتح باب النقاش ، وان ينكر كل علاقة له بليدى ليجونيير ، رغبة فى التستر على خطيئتها ، وفى درء الفضيحة عنها .. ولكن الزوج لم يبد أتفه ميل لأن ينصت اليه ، فلم يجد بدا من ان يقبل منازلته قائلا : « ليكن لك ما تشاء .. فاننى على استعداد لأن أتحمل تبعة كل ما قالته لك »

شهامة الزوج المخدوع !

• **وابتعد** كل منهما عن الآخر بضع خطوات ، وتخفف من ثيابه، ثم تهيأ للمبارزة ..واذ ذاك لمح اللورد ليجونيير الضمادة التى أحاطت بكتف ألفييرى المرضوضة ، فتولته شهامة كريمة ، وعرض عليه ان يرجىء الحساب الى ان تبرأ كتفه . ولكن الايطالى الشاب كان قد استسلم للحماس ، فرفض الاقتراح

ويقول ألفييرى فى مذكراته : « **.. ولقد كنت طوال عمرى مبارزا خائبا ، لذلك انقضضت على غريمى غير عابىء بقواعد النزال ، وقد استبدت بى الرغبة فى أن أقتله .. أجل ، لم أكن أبغي أخدشه مجرد خدش يسوى الحساب بيننا ، كما هى التقاليد المتعارف عليها ، وانما كنت أصبو الى أن أقضى على الزوج الذى أهدرت شرفه دون استحياء أو تحرج !** »

وتوالت هجماته المنافية للقواعد والأصول ، ولكن اللورد الشيخ كان يصدها ببراعة أقنعت ألفييرى بأن الرجل كان قديرا على ان يورده حتفه لو شاء ، فان الهجمات الرعناء أتاحت له الفرصة لذلك أكثر من عشر مرات ! .. وراحا يصولان ويجولان والشاب الايطالى يحاول عبثا ان يصل الى غريمه .. بل انه لم يفلح حتى فى ان يمسه بذؤابة سيفه !

وكان الاخفاق لا يزيد ألفييرى الا انفعالا ورعونة ، مما كان يوقعه تحت رحمة غريمه .. وفيما كان اللورد ليجونيير يتفادى احدى الهجمات ، اذا بسيفه يغيب فى الذراع اليمنى للشاب . على ان هذا لم يفطن الى الجرح ، اذ أعماه الهياج والحنق ، وراح يتابع النضال حتى كل وخارت قواه . واذ ذاك، نكس ليجونيير سيفه ، ونبه الشاب الى الجرح الذى بدأ ينزف ، وقال انه يجد فى الدم المراق ما يكفى لغسل العار الذى لحقه .. ثم التقط عباءته وقبعته وانصرف ، تاركا الشاب فى ذهول وخزى !

نبيل وسائس .. يتنافسان فى الحب !

◆ **وعلم** ألفييرى بعد ذلك ان ليجونيير أبدى لزوجته مثل ما أبدى له من كرم وشمم ، فلم يوقع بها شيئا من نقمته ، بل انه منحها فرصة الطلاق دون فضيحة ولا ضجة ! .. واغتبط الشاب بهذه النتيجة . ومع ان تدلهه ببينيلوب الفاتنة كان قد فتر بعض الشىء ، الا انه قرر فى دخيلة نفسه ان يتزوج منها ، وبذلك يصلح ما أفسده الطيش ، ويبدد سحب العار التى كانت تخيم فوقه وفوقها وفوق الزوج المخدوع ..

ولكنه لم يفطن الى ان للأقدار تدبيرات أخرى .. اذ انه لم يلبث ان التقى بالفاتنة ، وفيما كانت تثرثر دون ان تفطن الى زلات اللسان ، روت له ان اغلاق باب الحديقة أثار شكوكها ، فما زالت تتحرى وتبحث ، حتى تبينت ان ثمة من كان يراقبهما ويشك فى علاقتهما .. ولم يكن ذلك الرقيب سوى رجل استبدت به الغيرة !

وأحدثت كلمة « الغيرة » رنينا نبه ألفييرى من غفلته ، فتساءل فى دهشة : « الغيرة ؟! » .. وأجابت العابثة : « **أجل الغيرة .. فلقد كان الرجل عشيقا لى قبل ان تظهر أنت فى أفق حياتى !** » .. وصاح ألفييرى وقد بدأ يشعر بنيران تدب فى حنايا صدره : « وأى رجل هذا ، بحق الآلهة ! » .. وفى بساطة ، قالت بينيلوب ان ذلك العشيق لم يكن سوى « الجوكى » الذى كان يتولى رعاية خيل السباق فى حظائر زوجها !

« جوكى » !.. مجرد سائس ، أو – على الأكثر – أجير مسئول عن الجياد !

وأحس ألفييرى بالأرض تميد تحت قدميه .. اذن فقد قدر له ، وهو « الكونت » النبيل ، ان يتلقى نفايات سائس حقير ؟! .. لا ، بل الأمر أنكى من هذا وأدعى الى الخزى .. انه – وهو صاحب الحسب والنسب والثراء – قد انتزع من « جوكى »



عشيقته ، فدفعه الى محاولة استردادها .. أى الى ان يصبح غريما ومنافسا له ! .. وأحس ألفييرى بأن الطعنة كانت أقوى من ان تحتملها كبرياؤه وعزة نفسه ..

ولو ان الأمر اقتصر على ان ينبذ ألفييرى الفاتنة العابثة المتهتكة ، لهان الأمر .. ولكنه فوجىء فى اليوم التالى بتفصيلات مغامرته الغرامية وقد نشرت فى احدى الصحف .. وكان لدى المحرر من الأدلة ما عزز موقفه وجعله ينشر الأسماء بصراحة تامة !

وأحس ألفييرى بقسوة الصفعة . ولو ان عاشقا غيره كان صاحب المغامرة ، لما وجد فيها حرجا ، اذ كان يكفيه انه ظفر بملكة الجمال فى المجتمع الراقى .. أما العار الحقيقى ، فخليق بالزوج ان يجرع مرارته وحده ! .. ولكن ألفييرى كان مرهف الحس بفطرته ، فلم يستطع ان يبقى فى انجلترا يوما آخر ، وبادر الى مبارحتها ، حاملا معه ذكرى مريرة مؤلمة !

الأدب .. أجدى من الحب !

◆ **وكان** ألفييرى قد بدأ يعالج الكتابة قبل هذا الحادث ببضع سنوات ، فألف مسرحية عن « كليوباترا » ، وبحثا أدبيا فى الموضوع ذاته .. وكان النجاح الذى قوبل به هذا المجهود كافيا لتشجيعه على ان يكتب سلسلة من المسرحيات التى خلدت اسمه ـ فيما بعد ـ فى سماء الأدب الايطالى . وأغراه النجاح على ان يتعمق فى دراسة أصول اللغة الايطالية والأدب

القائم عليها . فلما اعترض حياته ذلك الحادث المرير الذى انتهى به غرامه بليدى ليجونيير ، لجأ الى (توسكانيا) ، مقررا ان يعيش فى شبه عزلة ، لا يبرحها حتى يتخلص من ذكرى صدمته المهينة ، وحتى يتبحر فى اللغة والأدب

وأقبل على الدراسة فى تحمس وشغف ، وكأنه يعوض ما فاته فى السنوات السالفة ، ويحاول ان يلحق بالزمن ، فيستدرك الأعوام التى بددها من عمره دون طائل .. ولم يشغل ألفييرى خلال تلك الفترة بشىء سوى دراساته وخيله ، اذ كان يخفف عن نفسه عناء الدرس بركوب الخيل والعناية باقتناء الجياد الأصيلة وتربيتها ..

ولكن شغفه بالخيل أخذ ينمو حتى كاد يتغلب على شغفه بالدراسة .. ومن ثم ، فقد أتت على الشاب أيام كان يدعو فيها خادمه الى ان يشد وثاقه الى مقعد أمام منضدة الدرس ، حتى لا يقوم عنها ! .. وبهذا أتيح له ان ينتج سلسلة من المؤلفات الأدبية ، من شعر ونثر ، خلال تلك الفترة .. وبدأت قدماه تثبتان فى دنيا الأدب !

حب الروح .. هو الأسمى !

◆ **وفى** (فلورنسا) ، التقى ألفييرى بآخر غرام له .. غرامه الأعظم والأسمى ، كما كان يسميه ! .. فقد لمح ذات يوم - فى متحف الفنون - سيدة شابة أرخت على وجهها قناعا أكسبها بساطة فى المظهر ، كما أحاطها بغموض يستثير الفضول .. وأخذ ألفييرى يحملق فى السيدة ، فاذا بها ذات قوام بديع ، يحف بها جلال مهيب .. وكانت ذات بشرة ناصعة ، وشعر جميل ، وعينين شديدتى السواد ..

وسعى ألفييرى الى التعرف بها ، فسرعان ما أرشدته غريزته الى ان هذا الشباب الغض الفاتن ، يخفى وراءه هموما لم يستطع ان يدرك كنهها .. **ومع انه عرف الحب من قبل ، وخاض غماره**

مرات ، الا انه أحس فى هذه المرة بأنه انما يعرف الحب للمرة الأولى ، اذ ان العاطفة التى خالجته نحو الشابة كانت غريبة عليه .. كانت عاطفة روحية تسمو به على النزوات الحسية والنوازع الجنسية .. كانت نوعا من التعبد لمعبود يعلو على كل مستويات البشر !

ومما زاد من اهتمام الشاعر الشاب بالحسناء انها بشبابها الغض كانت زوجة لرجل فى السابعة والخمسين من عمره ، كان أقرب الى الحطام منه الى الانسان .. اذ كان متداعى الخلق والجسد ! .. على ان ألفيرى ما لبث ان عرف ان فاتنته المعبودة لم تكن سوى « لويزا مكسميليانا كارولينا ايمانويل » ، كونتة ألباني ، التى كانت تتصل بصلات القربى والدم بأرقى الاسرات العريقة فى فرنسا واسكتلندا وايطاليا واسبانيا .. كما ان زوجها المحطم لم يكن سوى الأمير تشارلس ادوارد ستيوارت ، الذى كان يطالب بعرش انجلترا ، والذى كان آخر سلالة أسرة من الملوك والملكات لاحق النحس أفرادها جيلا بعد جيل !

ولم ينج هذا السليل الأخير من النحس الذى لازم أسرته .. وتمثل هذا النحس فى ان الرجل نسى أصله وكرامة أسرته، وواجباته كزوج ربط الى مصيره حياة شابة حسناء كريمة المحتد .. **فتردى فى هوة الفساد ، وكان لا يفيق من تأثير الخمر الا ليقبل عليها من جديد ، ويسف فى الانحطاط دون أى شعور بالكرامة أو احترام النفس . ومن ثم كانت حياته الزوجية سلسلة من القسوة والانهيار الخلقى والانغماس فى الخمر ..** وكانت الزوجة الشابة المسكينة تحتمل فى صبر وجلد ، فلما تعرفت الى ألفيرى وجدت فى صحبته تسرية وعزاء .. ولم يستشعر الزوج غيرة ، بل انه كان يخلى لهما الجو اذا ما زار ألفيرى الاميرة الحسناء ـ فى كل يوم ـ ولكنه كان يلجأ الى غرفة مجاورة لتلك التى يجلسان فيها .. وكثيرا ما عكر عليهما صفو أحاديثهما الأدبية والثقافية صوت تحطم الكؤوس ،

وتصرفات نابية من الزوج اذا ما لعبت الخمر برأسه !

الشاعر ينقذ حبيبته من همجية زوجها !

◆ **واستمرأت** الكونتة الوفاء الطاهر الذى كان ألفييرى يبديه نحوها ٠٠ كان عطف الشاعر الشاب يبدو لها كالقشة ، وهى غارقة فى بحار الشقاء ، تكافح أمواج المستقبل المعتم المجهول !٠٠ وعبثا حاول ألفييرى ان يجد وسيلة أو طريقة لانقاذ الكونتة التعسة من طغيان زوجها الفاجر ٠ وفى احدى الليالى ، أقام الزوج حفلة ماجنة من تلك الحفلات التى اعتاد أن يجمع فيها أصدقاءه ، فيسرفون فى الشراب ويطلقون لنزواتهم العنان ٠٠ وكان الأمير يفقد أحيانا كل سلطان على نفسه وأعصابه فتجرفه نوبات من الهياج الجنونى ٠ وقد واتته احدى هذه النوبات أثناء تلك الليلة ٠٠ اذ كان قد أخذ ينقم على زوجته ترفعها وحلمها وصبرها ، وما لبثت هذه النقمة ان أسلمته الى الغيرة ٠٠ وهكذا اجتمع الجنون والنقمة والغيرة فى تلك الليلة ، وراحت الخمر تذكى اوار هذه المثيرات الثلاثة ، فاذا الأمير ينقض على زوجته دون ما دواع ولا مقدمات، فيمسك بها فى وحشية مسعورة ، ويحاول ان يخنقها !



وأثار الحادث استنكار ألفييرى، فعقد العزم على ان ينتشل الكونتة التعسة من قبضة ذلك الزوج الهمجى ! ووهبه الحب النقى قوة وعزيمة ودأبا ٠٠ كما وهبه الحظ صديقا معينا فى شخص السفير البريطانى ٠ وبمساعدة هذا السفير تسنى رسم

خطة كانت محفوفة بالصعاب والأشواك ، ولكنها انتهت الى النتيجة المرجوة .. **اذ قبل الأمير يوما الحاف زوجته كى يرافقها فى زيارة أحد الأديرة العريقة ، فما ان وصلا،وتجاوزت الكونتة عتبة الدير الى فنائه ، حتى فوجىء الأمير بالباب يغلق فى وجهه ..** ومن الطبيعى انه أقام الدنيا وأقعدها ، ولكنه لم يتلق فى كل ثورته المحتدمة سوى رد واحد : بأمر حكومة فلورنسا ، رؤى استبقاء الكونتة فى الدير حرصا على سلامتها وحماية لحياتها ، ريثما تتم الاجراءات القانونية للفصل بينهما كزوجين !

وكان فى إقامة الكونتة بالدير خلاصا لها من الحياة التعسة التى كان جلدها على احتمالها قد وهن .. ولكن هذه الاقامة كانت تفرض عليها كذلك الحرمان من صحبة ألفييرى . ولم يكن الشاعر الشاب أقل منها جوى وشوقا وعذابا ، ولكنه لم يجد سببا مشروعا — فى رأى السلطات — يبرر سعيه لرؤيتها .. **ومن ثم لم يكن هناك بد من التشبث بالصبر ، والتعزى بأن الفاتنة البائسة كانت بمأمن من الوحش الفاجر الذى قدر له ان يكون زوجها !**

وظن الحبيبان ان المصاعب ستنزاح عن طريقهما اذا ما ابتعدا عن فلورنسا ، فانتقلت الكونتة الى (روما) فى رعاية زوج أخت لها ، كان « كردينالا » ، فخف ألفييرى فى أثرها مشوقا .. ولكن رجل الدين عارض زيارات الشاعر للكونتة الى ان تصدر السلطات الدينية قرارا يبيح لها الانفصال عن زوجها . ومن ثم آلى ألفييرى على نفسه ان لا يهدأ ولا يستريح حتى يزيل هذه العقبة الكؤود عن طريقه ، ورضى — فى سبيل ذلك — بأن يتملق أناسا كان يزدريهم ويمعن فى عدائه لهم ..

ولكن شوقه كان عاتيا ، أبى ان يمهله حتى تنتهى المسألة ، فحاول الشاب مرارا ان يرى حبيبته ، وتجشم فى سبيل ذلك عناء وأخطارا .. حتى اذا أوشك الشوق ان يحمله على التهور ،

خشى ان يقدم على حماقة تسىء الى معبودته ، فقرر ان يبتعد عن (روما) ريثما تحل الأزمة ٠٠ وعاد الى الرحلات والأسفار، لا يعزيه سوى انه كان يكتب الى الحبيبة الجميلة ويتلقى رسائلها فى كل يوم

العذاب فى الحب ٠٠ يصقل مواهب الأديب !

◆ **والعذاب** فى الحب كثيرا ما يصقل مواهب الأديب ٠ وهذا ما حدث لألفييرى فى تلك الفترة ، اذ وضع أربع تمثيليات من النوع « التراجيدى » ، فاقت كل ما كتبه من قبل ، وأحدثت ضجة جعلت اسمه ملء الأسماع ٠٠ وقبل ان تهدأ الضجة ، استقبلت أسواق الأدب سبع « تراجيديات » جديدة ، كتبها ألفييرى تباعا ، فثبتت مجده الأدبى ودعمت شهرته ٠ وكان فى تلك الأثناء قد استقر فى انجلترا ، وراح يصرف وقته بين الشعر والأدب ، وبين الجياد ٠٠ حتى انه عندما قدر له ان يبرح انجلترا أخيرا ، عائدا الى ايطاليا ، كان يملك أربعة عشر جوادا من خيرة الجياد الأصائل ، فعز عليه ان يبيعها ، وأصر على ان يأخذها معه ٠ وقد أثارت هذه الجياد أزمة عندما بلغت السفينة ساحل فرنسا ، اذ لم تكن المعدات فى الموانىء – فى ذلك الحين – على ما نعهدها فى عصرنا الحالى ، فتعذر انزال الجياد الى البر ، لأن السفينة كانت تقف فى المياه العميقة على مبعدة من الميناء ٠٠ فلم يكن من ألفييرى الا ان أمر بانزال الجياد الى الماء ، ثم راح والسائس – الذى كان يعنى بها – يحثانها حتى قطعت المسافة سباحة ، وصعدت الى البر !

ومن هناك ، انطلق بها ألفييرى عبر جبال الألب ، كما فعل « هانيبال » يوما ! ٠٠ وما ان أتم هذه المغامرة ، حتى وافته الأنباء بأن الكونتة قد ظفرت بحق الانفصال عن زوجها ، وانها قد بارحت (روما) فى طريقها الى فرنسا ٠٠ وكاد الشاعر

العاشق ان يجن طربا ، وأسرع ليلتقى بحبيبته فى منتصف الطريق !

الموت .. فى خدمة الحب !

◆ **وبعد** فراق دام ستة عشر شهرا ، التقى العاشقان فى (الالزاس) .. ثم واصلت الكونتة رحلتها ، وتبعها ألفييرى الى باريس ، حيث عاودا اللقاء ، واتفقا على ان ينظما حياتهما ومستقبلهما ومستقبل قلبيهما وفقا للظروف التى كانت تحيط بهما .. **فان الانفصال لم يكن يبيح للكونتة ان تتزوج من حبيبها ، كما ان ألسنة السوء ما كانت لتعف عن الولوغ فى هواهما السامى الرفيع .. وكان أهون على ألفييرى – رغم جنونه فى الهوى – ان يقتله الشوق والحرمان ، عن ان تشوب سمعة فاتنته أتفه شائبة !**

على ان القدر الذى طالما ناصبهما العداء ، لم يلبث أن اقتنع بأنهما قد عانيا ما فيه الكفاية ، وان صبرهما خليق بأن يكلل بالجزاء .. ففى فبراير سنة ١٧٨٨ ، مات الأمير « تشارلس » فى روما ، فطويت بموته آخر صفحة فى تاريخ أسرة ستيوارت

وهكذا صفا الجو أخيرا للكونتة والشاعر .. فقد استردت الفاتنة مقاليد حياتها فى يديها ، وأصبحت حرة فى ان تحب ، وحرة فى ان تختار من تحب ، وحرة فى ان ترسم لنفسها الحياة التى تروق لها ! .. وفى قصر فخم أنيق – بباريس – استقر العاشقان

واتحدت حياة العاشقين ، فلم يحظ أيهما بسعادة فى حياته قدر تلك السعادة التى لفتهما فى ذلك الحين .. كانت سعادة كاملة ، مطلقة ! .. ولكن الموقف السياسى فى فرنسا كان يتطور فى تلك الأثناء ، مقتربا نحو الأزمة الكبرى التى كانت سببا فى تفجير الثورة الفرنسية ، فلم يقو العاشقان على العيش فى هذا الجو ، وهما اللذان اوتيا مشاعر مرهفة حساسة ، فلم

يلبثا ان قررا مغادرة فرنسا .. ويمما معا شطر (فلورنسا) ، المدينة التى شهدت متاعبهما وشقاءهما ، والتى شهدت كذلك مولد غرامهما ..

وطاب لهما المقام فى (فلورنسا) ، حيث حملتهما أجنحة الحب وراحت تحلق بهما فى أجواء السعادة .. وحيث أنتج ألفييرى ثروة عارمة من القصائد والأشعار ، ضمها تاريخ الأدب الى الكنوز الفكرية التى تفخر بها ايطاليا

على ان حياة العاشقين معا لم تدم لأكثر من خمسة عشر عاما . **ثم فارق ألفييرى حبيبته مكرها فى ٨ اكتوبر سنة ١٨٠٢، اذ اختطفه الموت من جانبها ونقله الى العالم المجهول فى الحياة الأخرى** .. وكانت فجيعة « لويزا » فى حبيبها قاسية ، ولوعتها عاتية ، فأنفقت من ثروتها على اقامة ضريح فخم له فى كنيسة « سانتا كروشى » ، عهدت بانشائه ونحته الى فنان من مشاهير فنانى ذلك العصر ، هو « انتونيو كانوفا » ، تخليدا لذكرى الشاعر الحبيب .. وقد زار « بايرون » ـ شاعر انجلترا العظيم ـ ذلك الضريح يوما ، فخلد الزيارة فى قصيدة قال فيها :

« فى أفنية سانتا كروشى القدسية
« رفات تزيدها قداسة .. ورماد ..
« هو فى ذاته من الخوالد ! »



مصير البشرية

أبقاء ونماء .. أم اندثار وفناء ؟!

للباحث العالمى: "ب . ل . دى نووى"

تلخيص : أنطون العبيدى

الانسان الحائر ٠٠ بين الدين والعلم !

◆ بهرت الكشوف والمخترعات العلمية أبصار الناس - منذ منتصف القرن السابع عشر - وخدرت أدهانهم ، حتى انصرفوا عن القيم الأدبية والروحية ، وأنكروا الله ٠٠ أو بالأحرى ، اتخذوا من العلم الها ! ومن هنا تفشت موجات الالحاد المتعاقبة ، الأمر الذى حفز الباحث الفرنسى ذى الصيت العالمى «ب٠ ل٠ دى نووى» ، الى ان يتخذ من العلم ذاته أداة لرد « الضالين » الى جادة الايمان ٠ وقد تناول هذا العالم فى الحلقتين السابقتين من هذا البحث المشوق ، كيفية خلق الكون ، وكيفية نشوء الحياة والكائنات الحية ٠ وهو فى هذه الحلقة يميط لنا اللثام عن ظهور الانسان ، بأسلوب علمى مبسط يؤكد ما جاءت به الأديان

الحلقة المفقودة ٠٠ ما زالت مفقودة !

◆ **ذكرنا** ان عجلة التطور تسير دون توقف منذ حوالى خمسمائة مليون سنة ، منتجة كائنات غاية فى التعقد والتنوع ، بحيث تتوافق مع بيئتها الى أسمى الدرجات ، وبحيث تشبه وظائفها السيكولوجية - أى النفسية - وظائف الحيوانات التى نشاهدها فى أيامنا هذه ! ٠٠ **وفى سبيل هذه الغاية ، بذلت الطبيعة محاولات لا حصر لها ٠٠ وكانت ثمة أنواع أو جماعات تختفى بأسرها من الوجود ، فى بعض الحقب ، وكأنما وجدت الطبيعة بها عيوبا أو أخطاء ، فرأت ان تمحوها ! ٠٠ وغياب هذه الأنواع هو الذى يجعلنا اليوم نرى النماذج الأساسية للأنواع الحيوانية - كما أمدتنا بها الكشوف الحفرية - ناقصة ، اذ لاتكاد توجد بين بعضها وبعض روابط ما !**

وهذا ما نعانيه فى محاولة الكشف عن التطور ، أو التطورات التى مرت بين الزواحف والطيور ٠ فمن المؤكد ان هناك أنواعا من الكائنات تمثل مرحلة الانتقال من الأولى الى الثانية ٠ غير اننا لا نستطيع ان نزعم ان ثمة نوعا معينا بالذات يصح ان

يكون الحلقة المفقودة ، ما لم نعرف آلية الطور الانتقالى الذى ينتمى اليه هـذا النوع . ولا شك فى ان ظهـور « الحرارة الثابتة » عند الطيور ، كان من أهم العوامل التى ساعدت هذا النوع من الحيوان على مغالبة بيئته والتحرر منها . بل ان هذا التطور - الذى طرأ عليها فى أحد العصور السحيقة - هو فى ذاته خلق وابداع ، وآن لم ندر كنه حدوثه ، لأنه لا يزال لغزا من أكثر ألغاز التطور غموضا !

الا ان الطبيعة ألقت ضوءا على هذه المشكلة الحيوية ، تمثل فى وجود كائنات معقدة لها عضلات منتشرة فى أعضائها ، مما يجعلها كائنات كاملة من حيث التركيب الميكانيكى .. مثل الحشرات . غير ان الظواهر توحى بأن الهيكل الرئيسى لهذه الكائنات لم يكن عظميا فى البداية .. ونحن نعرف ان الهيكل بدأ غضروفيا فى الأسماك ، ثم انقضى نحو مائتى مليون سنة قبل أن تظهر أنواع من الأسماك ذات هياكل عظمية

الحيوانات البرية والبحرية .. تنحدر من أصل واحد !

• **على** ان أصـل الفقريات - أى الكائنات ذات العمـود الفقرى ، أو ذات الهيكل العظمى - لا يزال خافيا علينا . ومن عجب آن الكشوف الحفرية تدلنا على أن الفقريات البريةسبقت فى النمو زميلتها البحرية ، وقد وجدت أنواع منها توحى بأنها وجدت قبل العصر الفحمى ، وتدل على ان هيكلها العظمى كان قد ارتقى قبل هيكل الأحيـاء المائية بوقت طويل . **وكل الذى نستطيع ان نجزم به هنا ، هو ان الحيوانات البرية والكائنات المائية تنحدر من أصل واحد .. ولكنا لا نعرف شيئا عن هذا الأصل !**

ان الحيـوانات البرمائية - أى التى تعيش عـلى البر وفى البحر ، على السواء - تنشأ فى بدايتها مائية ، حتى اذا اكتمل

نموها ، أصبحت برية · أما الزواحف فهى برية دائما · وتمتاز الحياة على البر بضرورة وجود جهاز تنفسى مباشر ، ومن ثم فان العلم لا يزال يبحث تطور الجهاز التنفسى عند الحيوانات التى نشأت فى الماء ، ثم أصبحت برية ·· وارتقاء هذا الجهاز لا يزال من الأسرار الغامضة

على ان العصور السحيقة ، السابقة على ظهور الثدييات ، عرفت أنواعا من الحيوان تتنفس فى الهواء والماء على السواء ! **·· ومن ثم ينبغى ألا يحملنا التعقد الذى يلاحظ فى أعضاء حيوان ما ، على الاعتقاد بأنه ارتقاء فى سلم التطور · ذلك لأن الطبيعة ـ كما ذكرنا ـ تحل مشكلات الحياة على أشكال متنوعة ، ثم لا تلبث ان تمحو هذه الحلول اذا ظهر أن بها عيبا أو نقصا ·· فكأن الطبيعة تسير نحو هدف معين أو غاية محددة ·· وهذه الغاية هى سر التطور وسببه !**

والواقع ان أكثر الأنواع الحيوانية تعرض لتغيرات «فجائية» خلال تطوره · وتقاس الـ « فجائية » هنا بالنسبة الى طول الأزمان التى نتناولها ، ومن ثم فالتغير « الفجائى » لم يتم فى يوم وليلة ، ولكن الأرجح انه استغرق حقبا طويلة

ظهور الحيوانات الثديية

◆ **ولقد** ظهرت الحيوانات الثديية الأولى « فجأة » منذ حوالى مائتى مليون سنة · وتدل الأبحاث العلمية على انها لم تنحدر من الزواحف التى كانت اذ ذاك تجتاز أولى تطوراتها ، ولا من الحيوانات البرمائية ، ولا من الأسماك ·· ولم يكن ثمة بد للبحث عن أصل مشترك انحدرت منه جميع هذه الأنواع ، فى عصور سحيقة · وقد ظن بعض العلماء والباحثين انهم وجدوا هذا الأصل فى حيوان « التريتيلودون » ، الذى اجتمعت فيه صفات ومميزات الزواحف والثدييات · **ولكن لابد لنا ،**

قبل القطع برأى فى هذا الصدد، من كشوف حفرية جديدة تؤيد هذا القول ٠ فان ارتقاء احدى الصفات المميزة فى نوع معين ، قد يكون بداية للارتقاء الذى أدى فى النهاية الى نشوء الانسان



وقد استمر عصر الزواحف حوالى مائة مليون سنة ، كانت الثدييات خلالها تتدرج فى النمو والارتقاء ٠ اذ كانت فى بدايتها حيوانات صغيرة لا يتجاوز طول الواحد منها عشرين سنتيمترا ، وكان بوسع « الدينوصور » - الهائل الحجم - ان يسحق عشرات منها تحت قدميه دون أن يشعر !٠٠ وما كان أحد ليتصور ان الثدييات - على ضآلة حجمها - سوف تسبق الزواحف الضخمة فى مضمار التقدم ٠٠ ولكن الثدييات حققت بالفعل هذا السبق ، بفضل حرارتها الثابتة ، وسرعة نمو مخها ، وطريقة تكاثرها ٠ وما لبثت أنواع عديدة من الزواحف ان اختفت - منذ حوالى خمسين مليون عام - لفرط تأثرها بتقلب الحرارة والبرودة والرطوبة ، بينما واصلت الثدييات تقدمها

الحشرات ترتقى بنفسها !

◆ **وكان** العصر الفحمى يمتاز بضراوة الطبيعة : كانت الأرض غنية بالنبات الى درجة عظيمة ، والهواء مشبعا بالرطوبة ، والجو خانقا ، والغيوم المدلهمة تتعاقب فى السماء ، والأمطار تسقط فى سيول طوفانية ٠٠ وكانت الأرض نفسها تقذف الحمم من جوفها فى أماكن بركانية عديدة ، فاذا أصابت قذائفها الملتهبة سطوحا من المستنقعات أدت الى تبخر

مائها ٠٠ وفى ذلك العصر ظهرت الحشرات ٠ ولعل ضراوة الطبيعة كانت سببا فى ركود نمو هذه الكائنات ٠ ولكن عصرا من الهدوء النسبى أعقب هذه الفواجع الكونية ، ودام أكثر من مائة وثلاثين مليونا من الأعوام ٠٠ ومع ان الهزات الأرضية والانفجارات البركانية اختفت ، الا أن قشرة الأرض لم تجمد تماما ، وانما كانت تعلو فى مكان وتهبط فى آخر ٠٠ وكان البحر يغمر القارات حينا ، وينحسر عنها حينا آخر ، مخلفا وراءه رواسب ملحية

على ان هذه التقلبات كانت بطيئة ، لا تعكر هدوء الكون ٠ وكان المناخ معتدلا ، ولم تكن ثمة فصول الا فى المناطق القطبية ، أما فى غيرها فكانت الحرارة متعادلة كما هى اليوم فى جزر المحيط الهادى

وفى هذا العصر ، أنمت الحشرات فطرتها ، وبدأ ظهور الأشجار المعروفة فى عصرنا الحالى ، وبعض الأزهار ٠٠ وكان لهذا النمو المطرد فى أنواع النبات أثر فى عدد الحشرات ، اذ أنها كانت تعمر طويلا لتستطيع أن تكتسب ما تحتاج اليه من خبرة فى تطورها ٠٠ واكتسبت فى ذلك عادات أصبحت – على مر الزمن – انعكاسات ذاتية ٠٠ فلما ظهر الشتاء ، وتقلبت الفصول ، وقصرت أعمار الحشرات ، بدت هذه العادات واضحة فى حياتها ، فكأنها كانت تعرف بفطرتها أشياء لم يكن متاحا لها ان تعرفها بحكم قصر عمرها

التطور يسعى الى الكمال الخلقى والروحى !

◆ **هذا** التفسير الذى يستخلص من حياة الحشرات قد يلقى ضوءا على المشكلة ، ولكنه لا يفسرها ٠ فنحن لا نزال نتساءل : هل حدث الانتقال فجائيا أو بطيئا ؟ ولقد سبق لنا القول بأن الجماعات التى استطاعت ان تنتشر بكثرة على وجه الأرض ،

هى وحدها التى وصلت الينا أنواع منها عن طريق الحفريات ، أما الأنواع الانتقالية فكانت تنقرض دون ان يصل الينا شىء منها ٠ ويمكن تشبيه الأنواع الانتقالية بالنماذج المعروفة فى الصناعة ٠٠ اذ يعد أنموذج للسلعة المراد انتاجها ، قبل البدء فى صنعها ، ويدخل على هذا الأنموذج ما توحى به التجربة والاختبار من تحسينات وتعديلات ، ثم تصنع السلعة فى النهاية ، ويتلاشى الأنموذج ٠٠ **وكل ما هنالك من فارق ، هو ان التحسين والتعديل يمكن ان يقاسا على الأنموذج الصناعى ، أما فى التطور الطبيعى فانهما يتما خلال التوارث ٠٠**

ولكى يدرك القارىء التطور ـ فى خطوطه الرئيسية العريضة ـ نضرب له مثلا ببحيرة فى أعالى سلسلة من الجبال ، انسابت منها عدة جداول وانحدرت فى منعطفات تلك الجبال ٠٠ وهى تصادف فى طريقها عقبات شتى ـ من أحجار وأشجار وما اليها ـ توجه مجارى الماء وجهات خاصة ، وتفرض عليها أشكالا معينة ٠ وبحكم اندفاع الماء ، تتحد بعض مجارى الجداول مؤلفة نهرا عريضا ٠٠ فى حين يفقد بعضها فى منعطفات الصخور ٠٠ بينما يتجمع بعض ثالث فى بحيرات صغيرة ٠٠ ثم ان اعتراض بعض الصخور لبعض الجداول أثناء اندفاع الماء ، يكون شلالات أو مساقط مائية ٠٠

ومن البديهى ان الجداول فى هذه الأحوال لا تكون متشابهة ، لأن العقبات التى تعترض أحدها تختلف عن تلك التى تعترض سواه ٠٠ على انها تكون جميعها محكومة بقوة واحدة ، هى « قوة الجاذبية الأرضية » ٠٠ وهذه القوة تعمل لبلوغ غاية معينة ،هى انحدار الماء من الأعالى ٠٠ **ومن ثم فالغاية محددة ، ولكن وسائل بلوغها غير محددة ، لأنها تتباين بتباين العقبات التى تعترض كل جدول بمحض المصادفة ٠٠**

وهذا هو شأن التطور فى الكائنات ٠٠ أى ان التطور انما يحدث تحت دفع علة تهدف الى غاية ، أو بمعنى آخر « علة

غائية » ! •• فالتطور اذ يبدأ فى أحد أنواع الكائنات ، يسير قدما مستهدفا الوصول بهذا النوع الى أعلى مراتب الكمال ، متوسلا فى ذلك بوسائل شتى ، منها الأنواع الانتقالية التى قد تختفى وتتلاشى عندما يتضح وهنها وعدم تكيفها مع بيئتها ، أو تبقى وتتحسن اذا ما اتضحت قابليتها للبقاء والتحسن •• وهنا ، نضيف – على سبيل الايضاح – ان الطبيعة كثيرا ما تلجأ الى قانون المصادفة وحساب الاحتمالات ، فيما يتعلق بالكائنات الحية • فالسمكة الواحدة – مثلا – تضع مئات الآلاف من البيض ، وكأنها تدرك ان ٩٠ فى المائة من بيضها هالك لا محالة ، وان ١٠ فى المائة فقط هى التى يمكن ان تصبح أسماكا • **وعلى هذا النسق ، فاننا اذا شئنا ان نفهم تطور الكائنات الحية ، أو « سيكلوجية » الانسان ، وجب ألا ننظر الى التغيرات مستقلة عن الوظائف « الفسيولوجية »**

وقصارى القول : ان التطور ينبغى ان يعالج فى مجموعه كظاهرة كونية دائمة التقدم والارتقاء ، دون ما انتكاس أو ارتداد الى الوراء •• وان نعتبره ثمرة لاتحاد أوجه نشاط الآليات الأولية ، كالتكيف والاختيار الطبيعى ، والتبدل الفجائى • فهو يبدأ بالمادة الحية التى ليس لها كيان خلوى ، وينتهى بالانسان المفكر الذى اكتمل وعيه •• وهذه الآليات تخضع لنواميس غير التى يخضع لها التطور ، فهى ليست جزءا منه ، وانما هى أدواته ووسائله ليس الا • **والفارق بين التطور وآلياته ، كالفارق بين نشاط الخلايا التى تعمل على التئام جرح فى ذراع جندى ، وبين الدافع الوطنى الذى يدفع هذا الجندى الى مواصلة القتال** •• فالتكيف مثلا – وهو من آليات التطور – عبارة عن توافق وتلاؤم النوع للبيئة التى يعيش فيها •• بيد انه كثيرا ما ينطلق بغير تبصر ، فتظهر – نتيجة لذلك – كائنات هائلة من ذلك النوع ، تؤدى ضخامتها الى الاضرار به ، أو الى انقراضه أحيانا • أما التطور ، فيسعى

دائما الى التحرر من قيود البيئة والافلات من سلطانها – على ما سنفصله فى مكان آخر – للرقى بكائن واع ، والوصول به الى الكمال الخلقى والروحى

لا مكان للمتخلف .. فى عجلة التطور !

◆ **وللوصول** الى هذه الغاية ، بدأ التطور بالمادة الجامدة فحولها الى مادة عضوية تنبض بالحياة . **ثم اختار من بين هذه الكائنات الحية التى لا حصر لها ، نوعا واحدا اختصه بميزات معينة ،وأخذ يرقى به عبر العصور والأجيال ، حتى بلغ مرتبة الكائن الحى المفكر ، المزود بالحس والشعور .. ألا وهو الانسان !**

ومعنى ذلك ، ان كافة الأنواع الحية التى تعيش الآن على كوكبنا – فيما عدا الانسان – هى أنواع متخلفة ، تكيف بعضها مع بيئته ثم وقف تطوره عند حد .. ذلك لأن الانواع – كجماعة، وليس كأفراد – تنزع دائما الى التكيف مع بيئتها ، فلا يتبدل ويتطور منها سوى بضعة أفراد فقط . وليس من المحتم ان تكون تلك الأفراد أفضلها ، ولا أكثرها تكيفا والتصاقا ببيئتها .. ومن ثم يوضع التكيف موضع الاختبار ، فاذا دلت أفراد نوع معين على انها تتوافق مع البيئة توافقا يتيح لها التوالد والتكاثر ، بقى النوع ..

ومن هنا ندرك ان عوامل التطور الثلاثة – التكيف والانتخاب الطبيعى والتبدل الفجائى – تعمل كلها فى تتابع معين . **والنوع الذى يتكيف مع بيئته يظل على حاله دون تطور ، ما لم تطرأ أحوال خارجية ينعدم فيها التكيف القائم ، فيضطر النوع الى التلاؤم مع الأحوال الجديدة** .. فاذا تكيفت الكائنات مع بيئتها واستقرت ، تخلفت عن ركب التطور .. أما الكائنات التى تأبى الا ان تتطور أبدا ، فهى التى ظلت سلالاتها متتابعة عبر الأجيال .. وهى التى انتهت أرقاها بالانسان !

الكائن الحى .. ينزع الى الحرية دائما !

• **ومن** كل هذا ندرك ان التكيف يهدف الى الاستقرار فى البيئة ، فى حين ان التطور انتقال وارتقاء من حالة مستقرة الى حالة مستقرة أخرى .. فاذا قدر له ان يصل الى حالة تامة التكيف والاستقرار بصفة مستمرة ، توقف . وهذا قليل الحدوث فى الكائنات العضوية العليا ، بوجه خاص . على ان التكيف وسائر آليات التطور الأخرى – وهى غير التطور ذاته – قد تنطلق على غير هدى ، فتؤدى الى الاضرار بالنوع . فى حين ان التطور دائم البحث عن أنواع شديدة التقلب والتغير ، وكثيرا ما لا تكون هذه الأنواع هائلة الحجم ولكنها غنية بالامكانيات

ومن المعروف ان الكائن الحى ينزع دائما الى الحرية .. وقد عرفت الكائنات منذ الازل هذه النزعة ، فهى – حتى فى الكائنات ذات الخلية الواحدة – تنزع كلها الى التحرر من القيود التى تفرضها عليها البيئة ، والى التحرر من استعمال اليدين فى السير ، والى حرية نقل الصفات والتجارب المكتسبة ، وحرية الضمير – فى النهاية – على ما سنفصله فى مكان آخر

.. هذه النزعة الى التحرر هى التى يتوسل بها التطور الى تبديل الأنواع تبديلا يؤهلها للبقاء والارتقاء . **ولقد عاصرت الثدييات الصغيرة الحجم كائنات ضخمة هائلة كالدينوصور ، ومع ذلك فقد اختار التطور تلك الحيوانات الصغيرة – دون زميلتها الهائلة – ليرقى بها ، اذ انها كانت تنطوى على امكانيات أغزر وأوفى . وما زال بها من تبدل الى آخر ، حتى بلغت أوج نمائها . وهذه التبدلات المتعاقبة هى التى تقوم عليها نظرية « داروين » و « لامارك »** . ولكن يؤسفنا ان نقول ان هذه النظرية قاصرة عن تفسير كثير من المشكلات البيولوجية ، وان تلك التغيرات التى أسهبوا فى التحدث عنها ، لا تكفى وحدها لتفسير التطور الذى طرأ عبر الأجيال على الأنواع التى تعنينا

ظهور الانسان ٠٠ وتطوره

• **وهكذا** مضت عجلة التطور فى دورانها منتجة أنواعا من الحيوان بدائية غليظة ، فى أول الأمر ، ثم مهذبة آخذة بأسباب الرقى بعد ذلك ٠٠ فتلاشت الأعضاء التى لا لزوم لها ولا حاجة للكائن الحيوانى بها ، وزودت الطبيعة هذا الكائن بنوع بدائى من الذاكرة تختزن فيها ذكريات الأحداث الماضية ، وتنتقل من جيل الى جيل ٠٠ **هذه الذكريات ـ أو هذه الرواسب ـ التى لا تزال عالقة بذهن الانسان فى وقتنا الحاضر كآثار لماضيه الحيوانى السحيق ، هى التى ينبغى له ان ينساها ولا يعود يذكرها ، وان يتحرر منها اذا هو شاء لنفسه حياة انسانية بحتة ، تنقطع فيها تماما كل صلة بين حاضره المهذب الراقى وبين ماضيه الحيوانى الغليظ ٠** وهو بالغ حتما هذه الحياة بحكم سنة التطور ، وانما عليه مسايرة التطور والامتناع عن مقاومة عوامله ، مساهمة منه فى الجهد الذى يبذله ذلك التطور للوصول به الى تلك المرتبة المرموقة

وعجلة التطور لا تتوقف ، بل انها تدور اليوم كما كانت تدور منذ أقدم العصور ٠ وهى قد انتقلت ـ منذ عهد قريب ـ الى طور جديد دخلت فيه البشرية ٠٠ **ذلك لأن التطور لم يعد يعنى بالفسيولوجيا ، أى بالجسم الانسانى ، اذ اكتمل نتيجة لدأب الطبيعة على تهذيبه ، وانما اتجه التطور الى العناية بالجانب السيكولوجى للانسان ، أى الجانب النفسى**

هذا الطور الجديد ترجع أصوله ومقدماته الى عصور مغرقة فى القدم ٠٠ الى العصور التى عرف فيها الانسان الحب ، فأحب أبناء نوعه ٠ وتدلنا على ذلك القبور التى بناها الانسان البدائى لتحفظ فيها رفات الأشخاص الذين أحبهم فى حياته ، تخليدا لذكراهم فى نفسه !

الانسان يعلن الحرب ٠٠ على الموت !

◆ **تلك** كانت أول ثورة أعلنها الانسان على الموت ، اذ نشأ لديه الاعتقاد بأن موتاه يحيون حياة أخرى بعد الموت ، وانهم قد يجوعون ويعطشـــون ، ومن ثم عنى بأن يدفن معهم زادا وشرابا ، على ما كشفت عنه الحفائر ٠٠ وهكذا قدر للموتى ان يبقوا في ذاكرة الأحياء ! ٠٠ **وقد استدل بعض البيولوجيين من أبحاثهم على وجود نوع من الذاكرة عند الكائن ذى الخليـة الواحدة ٠ ومهما يكن من أمر ، فالواقع ان الطبيعة قد اختصت الحيوان ، دون النبات ، بالذاكرة ٠ ولولا ذلك ما افترق النوعان ولا ارتقى النوع الحيوانى على النوع النباتى**

ومن المحتمل ان يكون هـذا النوع من الذاكرة مختلفا عن ذاكرة الأفراد الذين زودتهم الطبيعة بمخ تتركز فيه الذكريات والأحاسيس ٠٠ فنحن نجد ان ذاكرة الحشرات أقوى من ذاكرة الثدييات ، ولكن هذه أكثر تعقدا ، وأقدر على الاستيعاب وعلى مواجهة مختلف المواقف من تلك ٠ والحشرة أسيرة فطرتها ، فهى تعيش فى حدودها لا تتجاوزها ، أما الحيوان الثديى ،فيدل ذكاؤه على انه كان أكثر تطورا ورقيا من الحشرة ، مما أكسبه قدرا كبيرا من الحـرية ٠ وقد عرف عن الثدييات منـذ فجر تطورها ، انها قادرة على ابتكار وتجديد الوسائل التى تحميها من عدوان الطبيعة ، وتعينها على التنقل من مكان الى مكان

ومن هذه الثدييات برز نوع اكتملت له ميزات خاصة جعلته يسبق الأنواع الأخرى فى التحرر والانطلاق ٠٠ **نوع يستخدم طرفيه الأماميين فى تناول الأشياء ورفعها ونقلها ، وليس فى المشى ٠ وكان هذا التطور ـ فيما يبدو ـ السبب المباشر فى اعتدال قامة هذا الحيوان الذى ينتظم كل مقومات الانسـان ٠ ثم جاء النطق بعد اعتدال القامة بحقبة لا بد ان تكون طويلة الى حد ما ٠ ومنذ ذلك الحين ، حقق الانسان ذروة التفوق والامتياز على كافة الكائنات الأخرى** ٠ وبهذا بلغ التطور هدفا من أهدافه

الموسومة ، وبدأ طريق الانسان يختلف عن طريق الكائنات الحية الأخرى ، فأخذ يتطور ويتهذب ، بينما تخلفت هى !

كفاح الانسان للتخلص من أصله الحيوانى !

• **هذا** هو المعيار الذى ينبغى ان نقيس به تطور الانسان خلال الحقب التى تلت ذلك العهد . وقد انقضت مئات الملايين من السنين قبل ان يتخلص الكائن الانسانى من الرواسب الحيوانية التى ورثها عبر العصور ، وقبل ان ترتسم معالمه الانسانية البحتة . ولم يكن من السهل عليه ان يحقق هذا التخلص ، بل ان تاريخ تطور الانسان عبر مئات الملايين من السنين ، عرف فترات من التقهقر والانحطاط اللذين انتابا الأفراد والجماعات على السواء .. **على ان النوع الانسانى كان دائب العمل على التخلص من الأصل الحيوانى**

وفى حقبة سحيقة من حقب التاريخ ، نشأت فى ذهن الانسان البدائى فكرة الثنائية ، اذ أدرك الفارق بينه وبين الحيوان . وهذه الفكرة تقوم عليها التعاليم الدينية والفلسفية حتى اليوم. فالانسان يتناول الأشياء بيديه ويحركها ويعمل عقله فى صقلها وتهذيبها وتنسيقها فى مصنوعات مفيدة .. وهو يبتكر ويكتشف ، وكل هذه أشياء لا تفعلها الحيوانات الأخرى ، بل ولا الثدييات العليا نفسها التى انحدر عنها . ومن ثم انفتح أمامه طريقان : فاما العود الى الحيوانية الأولى بما فيها من عبودية واسار .. واما المضى فى طريق التحرر المطرد ، والارتقاء المستمر ، ومسايرة التطور لبلوغ الغايات الانسانية التى بدأت ترتسم خطوطها فى ذهنه !

وقد استمر هذا الطور البدائى الى ما قبيل نشأة الضمير فى الانسان !

وفى الحلقة القادمة ، يحدثنا المؤلف عن كفاح الانسان للتخلص من حيوانيته ، وللتحرر من بيئته وعبوديته ، ويدحض ما يقال عن تضارب العلم والدين فى هذا الصدد

حوافز الحياة



النفس والجنس.. والمجتمع..

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية ، الكتب الآتية على التوالى :

◆ كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية ◆ طريق السعادة الزوجية ◆ مركب النقص ◆ حواء الجديدة ◆ كيف تقهر الخجل ◆ كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة ◆ فنون الحياة : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن التفكير ، فن الاستمتاع بالشيخوخة ◆ غزو السعادة ◆ التحليل النفسى ◆ الجنس الآخر ◆ عش حياة ايجابية ◆ أبواب الحب المغلقة ◆ فن الحب (لأوفيد) ◆ الانتصار على الخوف ◆ عش بحكمة تعش سليما ◆ كيف تتجنب متاعب الاعصاب المرهقة ◆ كيف تفسر أحلامك ◆ كن متفائلا ◆ تاريخ الغزل ◆ كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة ◆ أتح لعقلك حياة جديدة ◆ دنيا الحب والسعادة ◆ حب وجنس وخيانة ◆ السلوك الجنسى عند الرجل ◆ فى بلاد العراة ◆ السلوك الجنسى عند المرأة

واليوم ، تقرأ معى الحلقة الثانية من أعظم بحث جنسى فى تاريخ البشرية :



« عمالقة الطبيعة » من معروضات متحف « ناشيونال جاليرى » بلندن ، للفنان « مندرت هوبيما »


SEXUAL
BEHAVIOUR
BY
A.C. KINSEY
& OTHERS

هذا البحث .. هدفه عظيم !

◆ قرأت فى العدد الماضى من « كتابى » ، الحلقة الاولى من كتاب « السلوك الجنسى لدى المرأة » ، وهو الجزء الثانى من أعظم بحث جنسى فى تاريخ البشرية . ونحن اذ نقدم لك اليوم الحلقة الثانية من هذا البحث ، نعود فنؤكد انه لا الأسلوب الذى أفرغ فيه ، ولا البيانات والدراسات التى تضمنها ، تدل - سواء من قريب أو من بعيد ! - على ان هدف القائمين به وناشريه كان استثارة غرائز الناس أو تحريك مشاعرهم الجنسية .. فان القصد كل القصد من نشر هذا البحث ، لا يخرج عن توجيه أنظار الناس - (فى المجتمع الامريكى وباقى المجتمعات على السواء) - الى مدى ما فى سلوكهم الجنسى من انحرافات ، ليحاولوا ان يقوموها .. ثم توجيه أنظار أطباء النفس وعلماء الاجتماع الى مواطن الداء فى هذا السلوك ، كى تكون بارزة أمامهم اذا ما تصدوا لعلاجها ..

فلنطرح عنا قيود الخجل الزائف ، التى كبلتنا بها أوهام تقاليد خاطئة ، ولنقبل على علاج أنفسنا فى أضواء هذا البحث القيم !

مصادر البحث ، والمشتركات فيه

◆ **لقد** بدأنا بحثنا - كما قلنا - سعيا وراء توسيع معرفتنا بناحية كان المامنا بها محدودا . وقد واصلنا البحث كل تلك السنوات ، جريا وراء هدفنا العلمى - من ناحية - ولأننا ، من ناحية أخرى ، استطعنا أن نفهم أن النظام الاجتماعى فى مجموعه ، وكثيرين من الأفراد الذين يعيشون فيه ، قد يفيدون من وراء ازدياد ادراكنا للسلوك الجنسى لدى الانسان

ولن نخوض هنا التفصيلات العلمية الدقيقة ، التى تبين الأساليب التى أتبعناها فى جمع « العينات » للدراسة ، وفى فحصها ، وفى التحليل الاحصائى للبيانات التى حصلنا عليها .

وانما يكفى أن نذكر أنهـا عين الأساليب التى أتبعنـاها فى الشطر الأول من البحث ـ وهو الخاص بالسلوك الجنسى لدى الرجل ـ وأن نورد النقاط التالية :

◆ تناولنا بالبحث خلال الخمس عشرة سـنة ، حالات ١٦٫٣٩٢ شـخصا ، منهم ٧٧٨٩ من الاناث ، و ٨٦٠٣ من الذكور . وقد كانت البيانات التى أفضوا بها جميعا ،أسسا أقمنا عليها تفكيرنا ومعـلوماتنا العامة فى دراستنا للسلوك الجنسى لدى أنثى الانسان ، وان كانت التحليـلات التى أوردناها فى الكتاب ، قد اقتصرت على بيانات جزء من الاناث المذكورات لم يتجـاوز ٥٩٤٠ أنثى يمثلن اناث أمريـكا على تباينهن الواسع

◆ حصلنا على « العينات » من حوالى ٣٤ هيئة تضم ٩٠ فرعا .. ومن هذه الهيئات : القوات المسلحة الأمريكية ، الفنانات ، المشتغلات فى المصانع والشركات ، أعضاء الهيئات الكنسية ، المشتغلات بفروع الطب ، الطالبات فى مختلف مراحل الدراسـة سواء اللاتى يعشن منهن مـع أسراتهن أو وحدهن أو فى الأقسام الداخلية بالمعاهد ، المشتغلات فى المؤسسات القضائيـة ونزيلات السجون والاصلاحيـات والموظفات بها ، المشتغلات فى الصحافة ، الأوساط العائلية ، النوادى الاجتماعية ، ربات البيـوت ، نزيلات دور رعاية من أنجبن أولادا دون زواج ، ملاجىء اليتيمات ، ذوات المهن الحرة ... الخ .

◆ كانت « العينات » تمثل ٤٢٢ حرفة ومهنة ، بينهـا : لاعبات السيرك ، الممثلات ، مضيفات الطائرات ، المنقبات عن الآثار ، المهندسات المعماريات ، الناقدات الفنيات ، الخبازات ، الساقيات فى المشارب ، «كمساريات الأوتوبيس » ،رسامات الكاريكاتير ، الكيميائيات ، الطاهيات ، الراقصات ، طبيبات الأسنان ، عاملات صالونات التجميل ، مبتكرات الأزياء ،

معلمات الدين ، المشتغلات بتهريب المخـــدرات ، رئيسات التحرير فى الصحافة ، عاملات المصاعد ، عارضات الأزياء ، مديرات الفنادق ، الأمهات ، ربات البيوت ، عاملات «الديكور» ، المزارعات ، المحاميات ، الغســـالات ، الخادمات ، المبشرات الدينيات ، مديرات النوادى الليلية ، المصورات ، الشاعرات ، السياسيات ... الخ .

◆ استعين فى الدراسة والتحليل بمؤلفات بلغ عددها ١٥٠٣٨ كتابا ، بينها : ١١٥ عن الفن الاغريقى والرومانى ، و٤١٣ من الأدب الكلاسيكى ، و٣٧٢ مخطوطا مثيرا ، و٦١٤ قصة من قصص الاثارة الجنسية ، و١١٦ عن الجنس والزواج فى الدول الاسلامية والشرق الأدنى ، و٥٩٧ عن السادية والماسوشيزم ، و١١٥ عن الأمراض السرية ، و٣٤٢ عن المرأة والحب !

.. والآن ، هيا الى الجد !

◆ **يتوقف** ما يفعله الفرد ، فى الناحية الجنسية ، على طبيعة الحافز الذى يصادفه ، وعلى مقدرته البدنية والطبيعية ، وعلى طبيعة ومدى ماله من خبرة سابقة بالحوافز المشابهة . ويولد الطفل عادة وهو مجهز بالأعضاء البدنية والمقدرة الطبيعية التى تهيىء له الاستجابة لمختلف أنواع المحفزات . **فنجد أن الطفل قد يتصرف وفقا لتأثره باللمس أو الضغط أو الضوء أو الحرارة ، وهو بعد وليد .. وقد يكون فى تصرفاته - ردا على هـــذه المؤثرات - ما يدخل فى النطاق الذى نســـميه بالاستجابة الجنسية !..** ولن نخوض الآن فى بيان كيفيـــة التمييز بين الاستجابة الجنسية وبين أى نوع آخر من الاستجابة ، اذ ندع ذلك ريثما نستخلصه من البيانات التى سنعرضها . ولذلك نكتفى فى الوقت الحاضر بأن نشير الى أن الاستجابة الجنسية لدى أى حيوان من الحيوانات الثديية - ومنها الانسان - ينطوى على مجموعات من التغيرات تطرأ على التركيب العادى للجسم .

وفى خلال هذه التغيرات ، يزداد التوتر العصبى العضلى ، حتى يصل الى ذروة قد يحدث بعدها انطلاق مفاجىء من التوتر ، تعقبه العودة الى الحالة الطبيعية • وهذا الانطلاق المفاجىء من التوتر العصبى العضلى ، يؤلف الظاهرة التى نعرفها باسم « ذروة اللذة » أو « سورة الشهوة » أو « الانتصاب »

ومعظم التغيرات البدنية التى تطرأ أثناء الاستجابة الجنسية، تشبه تلك التى تحدث أثناء الاستجابات الأخرى لأية لمسات مثيرة أو محفزة ، ولأية مواقف انفعالية • ولكن الاستجابة الجنسية تتضمن دائما مجموعة من التغيرات البدنية التى لاتحدث عادة الا فى المواقف التى نعرف انها جنسية •• فهى تحدث أثناء الجماع الفعلى مع الجنس الآخر ، أو أثناء الاستمناء ، أو الغزل باللمس ، أو الاتصال بفرد من نفس الجنس

الاستجابة الجنسية قبل البلوغ

• **وبعض** الحيوانات الثديية الوليدة - ومنها الأطفال الحديثو العهد من الآدميين - قادرة على أن تستجيب للتأثير باللمس ، بطريقة جنسية ، بكل ما للكلمة من معنى • وهذه القدرة على الاستجابة تعتمد على وجود أطراف لأجهزة الحس فى الأغشية السطحية للجسم ، وعلى أعصاب تربط هذه الأجهزة بالحبل الشوكى - أو النخاعى - وبالمخ ، وعلى أعصاب أخرى تصل بين الحبل النخاعى ومختلف عضلات الجسد ، وعلى الجهاز العصبى المستقل الذى تنشط للعمل خلاله بعض أجزاء أخرى من الجسم ••

وكل هذه الأجهزة تكون فى جسم الطفل عند مولده • وتدل البيانات التى لدينا على أن بعض الأطفال يكونون قادرين على الاستجابة بطريقة تبين كافة التغيرات البدنية التى تميز الاستجابة الجنسية لدى البالغين !

كذلك يوجد تباين فى القدرة على الاستجابة بين الأطفال ، كما هو موجود بين الكبار . فبعضهم يستجيب بسرعة ،وبكثرة، لعدد كبير من المؤثرات البدنية والنفسية ، والبعض يستجيب ببطء وفى أحيان أقل .. بل ان مستوى الاستجابة يتباين فى الفرد الواحد ، بين وقت وآخر ، تبعا لحالته الصحية والغذائية ، ولظروفه ، ولسنه .. **على أن القدرة على الاستجابة للتأثير باللمس ، بطريقة لا تتمثل الا فى الاستجابة الجنسية ، تنمو مع نمو جسم الطفل ، وان كانت لا تظهر - لدى كثيرين من الأطفال - الا عندما تقترب مرحلة البلوغ.. بل انها قد لا تظهر لدى بعض الاناث الا بعد البلوغ !**

ولسنا ندرى كل العوامل التى تدخل فى هذا التباين ، ولكن بعض القدرة على الاستجابة الجنسية يرجع - فيما يبدو- الى هرمونات معينة تتولد فى جسم الصبى أو الفتاة أثناء النمو . ومن المسائل التى لم يتسن بعد الجزم بها ، مسألة ما اذا كان تأخر ظهور الاستجابة الجنسية لدى بعض الأفراد راجعا الى أنهم لم يكونوا قادرين على الاستجابة فعلا - فى السنوات الأولى من أعمارهم - أو الى أنهم لم يتعرضوا من قبل لمثيرات جنسية كافية لاظهار الاستجابة . على أن من المحتمل أن بعض صغار الأطفال قد لا يكونون قادرين على الاستجابة الجنسية ، أو - على الأقل - الاستجابة للمحفزات أو المثيرات التى تهيج الشخص البالغ . على أننا غير واثقين تماما من هذا ، فليس لنا أن نجزم به . وانما الذى نستطيع أن نجزم به ، هو أن هناك أطفالا من الجنسين قادرون تماما على الاستجابة الجنسية على حقيقتها !

استجابات جنسية تظهر فور الولادة !

• **ولقد** لوحظ - بالمشاهدة - وجود الاستجابة الجنسية ، بكل ما يصحبها من تغيرات بدنية تطرأ على البالغين ، على أطفال بمجرد مولدهم ، وعلى أطفال لم يتجاوزوا الشهر الرابع من

العمر ، وفى مختلف فئات العمر ـ بعد ذلك ـ حتى سن البلوغ ٠ ولقد ذكر حوالى واحد فى المائة من الأناث اللاتى فحصنا حالاتهن فى بحثنا هذا ، أنهن يتذكرن استجابات جنسية معينة ،لمؤثرات بدنية ونفسية ، عندما كن فى سن لا تزيد على الثالثة ٠ على أن هذا لا يمثل سوى جزء من الأطفال ، اذ أن الكثيرين ما كانوا ليدركوا الطبيعـــة الجنسية فى تصرفاتهم المبكرة ! ٠٠ وذكر حوالى ٤ فى المائة من الاناث ، أنهن « يعتقدن » أن الاستجابة الجنسية كانت تصدر عنهن فى حوالى الخامسة من أعمارهن ٠ كما قالت ١٦ فى المائة تقريبا ، انهن عرفن هذه الاستجابة فى سن العاشرة ٠

وبوجه عام ، ذكرت ٢٧ فى المائة من الاناث ، انهن استثرن استثارة شهوانية جنسية قبل البلوغ ٠٠ أى قبل الفترة بين سن الثانية عشرة وسن الثالثة عشرة ، وهى فترة البلوغ عند المرأة فى المتوسط ٠ على ان القرائن توحى بأن عدد من شعرن بالاستثارة الجنسية قبل البلوغ يفوق النسبة المذكورة ٠٠ وان أكثرهن شعورا كن أكثرهن تعلما فى المدارس ! على أن هذا قد يؤول على أن أحسنهن تعلما كن أقدرهن على التذكر !

وقد تنتهى بعض الاستجابات الجنسية لدى غير البالغات ـ بل اللاتى لم تتجاوز أعمارهن بضعة أشهر ـ الى « سورة الشهوة »، أى ذروة اللذة ٠٠ وهى ظاهرة لوحظت كذلك لدى الذكور غير البالغين

اناث فى الثالثة ٠٠ يمارسن العادة السرية !!

◆ **والاستمناء** ـ أو العـــادة السرية ـ ظاهرة عادية ، كثيرة الحدوث بين الأطفال ، الذكور منهم والاناث على الســـواء ٠ والاستمناء ، أو بالأحرى العبث بالأعضاء التناسلية لدى غير البالغين ، مصدر من مصادر « سورة الشهوة » لدى الفتيات الصغيرات ٠ **وتجمع روايات الأمهات اللاتى كن يراقبن بناتهن**

فى سن الثالثة ، ودون الرابعة ، على أن الطفلة كانت تنكفىء على وجهها ، وتنهمك فى تحريك عجزها حركات احتكاكية منتظمة ـ بين كل واحدة والأخرى حوالى ثانية من الزمن ، أو أقل ـ ثم لا تلبث عضلاتها أن تتوتر بشدة ، وتتهدج أنفاسـها ، وتواتيها انتفاضات قوية كتلك التى تواتى البالغة عند اقتراب أوج انفعالها الجنسى .. ثم تخلد الى سكون وارتخاء تامين !..

ولدينا روايات من أمهات عن ٨ بنات دون سن الرابعة ـ تقابلها روايات عن ٢٧ ولدا في نفس السن ـ تدل كلها على أن القدرة على الاستجابة الى درجة ذروة اللذة ، تتوفر بالفعل لدى بعض الصغار من الجنسين

ولقد ذكر ١٤ فى المائة من الاناث ـ أى نصف اللاتى شعرن بالاثارة الشهوانية قبل البلوغ ـ أنهن يذكرن بالفعل توصلهن الى ذروة اللذة عن طريق العادة السرية ، أو الاتصالات الجنسية بأطفال أو بأفراد يكبرونهن ، قبل البلوغ . وليس من المستبعد أن نسبة أكبر من هذه خبرت الظاهرة بالفعل ، دون ادراك لكنهها !

أما عن مصادر التهييج ، فقد ذكر واحد فى المائة من الاناث ، العادة السرية ـ بالمعنى الكامل ـ فى سن الثالثة ، وذكرت ١٠ فى المائة أنهن مارسنها فى سن العاشرة . كما أن الانفعالات النفسية ، أو الاتصالات البدنية مع بنات أخريات ، كانت من مصادر الاستثارة الجنسية لبعض الفتيات وهن فى الثالثة من أعمارهن . وكانت ٣ فى المائة تقريبا ـ من مجموع الحالات ـ يستثرن فى سن الحادية عشرة ، و٦ فى المائة فى سن الثالثة عشرة ، بوساطة أفراد من جنسهن

أما الانفعالات أو الاتصالات عن طريق صبيـة من الجنس الآخر ، فقد أحدثت الاستثارة عند جزء من واحد فى المائة فى سن الثالثة ، وحوالى ٧ فى المائة من مجموع الحالات فى سن الحادية عشرة ، و١٢ فى المائة فى سن الثالثة عشرة

الاستمناء أكثر شيوعا بين الفتيات !

• **ولقد** كان بين آلاناث اللائى فحصنا حالاتهن ٦٥٩ انثى عرفن ذروة اللذة - أو الانتعاظ الشهوانى - قبل أن يتحقق بلوغهن • وقد عرفها ٨٦ فى المائة منهن ، عن طريق الاستمناء فى حين أن ٧ فى المائة منهن عرفنها عن طريق الاتصال الجنسى بفتيات مثلهن ، و ٢ فى المائة عن طريق المعابثة والغزل ، و١ فى المائة عن طريق الجماع مع أولاد من سنهن أو يكبرونهن • **ومن الطريف أن ٢ فى المائة عرفن ذروة اللذة فى البداية عن طريق الاتصال البدنى بقطط وكلاب ، كما أن ٢ فى المائةعرفنها عن طريق ظروف أخرى ، كتسلق الجبال** • ولم نجد فى البيانات التى جمعناها ما يؤكد أقوال كثير من العلماء - فى الماضى - عن أن الاحتلام أثناء النوم كثيرا ما يكون أول موارد الانتعاظ للفتيات قبل بلوغهن !

وقد اكتشفنا أن الاستمناء أكثر شيوعا بين الفتيات منه بين الغلمان • ويبدو أن أكثر وسائله فى البداية ، هو العبث بالأصبع فى العضو التناسلى ، لا سيما فى البظر • ويلى هذه الوسيلة - فى الشيوع - الانكفاء على الفراش مع رفع الركبتين قليلا وتحريك العجز بانتظام • والفتيات لا يصدرن فى محاولاتهن الاولى لممارسة الاستمناء عن مشاهدة غيرهن أو الاستماع الى ارشاد من يكبرنهن - كما هى الحال عند الذكور - وانما هن يكتشفن هذه الألوان من النشاط من تلقاء أنفسهن !

وتدل البيانات على أن ٣٠ فى المائة من الاناث - اللائى فحصنا حالاتهن - كن يلعبن مع أفراد من غير جنسهن قبل البلوغ ، وان ٣٣ فى المائة كن يلعبن مع أفراد من جنسهن • وبوجه عام ، فان ٤٨ فى المائة هن اللائى عرفن العبث الجنسى فى اللعب مع أفراد من الجنسين قبل البلوغ • فمنهن ١٥ فى المائة لم يعرفن العبث الجنسى الا مع غلمان ، و١٨ فى المائة

عرفنه مع فتيات فقط ، و١٥ فى المائة عرفنه مع الجنسين ٠٠ **وفى حالات الذكور والاناث ــ على السواء ــ يبـــدو بجلاء أن الاتصال الجنسى المبكر بأى من الجنسين ، انما نشأ عن ألوان أخرى من اللعب ، أو عن تقليد التصرفات الجنسية بين صغار أو كبار آخرين !٠٠** ومعظم العبث الجنسي بين الأطفال فى الولايات المتحدة ينشأ عن المثابرة على اللعبة التقليدية المعروفة « بابا وماما » (١) ٠ ولا يدرك الأطفال كنه ما فى مثل هذه اللعبة من تصرف جنسى ، حتى حين يحتك الولد بالبنت أثناء اللعب ، ولا يفهمون الارضاء الشهوانى الذى يتم عن ذلك ٠ ويتأتى قسط كبير من العبث الجنسى للصغار غير البالغين ، عن الفضول الذى يتملك الواحد منهم فيجعله يهتم بالتركيب الجسدى لزميله فى اللعب ، سواء أكان هذا الزميل من جنسه أو من الجنس الآخر

ولما كنا قد حصلنا على قدر كبير من معلوماتنا فى هذا الصدد من ذكريات أشخاص بالغين ، فقد تبينا أن الصغار ينسون نسبة كبيرة من تجاربهم فى العبث الجنسى بعد أسابيع أو أشهر ، ويرجع ذلك أحيانا الى أن هذا العبث انما يكون شيئا عابرا ، كما يرجع أحيانا الى أن التجربة تحدث اضطرابا نفسيا ولكن العوامل النفسية المترتبـة على التربية والبيئة تجعل الصـغير يتجنب تذكرها ، لشعوره بأنها محرمة ! ٠٠ على أن هذا لا يمنع من أن تضيف التجربة معلومات تؤثر على السلوك الجنسى للصغير فى كبره !

اعترافات تناقض آراء « فرويد » !

◆ **وليس** فيما حصلنا عليه من معلومات ، من الفتيات اللاتى

---

(١) ومثل هذه اللعبة يشاهد فى جميع البلدان تقريبا ٠ وكلنا يعرف لعبة « العريس والعروسة » فى بعض الاوساط الريفية عندنا

جربن العبث مع أفراد من جنسهن وأفراد من الجنس الآخر ، ما يدل على أن اهتمامهن بجنسهن قد نشأ قبل أو بعد اهتمامهن بالجنس الآخر ، **وفى هذا ما ينقض آراء فرويد التي تجزم بأن الميول الجنسية لدى الفرد تبدأ باهتمامه بنفسه ، ثم باهتمامه بأفراد من جنسه ـ يتشابهون معه جسديا ـ ثم تتطور الى الاهتمام بالأفراد الذين يختلفون عنه ٠٠ أى بالجنس الآخر !**

ولم يكن من العجيب ـ ازاء القيود التى يفرضها الآباء والنظام الاجتماعى على حرية اختلاط الجنسين حتى بين الأطفال ـ أن نجد أن ٥٢ فى المائة من الاناث كن يحظين بصديقات من الاناث أكثر مما كان لهن من أصدقاء من الذكور فى الطفولة ، وان ٣٣ فى المائة كان لهن من الأصدقاء بقدر ما لهن من الصديقات ، وان اللائى كان أصدقاؤهن أكثر من صديقاتهن لم يزدن على ١٥ فى المائة

ولقد استطاع واحد فى المائة من الاناث البالغات اللائى فحصنا حالاتهن ، أن يتذكرن أنهن عرفن العبث الجنسى مع ذكور وهن فى سن لا تبعد عن الثالثة ، فى حين أن ٨ فى المائة رجعن فى تذكرهن لهذا العبث الى سن الخامسة ، و١٨ فى المائة الى السابعة ، و ٣٠ فى المائة الى ما قبل المراهقة مباشرة ٠ وقد اختلفت الأرقام باختلاف مستوى التعليم ٠٠ **فان ٢٤ فى المائة ممن لم يتجاوزن مرحلة الدراسة الثانوية عرفن العبث الجنسى مع ذكور ـ قبل البلوغ ـ ولكن نسبة من عرفنه ممن تجاوزن مرحلة الدراسة الثانوية بلغت ٣٠ فى المائة ، ونسبة من عرفنه ممن استمررن فى التعليم حتى نهاية الدراسة العليا بلغت ٣٦ فى المائة !** كذلك تدل الاحصاءات على أن النسبة ازدادت بوجه عام خلال الأجيال الثلاثة التى انتمت اليها « العينات » التى فحصناها !

ويلاحظ أن نسبة العبث الجنسى تقل ، فى فئات الأعمار المختلفة ، كلما اقتربت الفئة من سن البلوغ ٠٠ فان حوالى ٨

فى المائة من الاناث مارسن هذا العبث بين سن الخامسة والسابعة ، ولكن هذه النسبة تتضاءل فى السنوات السابقة للبلوغ ، حتى تصل الى ٣ فى المائة قبل البلوغ مباشرة ، على عكس الذكور تماما • **ويرجع هذا ـ الى حد ما ـ الى القيود التى تفرض على الفتيات كلما اقتربن من المراهقة ، ولكن السبب الأكبر يتمثل فى أن مقدرة الذكور على الاستجابة الجنسية ـ عن ادراك لكنهها ـ تزداد بسرعة مطردة كلما اقتربوا من البلوغ** •• وليس لهذه الزيادة مثيل لدى الاناث !

التركيب التشريحى للأعضاء التناسلية يثير فضول الأطفال !

◆ **ولقد** اقتصر العبث الجنسى قبل البلوغ ـ لدى معظم اللائى درسن حالاتهن ـ على تجربة واحدة ، أو على بضع تجارب قليلة متباعدة ، فلم يمارس بكثرة أو بانتظام الا فى حالات قليلة جدا • وبالنسبة لحوالى ٦٧ فى المائة ، اقتصرت ممارسة العبث الجنسى مع أفراد من الجنس الآخر ـ قبل البلوغ ـ على عام واحد ، فى حين أنها امتدت لدى ١٥ فى المائة عامين ، ولدى ١١ فى المائة خمسة أعوام ـ أو أكثر ـ قبل البلوغ • أما اللاتى جربن الجماع قبل البلوغ ، فقد اقتصرت تجربة ٦١ فى المائة منهن على عام واحد ، و١٣ فى المائة على عامين ، و ٩ فى المائة على خمسة أعوام أو أكثر !

كذلك تضمن العبث الجنسى فى ٩٩ فى المائة من الحالات كشف الأعضاء التناسلية ، واقتصر فى ١١ فى المائة من الحالات على ذلك • والواقع أن اختلاف التركيب التشريحى للأعضاء التناسلية يحظى بقسط كبير من اهتمام معظم الأطفال ، ويذكى فضولهم ـ فى كثير من الحالات ـ ما يفرض عليهم من تحريم تعرية أجسادهم ، ومن حرمانهم من رؤية أجسام أطفال غيرهم وهم عرايا • كما أن تحريم كشف الأعضاء التناسلية بالذات ، من أهم أسباب اثارة الفضول • ولا يتجاوز الكشف ـ فى معظم

الحالات ــ مجرد المقارنة ، كما يقارن الأطفال عادة أيديهم أو أنوفهم أو شفاههم • **ومعظم الاغتباط فى هذه العملية لا يرجع الى سبب جنسى بقدر ما يرجع الى رد فعل الغموض والتحريم اللذين يحيط بهما المجتمع مثل هذا العمل !**

ومن ناحية أخرى ، نجد فى تقارير الفتيات اللائى نشأن فى بيوت تتقبل فكرة العرى ــ فى نطاق الأسرة ــ أو اللائى اعتدن الاشتراك فى المعسكرات الصيفية أو فى جماعات يباح فيها اختلاط الجنسين فى كل نشاط حتى فى الاستحمام •• نجد فى هذه التقارير أن فضول الطفولة فى فحص أجسام الغير يظل ظاهرا فى البداية ، ولكن الفتاة لا تلبث أن تتقبل فكرة العرى كشىء عادى ، فلا تشعر ازاءه بأى انفعال عاطفى !

وبوجه عام ، نرى أن ٦٠ فى المائة من الاناث اللائى تناولتهن دراستنا ، يقررن أنهن رأين الأعضاء التناسلية للذكور فى سن مبكرة تتراوح بين الثانية والخامسة من أعمارهن ! وهذا يبين أهمية مثل هذه التجربة للطفل فى حضارة تذهب فى اخفاء الفوارق التشريحية بين أعضاء الذكور وأعضاء الاناث الى الحد الذى تذهب اليه الحضارة الأمريكية رغم تحررها • وهناك ٢٤ فى المائة يحددن السن التى رأين فيها أعضاء الذكور بين الخامسة والحادية عشرة • وما أن تحين سن البلوغ حتى يكون ٩٠ فى المائة من الاناث قد رأين عضو الذكر التناسلى !

المتعلمون يتساهلون فى تقبل فكرة العرى !

• **ويقرر** حوالى ٣٧ فى المائة من الاناث انهن رأين العضو التناسلى لذكر بالغ قبل بلوغهن • فى حين أن أفراد نسبة قريبة من هذه يقررن أنهن رأين عضو البالغ وهن فى سن تتراوح بين البلوغ وبين العشرين ربيعا •• وصاحب العضو فى ٤٦ فى المائة من الحالات هو الأب ، وفى ١٩ فى المائة شخص غير الأب وقد جاءت الرؤية مصادفة عابرة ، وفى ٢٢ فى المائة ذكر بالغ كشف عضوه عن تعمد ، وفى ٩ فى المائة قريب من

الأهل ، وفى ٢ فى المائة زميل فى غزل عنيف ٠٠ **والفتيات اللائى نشأن فى أسرات راقية التعليم هن أكثر الاناث رؤية لأعضاء الذكور البالغين وهن فى سن مبكرة ، ولعل السبب الأول فى ذلك يرجع الى تساهل المتعلمين فى تقبل فكرة العرى فى داخل البيوت !**

وفى ١٧ فى المائة من حالات العبث الجنسى مع ذكور ، نجد أن هذا العبث اتخذ شكلا من أشكال تماس الأعضاء التناسلية ، ولكن من العسير أن نحدد مدى مطابقة هذا التماس للجماع الصحيح ٠ على أن هناك ٢٩ حالة لاناث عرفن الجماع الكامل قبل البلوغ مع ذكور يكبرونهن أو مع بالغين !

ومع أن العبث الجنسى بين الفتيات وزميلات من جنسهن - قبل البلوغ - لا يتخذ صبغة جنسية حقيقية ،عن ادراك وفهم، لدى كثير من الاناث ، الا أنه أدى الى تعليم عدد منهن - مباشرة أو بطريقة غير مباشرة - الاستمناء ، أى العادة السرية ٠ **وقد استمر الاتصال بزميلات من نفس الجنس لدى عدد قليل من الفتيات الى ما بعد البلوغ واتخذ شكل الشذوذ الجنسى الكامل٠** على أنه لدى ٩٩ فى المائة ، كان عبارة عن تعريض وفحص الأعضاء التناسلية ٠ ولدى ثلث هذه النسبة ،تجاوزت التجربة ذلك الى العبث فى عضو احدى الفتاتين ، أو فى عضوى الاثنتين باليد ٠ ويلاحظ أن نسبة العبث باليد بين الاناث - قبل البلوغ - تفوق مثيلتها بين الذكور فى مثل هذه المرحلة !

وفى الحلقة القادمة ، ننقل اليك أهم التحليلات والاستنتاجات التى خرج بها «كينزى» وزملاؤه من هذه الدراسة لتقرير أهمية اللعب والعبث الجنسى قبل البلوغ، ومدى تعرض الفتيات - فى هذه المرحلة - للاتصال بذكور بالغين ، وما يترتب على كل هذا من نتائج اجتماعية ونتائج شخصية تؤثر فى السلوك الجنسى للفرد وللشعب!



زوجات الفنانين

طلاق.. لم يتم!

للكاتب الكبير "الفونس دوديه"

تلخيص : فرج جبران

نزوات زوجة ٠٠ وصبر زوج !

◆ كل زواج معرض للعواصف ! ٠٠ هذا قول لا يستطيع أحد من المتزوجين ان ينكره ٠ ولكن ليس كل زواج من الضعف بحيث يتداعى ويتقوض أمام هذه العواصف ! حتى ولو كان الزوج فنانا ، بوهيميا ، لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال ٠٠ ولو كانت الزوجة مشاكسة ، متأثرة بآراء شخص أو أشخاص من أهلها ، (كأمها أوخالتها أو عمتها !)

وها هو ذا الدليل ٠ فقصة الزواج التى أقدمها لك فيما يلى ، تسجل ان شاعرا استطاع - بجلده وصبره - ان يتغلب على نزوة عابرة ألمت بزوجته ٠٠ وان يقى زواجه الفشل المعهود فى زيجات الفنانين !

من الاستاذ بتيبرى المحامى ٠٠
الى السيدة نينا دى بـ ٠٠ - مولان

« سيدتى : اهتممت بمسألتك ، استجابة لرغبة عمتك ، فاستعرضت الأحداث تباعا ومحصتها فى دقة ٠٠ ولست أرى - فى اعتقادى - أن الثمرة قد نضجت ٠ وبمعنى آخر ، لا أجد مبررا لطلب الانفصال ، فان القانون الفرنسى لا يعترف فى هذا الصدد بالعاطفة أو الغريزة ، ولا يسلم الا بالوقائع الثابتة ٠٠

« ولا مراء فى اننى تأثرت كثيرا عندما قرأت وصفك للعام الأول من زواجك ، ولمست الثمن الغالى الذى دفعته مقابل الظفر بالزواج من فنان مشهور ٠٠ من أحد أولئك الذين تبث الشهرة فيهم أنانية طاغية ، خليقة بأن تجعلهم يعيشون طلقاء، بدلا من أن يعرضوا للانهيار كل حياة أخرى صغيرة ، تحاول أن ترتبط بحياتهم !٠٠ آه ، ياسيدتى ! ما أكثر ما رأيت - منذ مارست مهنتى - من زوجات شقيات لا يختلف وضعهن عن الوضع الذى تجدين نفسك اليوم فيه !

« ان الفنانين يعيشون على اعجاب الجماهير ، ومن أجل هذا الاعجاب ، لا يملك الواحد منهم ما يهبه لمنزله سوى متاعب المجد أو حسرة السقوط ! .. فحياة المرء منهم غير مرهونة بأوقات ولا أحكام ، وانما هى تخضع لآراء وأفكار متطرفة ، تناقض النظم الاجتماعية المتعارف عليها ، اذتشجع على اهمال الأسرة ، وعلى اثارة المخ بالاسراف فى التدخين ومعاقرة الخمور

« ومع اعتقادى أن الأمور لم تتطور بعد الى الدرجة التى تبيح لك أن تطلبى ما طلبت من انفصال ، الا اننى أعددت مشروع مذكرة قانونية سردت فيها مواطن أساك وأشجانك ، وسلطت الأضواء عليها بلباقة . وهذه هى خطوطها العريضة :

« **أولا : مساوىء الزوج ضد أسرة الزوجة** .. ومنها رفضه أن يستقبل فى داركما عمتك المقيمة فى (مولان) ، مع أنها هى التى عنيت بتربيتك ، ومع أنها تؤثرك بحبها ! ومنها تلك الأسماء الساخرة التى أطلقها على هذه العمة التى منيت بعيب بدنى أحنى ظهرها .. وتلك الرسوم الساخرة التى يرسمها لها ، امعانا فى الهزء والزراية !

« **ثانيا : النفور الاجتماعى** .. اذ يرفض استقبال أصدقاء الزوجة فى داره ، أو مجاملتهم ، أو دعوتهم الى حفلات الزوجين

« **ثالثا : التبذير** .. اذ يسرف فى انفاق المال واقراض البوهيميين من أصدقائه ، ودعوتهم الى مائدته ، حتى تحول منزل الزوجية الى شبه فندق .. فضلا عن اسرافه فى الاكتتاب لاقامة التماثيل وتشييد المقابر واعانة البائسين من زملائه ، وانشاء مجلة أدبية فنية

« **رابعا : قسوة معاملته لزوجته** .. ومن ذلك قوله لها على مسمع من بعض الشهود : « أى دجاجة أنت ! »

« **خامسا : استخدامه العنف والشدة** .. اذ أن أعصابه تثور لأتفه الأسباب ، فيأخذ فى تهشيم الأوانى وتحطيم

الأثاث ، ويسرف فى استخدام الألفاظ النابية ، وفى اثارة الفضائح

« **كل هذه ـ يا سيدتى العزيزة ـ عناصر تصلح أساسا للاتهام ، ولكنها فى حد ذاتها غير كافية ، اذ لا تزال تنقصنا الوقائع ٠٠ آه ، لو كنا نملك دليلا واحدا !٠٠ دليلا بسيطا يعززه الشهود !٠٠** لو تسنى لنا ذلك ، لصار موقفنا فى القضية رائعا ٠ ولكنى لا أجد الآن سبيلا للظفر بمثل هذا الدليل بعد أن ابتعدت عن زوجك وأقمت عند عمتك ٠٠ ان أى مظهر من مظاهر القسوة التى تبدر عن هذا الرجل كفيل بأن يحقق لنا كل ما نبغى !

« وفى انتظار أوامرك ، سأظل خادمك المخلص ـ بتيبرى

« تعقيب : الذى ننشده هو أى حادث للقسوة يبدر منه أمام شهود »!

من عمة السيدة نينا ٠٠

الى الأستاذ بتيبرى ـ باريس

« أهذا مدى ما تفعله قوانينكم بتقاليد الشهامة والمروءة ؟٠٠ أليس من المهين للكرامة، والمناقض للعدالة ، أن يتطلب تبرير الانفصال ـ أمام المحاكم ـ بعض أعمال العنف ، فى حين أن أتفه سوء تفاهم خليق فى الواقع بأن يفرق بين الزوجين الى الأبد ؟٠٠ أية بربرية هذه !٠٠ **تصور أن ابنتى العزيزة مضطرة ـ فى سبيل استرداد حريتها ـ الى أن تقدم عنقها**



للجلاد طائعة ، وأن تتعرض لمظالم ذلك الوحش ٠٠ بل وأن تستثير جبروته !٠٠ ولكن ، فيم الجدل ، مادام الأمر يتطلب وقائع وأدلة مادية ؟

« سنحقق لك ما تبغى ، وستعود « نينا » غدا الى باريس ٠٠ ترى كيف يستقبلها ذلك الرجل ؟ وما الذى يصيبها هناك ؟ ٠٠ ان جسدى يرتعد ، ويدى ترتعش ، وعينى تدمع ٠٠ آه ياسيدى ! »

من الأستاذ ماريستان المحامى ٠٠
الى المسيو هنرى دى بـ ٠٠ ـ من رجال الأدب بباريس

« هدوء ! هدوء ! هدوء ! ٠ ٠اننى أحذرك من الذهاب الى مولان ، ومن المبادرة بالبحث عن الهاربة ، فان الحكمةوالاعتداد بالنفس يتطلبان أن تبقى فى مكانك ، وأن تنتظر !

« وبعد ، فما الذى جرى ؟٠٠ انك رفضت أن تستقبل فى دارك تلك العجوز الحقود الغريبة الأطوار ، فما كان منزوجتك الا أن لحقت بها ٠٠ ولا غرو فان رابطة الأسرة تظل قوية فى نفس فتاة لم يمض على زواجها أمد طويل !٠٠ أو لم يخطر لك أن عمتها هذه هى التى ربتها ، وهى القريب الوحيد لها فى الدنيـا ؟٠٠ **أحسبك ستقول ان الزوج يغنى عن الأهل ٠٠ فدعنى أصارحك ، يا بنى العزيز ، بأن الأزواج لا يحظون بكل مالدى زوجاتهم من حب ، على الدوام ٠٠ لا سيما اذا كان الواحد منهم عصبى المزاج ، شديد العنف ، رغم طيبة قلبه !**

« ان العصفور الشارد لا بد أن يعود الى عشه القديم يوما ، فلا تجزع ٠٠ ومالم أكن مخطئا فى حكمى ، فان هذه الباريسية لن تلبث أن تسأم الوسط الهادىء المحيط بها الآن ، وستندم سريعا على مفارقتها لذلك الشعب الصاخب المحيط بشاعرها !»

من الأديب هنرى دى بـ ٠ ٠ ٠
الى الأستاذ ماريستان ـ المحامى بباريس

« فى الوقت الذى تلقيت فيه خطابك الزاخر بالحكمة والود ، تسلمت برقية من (مولان) تنبىء بقرب وصول « نينا » ، فكأنك نبى اطلع على الغيب !٠٠ لسوف تعود « نينا » الليلة ، وحدها ـ كما رحلت وحدها ـ دون أن أبذل جهدا من ناحيتى ٠٠ والمهم الآن هو أن نرتب لها حياة رقيقة ، مريحة ، حتى لا تجد داعيا للرحيل مرة أخرى ٠ ولكن ثمة نقطة واحدة لن أحيد عنها ٠٠ **تلك هى اننى لا أريد أن أرى العمة « تاتا » فى منزلنا ٠٠ لا أريد أن أرى سيدة من طراز عام ١٨٢٠ ، قبلت أن تزوجنى من ابنة شقيقها أملا فى أن تكون شهرتى المتواضعة ذات نفع لها !**

« تصور يا عزيزى ماريستان ان هذه العمة العجوز ، الحقود ، تقف حائلا بينى وبين زوجتى ـ منذ زواجنا ـ فتعترض مسراتنا ومباهجنا وحفلاتنا ونزهاتنا ٠٠ فهل يدهشك بعد هذا اننى طردتها ؟٠٠ ان أحدا لا يرتاب فيما يمكن لمثل هؤلاء المسنات المتشككات ، الجاهلات بالحياة ، أن يسببنه من ضرر فى حياة عروسين تزوجا حديثا !٠٠ لقد استطاعت هذه العمة أن تدس فى رأس زوجتى الصغير ، الجميل ، آراء رجعية خاطئة ، أفسدت عليها عاطفتها !

« ومن الحق أن أعترف بأننى لم أحسن التصرف مع هذه الفتاة الصغيرة ، فنفرتها من العش ٠٠ كان من واجبى أن أعيد تثقيفها العاطفى فى هدوء وأناة ، الى أن « تتبخر » تعاليمها الريفية على مهل !٠٠ على أنه لم يعد ثمة داع لكل هذا الحديث، ما دامت فى طريقها الى ٠٠ انها تعود الليلة يا صديقى العزيز ، وسأذهب لاستقبالها فى المحطة ، ونعود معا الى دارنا ، وقد أمسك كل بيد الآخر ، وسادنا الوئام والهناء !»

من نينا دى ب ٠٠ الى عمتها

« لقد كان فى استقبالى بالمحطة ، فتلقانى باسما ، وبسط ذراعيه وكأننى عائدة اليه من رحلة عادية ٠ ولا شك انك تدركين اننى لقيتـه بفتور بالغ ٠ وما أن دخلت المنزل ، حتى لازمت حجرتى وأوصدت بابها بحجة اننى متعبة من جراء الرحلة ٠ **ولما وجد الباب مغلقا ـ عندما أقبل ليلقى على تحية المساء ـ حيانى من وراء الباب ، ثم ابتعد بخطى خفيفة ، حذرة ، فلا غضب ولا عناد ٠٠ مما زاد من ذهولى !**

« ولقد زرت الأستاذ بتيبرى فى هذا الصباح ، فأدلى الى بتعليمات مطولة عن الأسلوب الذى يحسن بى أن أنتهجه فى تصرفاتى ، وعن الوقت المناسب ، والمكان ، والشهود ٠٠ أواه، يا عمتى العزيزة ! ان الخوف يتملك نفسى كلما اقتربت الساعة ، فان غضبه ـ اذا ما استثير ـ فظيع ! »

من نينا دى بـ ٠٠ الى عمتها

« أكتب اليك يا عمتى العزيزة من فراشى ، وقد حطمنى ما أصبت به من جراء الشقاق الذى وقع ٠٠ منذا الذى كان يظن أن الحوادث ستتطور بهذا الشكل ؟٠٠ على اننى كنت قد اتخذت كافة الاحتياطات ، فأخطرت مارتا وشقيقتها كى تحضرا فى الساعة الواحدة ، واخترت للموقف العاصف اللحظة التى ننفض فيها عن المائدة ، فيشغل الخدم بتنظيفها بينما نأوى نحن الى قاعة الجلوس المجاورة ٠ وكنت قد دبرت كل شىء منذ الصباح ٠٠ ولكن شيئا مما فعلت فى الصباح لم يصرفه عن العمل وهو هادىء النفس !

« ولقد تذرع بنفس الصبر أثناء الغداء ، حين قدمت له أصنافا من الطعام لا يحبها ٠٠ وليتك رأيت الزى الذى ظهرت به ! ٠٠ لقد ارتديت ثوبا يرجع العهد به الى خمس سنوات

مضت ، وتركت شعرى دون تنسيق ٠٠ وعبثا بحثت عن أية بادرة على أساريره تنم عن غضب أو ثورة ٠ وكأنما تبدل زوجى رجلا آخر ٠٠ فان كل مافعله هو أن قال بصوت هادىء ، وان بدا فيه شىء من الأسى : « ماذا ؟ ٠٠ أعدت الى تسريحة شعرك القديمة ؟ » ٠٠ ولكننى لم أجبه ، لأنى لم أشأ أن أتعجل الشجار حتى تحضر الشاهدتان !

« وكان ما حدث أمرا عجيبا !٠٠ فقد أحسست بالاضطراب وأنا أتصور الشجار الذى كنت أسعى الى اصطناعه ٠ وأخيرا ، وبعد سماع عدة اجابات جافة منى ، غادر المائدة وذهب الى حجرته ، فتبعته الى هناك وأنا أرتجف ٠٠ وسمعت حركات صديقتى وهما تنتقلان الى قاعة الجلوس ، بينما انهمك «بيير» — الخادم — فى تنظيف حجرة المائدة ٠٠

« وكانت اللحظة الحاسمة قد حانت ، ولا بد أن أستفز زوجى الى تصرف عنيف ، صاخب !٠٠ وخيل الى أن الأمر ميسور بعد كل التصرفات التى مهدت بها — منذ الصباح — لاستثارته٠ ولا بد اننى كنت شديدة الشحوب عندما دخلت حجرة مكتبه ، فقد شعرت بأننى كنت ألج عرين الأسد ٠ وطاف بخاطرى أنه قد يقتلنى !٠٠ على أننى لم أر فى مظهره مايروع ٠٠ فقد كان مستلقيا على الأريكة وهو يدخن ٠ وقلت له فى لهجة حاولت أن أضمنها أقصى درجات السخرية : « هل يضايقك وجودى؟ »، فقال فى هدوء : « لا ، فاننى لم أستأنف العمل بعد !»

« وقلت محاولة أن أستفزه : « بل انك لا تعمل قط ، ان شئت الحق ! » ٠٠ ولكنه أجاب بنفس لهجته الرقيقة : « تخطئين ياعزيزتى ، فاننى أعمل بجد ٠٠ ولكن مهنتى من تلك المهن التى يكون صاحبها منهكا فى العمل ، ولو لم يمسك فى يده آلة أو أداة ! » ٠٠ فقلت وأنا ماضية فى هجومى : « وبماذا تشغل نفسك الآن ؟ ٠٠ آه ، لقد تذكرت ٠٠ انك منهمك فى تلك القصيدة التى بدأتها منذ عامين !٠٠ أتعرف انك كنت سعيد

الحظ عندما تزوجت بامرأة على شيء من الثراء يسمح لك بأن تستغرق فى الكسل ؟!»

« وكنت أعتقد أنه سيقفز من مكانه حين يسمع هذه العبارة، ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، بل انه نهض فى هدوء ،وأمسك بيدى فى لطف بالغ ، وقال : « ماهذا ؟!٠٠ انه نفس الشقاق المألوف ، وكأننا سنبدأ النزاع من جديد ٠٠ فلماذا عدت اذن ؟ » ٠٠ وأعترف بأننى شعرت بشىء من الاضطراب والخجل ازاء لهجته الودية المشوبة بالأسى ٠ ولكننى تذكرتك ياعمتى العزيزة ، وفكرت فى بعدك عنى ، وفى اخطـــائه نحوك ، فاستمددت من كل هذا جرأة ، وأخذت أعتصر مخى بحثا عن أقسى الأقوال ـ التى يمكن أن أوجهها اليـــه ـ مرارة وايذاء للشعور ! ٠٠ وفكرت فى أمرى : لقد كان من بواعث أساى أن تزوجت فنانا ٠٠ فكرت فى أن كل انسان فى (مولان) يرثى لحالى ٠٠ وفى اننى تبينت أن معظم زميلاتى تزوجن من قضاة ، ومن رجال ذوى مراكز رفيعة ونفوذ ووقار ، فى حين أن زوجى ٠٠؟!

« وليته بعد هذا كله يكسب مالا !٠٠ ولكن السيد لا يعبأ بالمال ، وانما هو يعمل من أجل المجد ٠٠ وأى مجد !٠٠ ان أحدا من أهل مولان لا يعرفه ولا يسمع عنه ٠ والقوم يصفرون ساخرين من مسرحياته فى باريس ٠ أما كتبه فكاسدة لا سوق لها ٠٠ و ٠٠ وكم من أمور توالت على رأسى وأخذت تملى على العبارات التى رحت أقذفه بها !

« أما هو فقد راح يرمقنى فى غضب بارد ، دون أن يجيب بكلمة ما ٠٠ ولا مراء فى أن هذا الغضب الساكن زاد منهياجى، فارتفع صوتى عاليا حتى اننى لم أعد أعرف فيه صوتى المألوف، وحتى ان كلماتى الأخيرة كادت تخرق أذنى ٠٠ ولست أدرى أية افتراءات غاشمة رحت أصرخ بها فى وجهه ٠٠

« وخيل الى أن الأستاذ بتيبرى قد ظفر ـ بثورتى هذه ـ

بالدليل المادى الذى يبغيه . ولكن زوجى لم ينفجر أويثر احدى ثوراته العنيفة المأثورة ، وانما عض على شفته ، واكتفى بأن خطا نحوى خطوتين ، وقال : « سيدتى » !.. ثم انفثأ غيظه ، وعاد الهدوء الى وجهه ، وراح يرمقنى بنظرات تنم عن ازدراء ، وتحد ، وسكون .. **واذ ذاك ، شعرت بأن جرأتى توشك أن تنضب ، وبأن صبرى يوشك أن ينفد ، فرفعت يدى وهويت بها على صدغه ، بأقوى صفعة وجهتها لانسان فى حياتى !**

« وعلى صوت الصياح والجلبة ، فتح الباب ودخلت الشاهدتان وقد بدت على أساريرهما معالم الاستنكار ، وصاحتا معا : « سيدى .. ما هذا بالعمل اللائق ! » .. فقال المسكين وهو يشير الى خده : « ألا تريان معى أنه غير لائق ؟ » .. ولك أن تتصورى مدى اضطرابى وارتباكى !

« واستطعت ـ لحسن الحظ ـ أن أتظاهر بالاغماء . وانساب دمعى سخينا ، فخفف من توتر أعصابى ، وسرى عنى !

« والآن .. ان هنرى فى مخدعى ، يعنى بى ، ويسهر على راحتى ، ويغمرنى بفيض من اللطف الصادق والترفق .. فما العمل ؟ .. وأى مأزق ؟!.. اذا كان ثمة من لا تصادف هذه النهاية رضى لديه ، فلا شك أنه .. الاستاذ بتيبرى المحامى ! »

من الكاتب الى القارىء ..

« وكانت نينا على حق .. فاذا كان ثمة من استاء من هذه النهاية ، فهو المحامى الذى لم يحاول أن يصلح ذات البين ، بقدر ما حاول أن يحصل على قرينة مادية تمكنه من انتزاع حكم بالتفريق بين موكلته وزوجها ..

« وسجل تاريخ الفن والأدب ، أن شاعرا استطاع ـ بجلده وصبره ـ أن يتغلب على نزوة عابرة ألمت بزوجته .. وان يقى زواجه الفشل المعهود فى زيجات الفنانين ! »


MEMOIRES
DE
CASANOVA
مغامرات فى الحب والسياسة !
مذكرات
كازانوفا
الكتاب الكلاسيكى الخالد
فى أدب العشق
والمغامرة

المرأة الوحيدة التى تدله كازانوفا فى حبها !

◆ التقى « كازانوفا » فى (فلورنسا) بالفتاة الوحيدة التى بلغ من تدلهه فى غرامها - فى سنة ١٧٤٤ - حدا كاد معه ان يتزوجها ، لولا ان زج به فى السجن .. تلك هى « تيريزا » ، التى أصبحت من أشهر نجوم الأوبرا . وما أعجب مشاعره حين تبين انه أنجبها فتى ، كان اذ ذاك فى السادسة عشرة من عمره ، كما كان صورة طبق الأصل منه ! .. على ان « تيريزا » تمسكت بأن يبقى ابنها - الذى كانت تتظاهر أمام الناس وأمام زوجها بأنه أخوها - الى جوارها !

وحظى « كازانوفا » بلقاء قداسة البابا ، فالتمس منه ان يشفع له فى العودة الى البندقية ، اذ كان ممنوعا من دخولها ! وفيما كان منصرفا ، صادف رئيس كناسى القصر البابوى ، فاذا به نفس الملاح الذى أقله فى جندوله يوم فراره من السجن . وفى ذلك المساء ، زار كازانوفا وأخوه أسرة الملاح التى كانت تتألف من زوجة شمطاء وأربع بنات عوانس . وما ان جلسوا الى العشاء ، حتى أقبلت امرأة مسنة وفتاة باهرة الجمال تدعى « ماريا »

مجنون .. وامرأة فاتنة !

◆ **نهض** « مومولو » الطيب - الملاح - فأعد مقعدين للقادمتين اللتين بدا عليهما الحياء والارتباك .. وكان المقعدان بين مجلسى ومجلس أخى .. وتطلعت الى « ماريا » ، فاذا بها فاتنة !

وقبل ان تنقضى ساعة ، كنا قد انتهينا من العشاء ، وأخذنا نتحدث عن « اليانصيب » العام الذى كان يجرى سنويا فى (فلورنسا) ، فقالت « ماريا » الحسناء انها لو كانت تملك مالا ، لأنفقت جزءا منه على الرقم « ٢٧ » فى « اليانصيب » . **فما كان منى الا ان دفعت الى « مومولو » بأربعين دينارا ، وأنا أقول : « انفق عشرين منها على الرقم ٢٧ ، على ان يكون الربح من نصيب بناتك الأربع والآنسة .. وانفق العشرين الأخرى على نفس الرقم لحسابى »**

ولما انصرفنا ، قال أخى اننى كنت مجنونا بهذا التبذير ، ولكننى أجبته : « لا ، لست مجنونا ٠٠ ولكن ماريا فاتنة ! »

مع الفتاة التى تمنعها أمها من الاستحمام !

● **وفى** اليوم التالى ، سعيت الى المثول بين يدى البابا ، فقال لى : « ان سفير البندقية يطلب ان تقدم نفسك الى سكرتير المحكمة العليا ، اذا شئت ان تعود الى وطنك » ، فقلت : « اننى على استعداد لأن أفعل ذلك يا قداسة الأب اذا منحتنى خطاب توصية ٠ وبغير ذلك لا أجسر على أن أعرض نفسى للسجن مرة أخرى ! »

وحين سمع البابا ما كان بيني وبين الكاردينال «باسيونى»، ضحك كثيرا ، فانتهزت الفرصة والتمست ان يسمح لى بأن أقدم الكتاب الأثرى الذى رفضه الكاردينال ، هدية لمكتبة الفاتيكان ٠٠ فباركنى مستجيبا لرجائى ، ثم قال : « سنرسل لك دليلا على عطفنا الخاص ! » ٠٠ ولكم تولانى الفضول لمعرفة هذا الدليل !

وفيما كنت أتناول غدائى فى ذلك اليوم ، علمت ان الرقم « ٢٧ » كان خامس الأرقام الرابحة فى « اليانصيب » ٠٠ وكان معنى ذلك ان كل من اختاره قد فاز بجائزة ٠ فأسرعت الى « مومولو » أحمل اليه النبأ ، فاذا بناته مكتئبات ، لأننى كنت قد أهديت نصيبى لماريا ٠٠ على اننى لم أعجز عن التسرية عنهن ، وسرعان ما كنا نتناول العشاء

وأقبلت « ماريا » كما فعلت فى الليلة السالفة ، فلم ألبث ان اختلست فرصة ، سألتها فيها ان تسمح لى بلقائها على حدة ، فوعدت بأن تقابلنى فى الساعة الثامنة من الصباح التالى ، أمام احدى الكنائس ٠٠

وجاءت فى الموعد ٠٠ وما كان أروع منظرها ! ٠٠ **كانت طويلة القامة ، ذات بياض مشرب بحمرة الورد ، وشعر**

أسود ، وعينين زرقاوين ٠٠ وكانت فى الثامنـــة عشرة من عمرها !

وباشارة منها ، تبعتها دون ان أكلمها ، حتى بلغت مبنى كبيرا قديما متهدما ، فولجته وارتقت السلم وأنا فى أثرها ، حتى بلغت قمةالسلم ٠ ولم يكن حوله جدرانه ، فكأنه منتصب فى الهواء ! ٠٠ وعلى الدرجة العليا جلسنا ، فبحت لها بحبى، وقلت لها : « اخبرينى عما أستـطيع أن أؤديه لك ، فاننى لا أبغى – قبل كل شئ – سوى اسعادك ! »

وكان جوابها : « انشلنى من الشقاء الذى أعيش فيه مع أمى ٠ فهى امرأة صالحة ، ولكنها تجعل حيـــاتى عبئا ثقيلا يمضنى ٠ **انها تأبى على أن أستحم ، لأن هذا يمكننى من أن أمس جسدى بيدى ، كما ان النظافة تبرز جمالى للرجال !٠٠ ولقد رآنى حلاق شاب فى احـدى زياراتى لأسرة مومولو ، فقال انه على استعداد لأن يتزوجنى لو انه وجـد أربعمائة دينار ، يفتتح بها محلا لنفسه ، ولكننى لم أكن أملك سوى مائة يدخرها لى الراهب الذى أدلى اليه باعترافاتى ٠٠ وبعد المنحة التى قدمتها لى عن طريق « اليانصيب » ، أصبح لدى مائتا دينار ، فهل تمنحنى المائتين الباقيــة ؟** ٠٠ اذا كنت تسـتطيع ، فأسلمها الى الراهب حتى لا تعـرف أمى ، والا ساورتها الريب فى الأمر ! »

– لسوف أسلمها اليه اليوم ، على ان تزورينى غدا لأروى لك كيف أثريت ٠ فهل تقابليننى عند الكنيسة فى نفس موعد اليوم ؟

كازانوفا ٠٠ المندوب البابوى فوق العادة !

◆ **واذ** دقت السـاعة مؤذنة بالتاسـعة ، بارحنا أطلال القصر ، وقـد جمدت أطرافى من البرد ٠ ولكننى لم أحفـل

بشىء ، فلم يكن يشغل بالى سوى ان أعثر سريعا على مسكن أستطيع ان أستقبلها فيه ، دون ان يعرف أحد بالأمر • واستطعت ان أعثر على غرفة لا بأس بها فى شارع ضيق ، فى احد الأحياء الفقيرة ، فدفعت لصاحبتها أجر ثلاثة أشهر مقدما ، لتستطيع ان تبتاع أثاثا لائقا ، ونقدتها مبلغا لتعد نارا للاستدفاء ، وتبقيها مشتعلة سواء كنت فى الغرفة أو لم أكن ! •• ثم سعيت لفورى الى الراهب الذى ذكرته لى « ماريا » ، وقدمت له المائتى دينار ، بعد أن شرحت له كيف عرفت ماريا • وأردفت قائلا : « لسوف أرحل بعد غد الى نابولى ، فأرجو أن أجدها عند عودتى وقد تزوجت »

وقال القس انه عرف الفتاة منذ خمس سنوات ، وانها من أطهر الفتيات • ووعدنى بأن يتحرى عن الحلاق الشاب ، فاذا اطمأن الى صلاحيته لها ، بادر الى عقد زواجهما

ولم تحن الساعة الثامنة من الصباح التالى حتى كنت أمام الكنيسة ، فلما أقبلت « ماريا » ، أشرت لها فتبعتنى الى المسكن الذى استأجرته • وكانت بادية الارتباك ، والخجل ، والذلة ، فبادرت أطمئنها الى اننى قد سويت لها أمر الزواج • وغادرتنى وهى تشكرنى من صميم فؤادها ، مؤكدة لى انها ـ رغم فقرها وثرائى ـ قد أحبتنى حبا خالصا ، مجردا من أية غاية !



وفى ذلك اليوم ، زارنى رسول من قداسة البابا ، يعلن الى انه قد أنعم على بوسام «صليب فرسان المهماز الذهبى» ،

وأسلمنى براءة الانعام وعليها الخاتم البـابوى • وقد تضمنت البراءة منحى « دكتوراه » فى القانون المدنى ، وتعيينى موفدا بابويا فوق العادة !

ولقد سول لى الغرور ان أبتاع صليبا مرصـعا باليواقيت والمـاس ، ولكننى حين ذهبت لأقدم للبابا شـكرى ، زينت صدرى بالصليب العادى الذى أرسله الى !

رعاية من الزوج •• ونفور من الزوجة !

◆ **وفى** اليوم التالى ، رحلت فى عربتى الأنيقة ، مصطحبا الأب « ألفانى » ، الذى أعرب عن رغبته فى ان يعمل سكرتيرا لى • وما ان بلغنا (نابولى) ، حتى وجدنا أهلهـا فى هياج وهرج ، اذ فوجئوا ببركان (فيزوف) يثور • ولكننى تمالكت هدوئى ، ويممت على الفور لزيارة دوق « ماتالونيا » ، الذى كنت قد تعرفت اليه فى (باريس) • ولم يكد الدوق يرانى ، حتى عانقنى وقدمنى الى زوجتـه • وأنبأته بأننى ما قـدمت الى نابولى الا لـكى أراه ، فأصر على أن أنزل فى ضـيافته ، وأرسل خادما لنقل متاعى من الفندق ••

ولم ينقض نصف ساعة حتى كنت مغمورا برعاية الدوق ، ولكن زوجته لم تعرنى اهتماما •• كانت جميلة ، ولكنها كانت جد متغطرسة • وقد قضيت يومين أحاول ان أستدرجها الى محادثتى

وفى العـدد المقبل ، نواصـل رحلتنا مع أمير العشق والمغامرة ، متتبعين هذه الذكريات الشيقة التى خلدت اسمه فى الأدب الكلاسيكى العالمى

قرارات الجمعية العمومية العادية لمساهمى

بنك مصر

المنعقدة بدار البنك فى يوم السبت ٣٠ مارس سنة ١٩٥٧

قررت الجمعية العمومية بالاجماع ما يأتى :

أولا : التصديق على تقرير مجلس الادارة وعلى الميزانية والحسابات للسنة المنتهية فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٦ واخلاء طرف أعضاء مجلس الادارة من كل ما يتعلق بادارتهم فى السنة المذكورة .

ثانيا : الموافقة على توزيع الارباح كاقتراح مجلس الادارة وصرف مبلغ خمسة وثمانين قرشا عن كل سهم - دون استقطاع ضرائب - مقابل تقديم الكوبون رقم ٣٤ الى بنك مصر أو أحد فروعه ابتداء من يوم الاربعاء ٣ ابريل سنة ١٩٥٧ .

ثالثا : اعادة انتخاب الاستاذ خليل على الجزار والاستاذ أحمد فؤاد و لاستاذ محمود محمد لطفى والاستاذ يوسف مرقص حنا ودكتور محمد على عرفه الذين انتهت مدة عضويتهم .

رابعا : الترخيص لمجلس الادارة بالتبرع فى حدود المادة رقم ٤٠ من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٥٤ .

خامسا : الموافقة على الاشتراك فى تأسيس الشركة لعامة لصناعة الورق ، وشركة مصر للكيماويات وتفويض مجلس الادارة فى الاشتراك فى تأسيس غيرها بالقدر الذى يراه مناسبا .

سادسا : الموافقة على تعيين السيد الاستاذ فؤاد أحمد الصواف مراقبا آخر لاتمام مراجعة الحسابات لسنة ١٩٥٦ مع السيد المراقب الاستاذ زكى حسن واعادة تعيينهما لمراجعة الحسابات لسنة ١٩٥٧ وتقدير أتعابهما بحد أقصى ٦٠٠٠ جنيه .

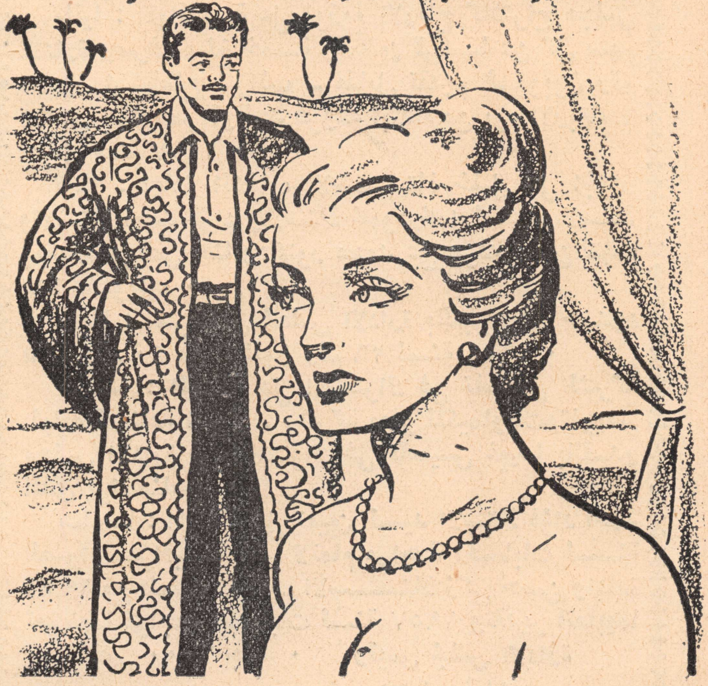
رئيس مجلس الادارة

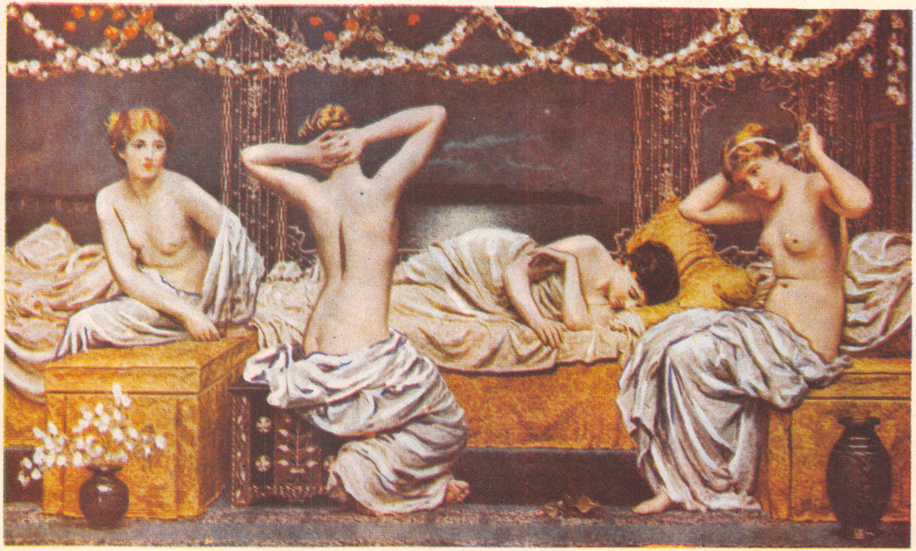
محمد رشدى

« مطبوعات كتابى » تتيح للعالم العربى ، حوالى منتصف ابريل، فرصة قراءة أشهر قصة أجنبية تدور حوادثها فى مصر :

بيلادونّا

للروائى الكبير "روبرت هيتشنز"، مؤلف "حديقة الله"





« ليلة صيف ! » من معروضات متحف (ليفربول) ، للفنان « ألبرت جوزيف مور »



القصة التى جلبت على مصر عند صدورها فى أوائل هذا القرن «طوفانا»
من السياح ، من جميع أنحاء العالم !

استوحاها مؤلفها من زيارة لمصر ، كما استوحى قصته الأخرى "حديقة الله"
من زيارة لمراكش ! قصة امرأة من انجلترا التقت بشاب من مصر ، ذات ليلة ، فى
خيمة عند أطراف الصحراء ، فى ظلال النار المشتعلة .. فاشتعلت فى قلبها وجسدها
جذوة غرام جارف ملأ حياتها ، وأفسدها .. أسعدها وأشقاها ! .. إنها قصة :

بيلّلا دونّا

للروائى الانجليزى الكبير "روبرت هيتشنز"

قصة حب خالد ، ومغامرات ، ومؤامرات ، كتبت فى
إطار ساحر من الجو المصرى المعبق بعطر الشرق ، كما
تتذوقه وتستمتع به نساء الغرب !

يصدر بها عدد منتصف ابريل من :



مطبوعات كتابى

الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية